



مكتبة

لنا مكثر من الجنة

1412 هـ

أم المؤمنین
خديجة بنت خويلد
رضي الله عنها

• أنى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرىء خديجة من الله
ومنى السلام، وبشرها بيتى من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا
نفس

• أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد.....
حيث شريف

يجد عددًا من القصص والمسير
في موقع المفكرة الالكترونية
www.dawahmento.com

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الطَّاهِرَةُ الْمُبَارَكَةُ:

* فِي رِحَابِ الطُّهْرِ وَالْبِرَّةِ، وَفِي ثَنَائِهَا الصُّفَاءُ وَالنَّقَاءُ، نَعِيشُ سَعْدَاءَ فِي ظِلَالِ سِيرَةِ أُمِّهَا الطَّاهِرَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ الْقُرَشِيِّ الْأَسَدِيَّةِ، زَوْجِ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمَنْ مَنَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِّيَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ حَقَّهَا أَوْ جِزَاءً مِنْهَا؟! وَلَكِنَّا نَحَاوِلُ أَنْ نَلْمَسَ الْبِرَّةَ وَالْخَيْرَ بِإِقْتِطَافِ عَنَاقِيدِ مَبَارَكَةٍ مِنْ حَيَاتِهَا الْفَيَاضَةِ بِالْعِطَاءِ.

* تَشَأَتْ خَدِيجَةُ عَلَى التَّحَلُّقِ بِالْفَضَائِلِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْأَدَابِ، وَأَتَصَفَّتْ بِالْعِفَّةِ وَالشَّرْفِ وَالْكَمَالِ، حَتَّى عُرِفَتْ بِلقبِ «الطَّاهِرَةِ»^(١) بَيْنَ نِسَاءِ مَكَّةَ فِي زَمَانِهَا.

* خَدِيجَةُ... السُّبُلَةُ الطَّاهِرَةُ... إِنَّ هَذَا لَشَرَفٌ عَظِيمٌ أَنْ تَحْتَلِّيَ خَدِيجَةُ بِهَذَا اللَّقْبِ الْمُبْتَغَى الْمُبَارَكِ! وَذَلِكَ فِي

(١) انظر في هذا أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٦٧)، والإصابة (٤/٤٧٣)، والاستيعاب (٤/٢٧١).

• في أم القري كانت ولادة الطاهرة خديجة سنة (٦٨) قبل الهجرة النبوية الشريفة، وكان ذلك قبل عام الفيل بخمسة عشرة سنة تقريباً^(١).

وأُمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم قرشية من بني عامر بن لؤي، أما أبوها فهو حوبلد بن أسد بن عبد العزى من أشرف قريش، وقد مات يوم الفجار.

• كانت خديجة زوجاً لأبي هالة بن زرارة التميمي^(٢) فمات عنها، ثم خلف عليها عتيق بن غالب المخزومي^(٣)، ثم تزوجها النبي الكريم ﷺ.

• وعندما ارتبطت خديجة بالنبي الكريم ﷺ، سَطَع نجمها وبانَ فضلها، وسادت نساء مكة كلهن، بل نساء الدنيا جميعاً، وحسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون^(٤).

* * *

(١) هذه السنة توافق عام (٥٥٦) من الميلاد.

(٢) الانشقاق (ص ١٤٢ و ٢٠٨).

(٣) انظر أسد الغاية ترجمة رقم (٦٨٦٧).

(٤) الحديث أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك، انظر جامع الأصول.

(١٢٥/٩).

الطاهرة والمكائنة العُلَيَّا:

• كانت الطاهرة خديجة مثلاً رائعاً بين نساء مكة في المكائنة والشرف والعدل، ولها تجارة واسعة، وتستأجر من الرجال في مالها ممن تنو بهم لينجروا لها، وتتفق معهم على نصيب من الأجر تدفعه لهم، في تلك الأثناء كانت الطاهرة خديجة تعرف النبي الأمين محمد بن عبد الله الذي يلتقي به مع نساءها في قضي بن كلاب^(١). وعُرف عن خديجة أنها صاحبة نظرة ثاقبة، وفراصة صحيحة، فكانت ترى محمداً وتسمع أخباره العطرة من العاجي والرائح.

• وكانت أخلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وصفاته الجميلة تُعطر الدنيا وتدخل القلوب على اختلاف أصحابها، ولهذا رغبت في أن يتجر لها بمالها، فأرسلت إليه وقالت:

إنه دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

فقبل النبي ﷺ منها ذلك، ولما سمع أبو طالب بأعطية الطاهرة خديجة، قال لرسول الله ﷺ: هذا رزق ساقه الله إليك.

(١) قال الحافظ ابن حجر عن الطاهرة خديجة: وهي من أقرب نسائه ﷺ إليه في النسب.

لآل أبي بكر السجستاني وابن سيرين وابن عبيد اللطيف بن
 معمر، عن الإمام ابن شهاب الزهري؛ أنه قال: لما استوى
 رسول الله ﷺ، وبلغ أشده، وليس له كثير مال، استأجرته
 خديجة بنت خويلد إلى سوق حياضة - سوق بنهامة -
 واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ
 وهو يحدث عنها: «ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من
 خديجة، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من
 طعام تحبته لنا».

• لمست الطاهرة خديجة صدق محمد ﷺ وأمانته وكرم
 أخلاقه، فكانت تجزل له العطاء، ولما بلغ سيدنا رسول الله
 خمساً وعشرين سنة، سافر بتجارة لها إلى الشام مع غلامها
 ميرة، وفي الشام باع ﷺ سلعته واشترى ما أراد، وريح
 ضعف ما كانت تريح خديجة، وقفل راجعاً نحو البلد الأمين
 مكة، فأتى لها ما عليه في أمانة تامه، وتبلى عظيم، وقد
 حفظ الله سبحانه رسوله ﷺ وحاطه برعايته، حتى كانت هذه
 السفرة بما كان فيها من الخير والبركة، ذات أثر مبارك في
 حياة محمد ﷺ.

• وفي مكة انطلق ميرة يحدث بما رأى من سيدنا
 محمد ﷺ من كرم الخلق وحسن الصحبة وعظم الأمانة، بل

حَلَّتْ بِمَا رَأَتْهُ مِنْ إِرْحَاصَاتِ النَّبَوَةِ الَّتِي لَمَسَهَا وَعَايَنَهَا، وَمَا أَكْثَرَ مَا رَأَى فِي تِلْكَ الرَّحْطَةِ الْجَمِيلَةِ مِنْ خِصَالِصٍ كَثِيرَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَدْلَى مَسِيرَةٍ أَيْضاً بِشَهَادَتِهِ الصَّادِقَةِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى خَدِيجَةَ، فَسَرَّتْ بِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ، وَمَا نَالَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ وَرِيحٍ بِسَبَبِهِ ﷺ، وَكَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ كَتَبَ لَهَا الْكِرَامَةَ وَأَرَادَ بِهَا الْخَيْرَ عَيْتَ الْفَى فِي نَفْسِهَا أَمْنِيَةً كَرِيمَةً مَبَارَكَةً جَعَلَتْهَا سَعِيدَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الطَّاهِرَةُ وَالزَّوْجُ الْمُبَارَكُ:

• كَانَ السُّدَاتُ وَالرُّؤَسَاةُ فِي مَكَّةَ يَحْرُصُونَ عَلَى الزَّوْجِ مِنْ خَدِيجَةَ، فَتَأَمَّنَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَتَرَدَّوْهُمُ جَمِيعاً، وَلَكِنَّمَا وَجَدَتْ مَا تَنْشُدُهُ وَمَا تَبْعِيهِ فِي سَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا أَفْضَلُ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهَا إِلَى صَدِيقَتِهَا وَأَقْرَبَ بَتِ مَنِةً^(١) فَذَهَبَتْ نَفْسُهُ إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ وَكَلِمَتُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الطَّاهِرَةَ خَدِيجَةَ، وَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا يَمْتَنِعُكَ أَنْ تَزَوَّجَ؟

فَقَالَ: «مَا بِيَدِي مَا أَنْتَزَوِّجُ بِهِ».

(١) نَفْسٌ - بِالتَّصْغِيرِ - وَمَنِةٌ نَسَبٌ إِلَى أُمِّهَا، وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ: بِنْتُ أُمِّيَّةٍ وَهِيَ أَبُوهُمَا، وَهِيَ أُمُّتُ الصَّحَابِيِّ الْجَدِيلِ الْمَشْهُورِ يُعْلَنُ بِنِ أُمِّيَّةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قال: «فمن هي؟»

قالت: خديجة.

قال: «وكيف لي بذلك؟»

قالت: علي.

قال: «فانا أفعل.»

ورجعت نَفْسُهُ إلى الطاهرة خديجة تحمل خير نجاحها في مهنتها، ورَفَّتْ إليها نبأ موافقة محمد ﷺ بالزواج، فأرسلت الطاهرة خديجة إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجهاء، فحضره وجاء رسول الله ﷺ إلى بيت خديجة في آل عبد المطلب، وفي مقدمتهم عمه حمزة - رضي الله عنه - ، وعمه أبو طالب، وكان في استقبالهم عم الطاهرة خديجة، وابن عمها ورقة بن نوفل، وقام أبو طالب خطيباً، وألقى خطبة رائعة فتقطعت منها قُرَابَتُ كاشقة، فكان مما قال:

الحمد لله الذي جعلنا من قرية إبراهيم (وَزُرْعِ إِسْمَاعِيلِ)،
... .. وجعلنا حضنة بينه وسوا من حرمه، وجعل لنا بيتاً
محبوباً وحرمًا آمنًا، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله
لا يُورَثُ به رجلٌ من قريش شرفاً ونبلاً وقضلاً إلا رجح به،
... .. ومحمد من عرفتم قوابله، وله في

خديجة بنت خويلد رغبةً ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من
الصداق - المهر - فعلي.

وافق عليها عمرو بن أسد وكان شيخاً كبيراً^(١) فقال: هو
الفحل لا يُفدحُ أنفه^(٢).

✽ وتزوج النبي الكريم ﷺ الظاهرة خديجة، وأصدقها
عشرين بكرة، ونحر وأضعم الناس، وقد أشار البوصيري -
رحمه الله - إلى هذا عندما قال:

ورأته خديجة والنبي والنهر

ذُ فيه حجةٌ والحياة

وأماها أن الغمامة والسُر

ع^(٣) أظلمه منيما أقبية

وأحاديث أن وعد رسول الله

به بالبعث جان منه الوفية

فدعته إلى الزواج وما أخ

من أن يبلغ المعنى الأذكية

(١) انظر كتاب الاشتقاق لابن دريد، (ص ٩٢).

(٢) هذا مثل يضرب للرجل الكفء الكريم، والفحل الذكر من الإبل،
وكان العرب إذا وجدوا الفحل غير كريم ضربوا أنفه ومنتعوه عن
الناقة، وإن كان كريماً تركوه، فذهب مثلاً في العرب، وفضل
عم حليجة إلى آل محمد منهم وهو كفاء كريم لا يُرَد.

(٣) والسرح: الشجر الكبير.

في سنن الشَّابِّ ابْنِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً.

* وفي هذا الزَّوْجِ الْبَارِكِ كَانَتْ الظَّاهِرَةُ خَدِيجَةَ هِيَ
الرَّوْحَةُ الْوَفِيَّةُ فِي حَيْثُهَا، وَهِيَ الْأُمُّ الرَّؤُومُ فِي حَائِلِهَا وَعَظْمِهَا
وَبِرَّهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

* * *

الظَّاهِرَةُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ:

* كَانَ هَذَا الزَّوْجُ زَوْجًا مَيْمُونًا سَعِيدًا، فَمَحَمَّدٌ ﷺ نَعَمَ
الزَّوْجِ، وَالظَّاهِرَةُ خَدِيجَةُ نَعَمَ الرَّوْحَةُ الْوَفِيَّةُ، وَقَدْ عَاشَا مَعًا
زَوْجَيْنِ هَانِئِينَ، وَسَرَتْ بَيْنَهُمَا الْأَلْفَةُ، وَتَوَلَّدَتْ عَوَامِلُ
الاسْتِقْرَارِ، وَضَرَبَتْ خَدِيجَةُ أَرْوَاحَ الْأَمْثَلَةِ فِي الصَّلَاحِ وَفِي
الْإِيثَارِ وَالْكَرَمِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا شَعَرَتْ أَنَّ زَوْجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يَحِبُّ زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ^(١) مَوْلَاهَا فَوَهَبَتْ لَهُ، فَازْدَادَتْ
بِذَلِكَ مَرَاتِلَهَا فِي نَفْسِهِ ﷺ.

* وَلَمَّا كَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَمِّهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،
وَجَدَ عَلِيًّا عِنْدَ الظَّاهِرَةِ خَدِيجَةَ أَمًّا عَظُوقًا، وَقَلْبًا حَائِبًا،

(١) انظر سيرة الصحابي الجليل سيدنا زيد بن حارثة في كتابنا ورجال
مبشرون بالجنة الجزء الأول.

ومعاملة طيبة. وقد أكمل الله هذه السعادة الزوجية بالأبناء؛ فولدت له القاسم - وبه كان يُكنى أبا القاسم - ثم ولدت له زينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم، وكان ذلك قبل النبوة، وولدت له في الإسلام عبد الله فُسمي الطيب والظاهر، وكان بين كل ولدين سنة، وكانت تسترغ لهم وتبهيء ذلك قبل أن تلد.

وقد ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - أولاد رسول الله ﷺ من الطاهرة الولود حديثه فقال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة، القاسم وعبد الله، وفاطمة وأم كلثوم وزينب ورقية^(١). أما ابنه إبراهيم فهو من مارية القبطية - رضي الله عنها - ومات بنوة كلهم في صغرهم. أما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، فرقية وأم كلثوم تزوجتا عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، وفاطمة زوجة علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -^(٢).

وقد أدركتهن الوفاة في حياة النبي ﷺ إلا ابنته فاطمة، فقد توفيت بعلمه بستة أشهر.



(١) انظر في هذا دلائل النبوة للبيهقي (٧٠/٢).
 (٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٦/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٦/١)، والتفصيل لابن كثير (ص ٢٤٢).

• امتاز النبي الكريم ﷺ في قومه بشمال كريمة فاقهم فيها جميعاً، حتى أطلقوا عليه لقب «الأمين» لما جُمع فيه من الأحوال الصالحة والصفات السُّرىة، وجمعت الطاهرة خديجة شمائله هذه بقولها له: إنك تُصلِّ الرِّحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نواب الحق^(١).

• نعم فقد عَرَفَ أهلُ مكة صفات محمد ﷺ، وكانوا يرضون بقضائه فيهم إذا ما ثارت خلافات فيما بينهم، ولكنَّه ﷺ ينكر ما هم عليه من الضلال وعبادة الأوثان. ولما قاربت سنه الأربعين حُبَّ إليه الخلاء في غار حراء - قرب مكة - فكان يخلو به، ويقضي وقته في العبادة والتفكير في الكون وفي مبدعه، ويمكث فيه الليالي ذوات العدد.

• وكانت الطاهرة خديجة إذا تهافت في الصباح الباكر، تنفد زوجها عليه الصلاة والسلام فلا تجده، فتعرف أنه في خلوته، فلا تسأله عن شيء، وذلك لكونها عاقلة لبيبة، وترى من أحواله ما لا يراه غيرها.

• كانت الرؤيا الصادقة أول ما أشرق عليه من نور النبوة، فلا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، وكانت

(١) الحديث في صحيح البخاري (٥/١).

تساوره المخاوف، فكان يقضي إلى زوجه الطاهرة العاقلة
 اللبية بمخاوفه ويقول لها: إني إذا خلوت وحدي سمعتُ
 نداءً، وقد خشيتُ - والله - أن يكون لهذا أمر... فتطمته
 الطاهرة خديجة وتقول له: «معاذ الله! ما كان الله ليفعل ذلك
 بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق
 الحديث.»

• كانت كلمات السيدة الطاهرة خديجة نوعاً من قرآنة
 الإلهام، وبرداً وسلاماً على رسول الله ﷺ، حَقَّقَتْ بها عنه ما
 شعر به من آثار المفاجأة الرهيبة، ثم إن كلمات خديجة
 النورانية نابعة من معرفتها أخلاق رسول الله ﷺ التي خبرتها
 فيه بتجاربها وقرآنتها في جميع المجالات، ناهيك بما
 لمحمد ﷺ في مجتمعه من الإكثار وحسن الطيب وجمال
 الحديث.



الطاهرة العاقلة:

• لما نزل جبريل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ﴾
 باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ
 وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم
 يعلم ﴿ [العلق: ١-٥]، كان للطاهرة العاقلة دورٌ مبارك،
 ولتترك عائشة أم المؤمنين تروي لنا موقف الطاهرة خديجة،

... فرجع بها - أي بسورة العلق - رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فزأده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها - فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرأاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شاعراً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى،

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى،

يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي،

وإن يدركني يومك أتصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشأ ورقة أن
تؤفي، وفتن الوحي» (١).

• وقد زوي أن ورقة قال يخاطب الطاهرة خديجة في
ذلك:

فإن بك حقاً يا خديجة شاعلي
حديثك إباناً فأحد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما
من الله روح بشرح الصلح منزل (٢)

* * *

الطاهرة الصديقة الأولى:

• في حلية الشانق الإسلامي، وفي ميدان السبق على
الإسلام، كالت الطاهرة خديجة - رضي الله عنها وأرضاها -
الفائزة بالدرجة العليا برتبة صديقة المزمئات الأولى، فأكرم
بهذا اللقب وأعظم به (١٩).

-
- (١) الحديث صحيح في البخاري (١/٥ و٦) و
«الكل»: هو من لا يستقل بأمره. «الجذع»: الصغير من البهائم،
كأنه نسي أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شيئاً ليكون
أمكن لتصره.
- (٢) انظر البداية والنهاية (١١/٣)، وكتاب منح المدح (ص ٣٢٨).

وهللك رسول الله ﷺ، وأوتى من سمع ما سرت عليه من الدار
الحكيم من فيه الشرف عليه الصلاة والسلام.

• وإسلام الطاهرة خديجة - رضي الله عنه - كان إسلام
القطرة النقية الصافية الزاكية المطلعة بسواطع الإلهام إلى
المستقبل النوراني الصادق، فقد رزقها الله عقلاً كبيراً وقطنة
مباركة تادئة الرجوع في تاريخ النسب.

• وللطاهرة الصديقة الأولى - رضي الله عنها - سوانق
مباركة في مطالع إيمانها، لم تكن لأحد مطلقاً، وفضائل
انفردت فيها فلا يلحقها فيها لاحق، وكيف نلحق وقد حظيت
بسكينة عظيمة في نفس رسول الله ﷺ، حيث آمنت به حين
كفر الناس، وصدقت به حين كذب الناس، وجاتت بمالها
وواسته بنفسها، ورزقه الله منها الولد، رضي الله عنها
وأرضاه.



الطاهرة وبيتها المبارك:

• من دار الطاهرة خديجة - رضي الله عنها - منقطع نور
الإسلام، ومنها أضواء الدنيا كلها، فلا عجب أن تكون هذه
الدار دانية القطوف، طيبة الثرى، مباركة الموضع، ومما يشير
إلى بركة الطاهرة خديجة، ومبركة بيتها، أن الطاهرة أم

المؤمنين خديجة وبناتها من سيدنا رسول الله ﷺ كُنْ أَوْلَ النَّاسِ إِسْلَامًا، بَلْ إِنَّ كُلَّ مَنْ أَظْلَمَهُمْ سَفَفْتُ بَيْنَهَا كَانُوا مِنَ السَّائِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكُنَّا يَعْرِفُ أَسْقِيَةَ سَيِّدِنَا عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهِيَ مِنْ عَائِشَةَ ضَمِنَ أَسْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ الطَّاهِرَةِ الْمُبَارَكِ.

• وَسَبَقَ هَذَا: الْعَرَّ الْمِيَامِينَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّصَدِيقَ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ لِدَلِيلٍ عَلَى فَطَرْتِهِمُ النَّقِيَّةِ الَّتِي آكَسِيهََا مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ الطَّاهِرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

• وَلِدَارِ الطَّاهِرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَكَانَةٌ كَبِيرَةٌ، وَأَفْضَلُ مَبَارَكَةٌ، فَحَدَّثَ ذَكَرَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ أَنَّ دَارَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَفْضَلُ الْأَمَاكِنِ بِسَكَّةٍ بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ ^(١) وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَعَلَّ هَذَا يَرْجِعُ لِقَوْلِ سَكَنَى النَّبِيُّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ فِيهَا.

• وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْفَاسِي أَنَّ الدَّوْرَ الْمُبَارَكَةَ بِسَكَّةٍ دَارَ خَدِيجَةَ بَيْتِ حَوِيلِدِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، فَقِي هَذِهِ الدَّارَ وَوَلَدَتْ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ الْعَالَمِينَ هِيَ وَأَخَوَاتِهَا، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ بَنَى بِخَدِيجَةَ فِيهَا، وَأَنَّهَا تَوَقَّيْتُ فِيهَا، وَلَمْ

(١) مِنْ كِتَابِ شَفَاءِ الْغَرَامِ بِأَحْيَارِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ (١/٤٣٨).

المور، فأخذها خليل بن أبي طالب، لم يسرها فلعله بن
أبي مقبان وهو خليفة فجعلها مسجداً يُصلى فيه^(١).

* وفي دار الطاهرة حديجة يذكر الإمام الفاسي أيضاً أن
الدعاء يُستجاب فيها ليلة الجمعة، فرضي الله عنها وأرضاها.

الطاهرة البيرة الوضوء:

* قضت الطاهرة حديجة - رضي الله عنها - في كنف
رسول الله ﷺ مرحلةً تُقارب ربع قرنٍ من الزمن، فكانت في
حياتها المباركة معه أوفى وأبر زوجةً لزوجها، كانت تشاركه
مباهجه ومسراته، وتتطلع إلى رضاه وسعادته، وتبشّر من
يحبهم لترداد مكانة في نفسه ﷺ، وقد ظهر من برّها وكرمها
ما رفعها إلى مكانة عاليةً أئيرة، فقد أصابت الناس سنة
جذب بعد زواجها من رسول الله ﷺ، وفي هذه السنة جاءت
حليمة السعدية - مرضعته ﷺ - زائرة، فعادت من عندها
ونعها من حال الطاهرة حديجة بعيرٍ يحمل الحاء وأربعون رأساً
من الغنم.

* ووصل برُّ الطاهرة حديجة - رضي الله عنها - إلى أبعد
من ذلك، حيث كانت ثوبية أول مرضعة للشي ﷺ تدخل

(١) المرجع السابق (١/٤٣٦).

على النبي الكريم بعد أن تزوج الطاهرة خديجة، فكانت
تكرمها وتصلها وقفاً وكرماً لزوجها سيدنا رسول الله ﷺ،
ولذلك كان النبي الكريم ﷺ يحلمها ويقدرها رضي الله عنها
وأرضاهما.

الطاهرة العابدّة:

* قال القائل:

وإذا حلت الهدية قلباً

نشطت في العبادة الأعضاء

* مكثت أم المؤمنين خديجة - رضوان الله عليها - تُصلي
مع النبي ﷺ الصلاة التي كانت وهي: ركعتان في الغداة،
وركعتان في العشي، وذلك قبل أن تُفرض الصلوات الخمس
في ليلة الإسراء.

* ذكر الإمام ابن إسحاق - رحمه الله - قال: حَدَّثَنِي
بعض أهل العلم أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ افْتَرَسَتْ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، أَنَّهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ
الْوَادِي فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ مِنْ مَاءٍ مَرْنٍ، فَتَوَضَّأَ جَبْرِيلُ وَمَحَمَّدٌ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَسَجَدَ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ
رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ أَقْرَأَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَجَاءَهُ مَا
يَحِبُّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَأَخَذَ بِيَدِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَى بِهَا

• كَانَتِ الصَّلَاةُ - بِتِلْكَ الصُّورَةِ - أُنْذَاكَ شَيْئًا غَرِيبًا عَنِ
 الْمَجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ وَغَيْرِهِ لَمْ يَأْلُقُوهُ بَعْدَ، وَعَنِي حَدِيثٌ عَفِيفٌ
 الْكَنْدِيُّ - أَخِي الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ لِأُمِّهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ - مَا يَشِيرُ إِلَى
 ذَلِكَ قَالَ:

• كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِي صَدِيقًا، وَكَانَ يَخْتَلِفُ
 إِلَى الْيَمَنِ يَشْتَرِي الْعَطْرَ وَيَبِيعُهُ أَيَّامَ الْمَوْسَمِ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَ
 الْعَبَّاسِ بَعْنَى، أَنَاهُ وَجِلٌ مَجْتَمِعٌ - بَلَغَ أَشَدَّهُ - فَنَوَضًا فَتَسْبَعُ
 الْوَضُوءَ، ثُمَّ قَامَ بِصَلِيٍّ، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ فَنَوَضَاتٌ ثُمَّ قَامَتْ
 تَصَلِيٍّ. ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ قَدْ رَاهِقٌ فَنَوَضًا ثُمَّ قَامَ إِلَى جَنْبِهِ
 بِصَلِيٍّ، فَقُلْتُ: وَيَحْكُ يَا عَبَّاسُ مَا هَذَا الَّذِي؟

قَالَ: هَذَا دِينُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَخِي يَزْعَمُ أَنَّ
 اللَّهَ بَعَثَهُ رَسُولًا، وَهَذَا ابْنُ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَدْ تَابَعَهُ
 عَلِيُّ دِينَهُ، وَهَذِهِ امْرَأَتُهُ خَلِيجَةٌ قَدْ تَابَعَتْهُ عَلِيُّ دِينَهُ.

قال عفيفاً بعد أن أسلم ورسخ في الإسلام: يا ليتني
 كنتُ رابعاً^(١).

• تِلْكَ صُورَةُ وَضِئْتُهُ عَنِ عِبَادَةِ أُمَّنَا الطَّاهِرَةِ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) انظر عبود الأثر (١/١١٦)، ومجمع الزوائد (٩/٢٢٢ و ٢٢٣)،
 والسيرة الحلبية (١/٤٣٦ و ٤٣٧)، وانظر كذلك تعليقات ابن
 سعد (٨/١٧ و ١٨) بلفظ قريب.

عنها - طليعة السابقين والسابقات إلى الإسلام قاطبة وإلى الصلاة أيضاً، تلك الصلة بين العبد ومولاه.

• وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - أَنَّ الطاهرة خديجة أم المؤمنين روت عن رسول الله ﷺ حديثاً واحداً ولم يُذكر في الصحاح (١).



الطاهرة الصائبة:

• ضربت الطاهرة أم المؤمنين خديجة في الضرب مثلاً شروداً في حياة النساء، وفازت بالنجاح من جراء صبرها في الخطوات الأولى لسير الرسالة النبوية، فقد ذكر ابن إسحاق في السير والمغازي قال:

كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رده عليه وتكذيبه له فيحزنه ذلك إلا قرّح الله عنه بها، إذا رجع إليها ثنته وتخفف عنه، وتصدقته وتهوّن عليه أمر الناس رحمها الله (٢). وحالتها كما قال القائل:

وهي لا تثني عن الحق شيئاً
ودفاعاً عن حاتم الأنبياء

(١) المحض لابن الجوزي (ص ٩١).

(٢) السير والمغازي (ص ١٣٢).

برسالته بشيراً ونذيراً، ودعا قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، كذبوه وخذلوه في دعوته، كانت الظاهرة الصابرة بالمرصاد لهذا الخذلان، وتفضل جاهدة لتخفف عن رسول الله ﷺ ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن قريباً تعاضت في طغيانها، وقاطعت بني هاشم مقاطعة كاملة ثلاث سنين، ودخلت الظاهرة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - حصار الشعب مع رسول الله ﷺ.

• واشتدت الأزمان وتفاقمت الأحداث، واستشرى الأمر بين رسالة رسول الله ﷺ وبين الطغيان الوثني العتشل بصناديد قريش، فاضطربت عقولهم في رؤوسهم الخاوية إلا من البغي والظلم واستعباد الضعفاء، ورجفت قلوبهم الفارغة إلا من الفساد والتعبد للأصنام، تغير أن المسلمين صبروا صبر الكرام وديهنوا على صبرهم بشانهم وصدقهم.

وظلت الظاهرة أمنا خديجة - رضوان الله عليها - من وراء رسول الله ﷺ تشد أزره، وتشاركه في حمل الأذى من قومه بنفس راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله تعالى قضاءه في هذه المشاطعة الظالمة العريضة التي مكثت سيقاً متصللاً على أعناق المحاصرين المؤمنين برسالة محمد ﷺ:

• انتهى الحصار، وخرجت الظاهرة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - من الحصار ظاهرة بشرة صبرها

لتتابع مع رسول الله ﷺ سيرها في الحياة زوجة أمينة مستظلة
بظل الوفاء وصدق الإيمان وحسن الصبر، وفي ثبات
المسلمين على هذه الشدة الزهية جعلهم الله من أصحاب
المقام الرفيع في الآخرة، وجعلهم سادة الأرض في الدنيا،
وذلك جزاء الصابرين، وأجر الشاكرين.

وجزاهم في جنّة الخلد فيما

صبروا وهي منه خير جزاء



وَدَاعَا أُمَّنَا الطَّاهِرَةَ:

* عندما خرجت الطاهرة أم المؤمنين - رضي الله عنها -
من الحصار، لم تلبث إلا قليلاً حتى لبثت نداء ربها راضية
مرضية، مبشرة من سيد الخلق سيدنا رسول الله ﷺ بمقعد
صدق عند ملك مقدر، وبالنعيم العقيم عند الكريم
المتعالي.

* توفيت الطاهرة - رضي الله عنها - قبل الهجرة بثلاث
سنوات في مكة ولها من العمر خمس وستون سنة، ولما
حضرتها الوفاة دخل عليها النبي ﷺ فقال: وتكرهين ما أرى
منك وقد جعل الله في الكرم حبراً. وعند دفنها نزل رسول
الله ﷺ في حفرتها^(١)، وأدخلها القبر بيده الشريفة في

(١) المعجزة (ص ٩١)

وفاتها في نفسه أثر عميقاً، إذ كانت الزوجة الموهبة التي يجد فيها سكن النفس، وراحة الروح، كما كان لموت عمه أبي طالب قبلها^(١) أثر كبير في نفسه أيضاً حتى أطلق النبي ﷺ علي ذلك العام اسم «عام الحزن»؛ لشدة ما كان فيه من الشدائد في سبيل الدعوة أيضاً.

❦ وأودع عزيربي القاري، - أن أسجل في هذا المجال فضلاً للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - حفظه الله - إذ يقول كلاماً طيباً عن عام الحزن في كتابه القيم «فقه السيرة»:

... بعض الناس يحسبون أن سبب تسمية الرسول ﷺ لهذا العام عام الحزن إنما هو مجرد فقده ﷺ لعمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، وربما استأغوا إقامة علاتم الحزن والحداد علي موتاهم مدة طويلة من الزمن مستغلين بهذا، والواقع أن هذا خطأ في الفهم والتقدير.

فالنبي ﷺ لم يحزن علي خراف عمه وخراف زوجته ذلك الحزن الشديد، ولم يطلق علي تلك السنة عام الحزن؛ لحدوده أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم، بل سبب ذلك ما أعقب وفاتها من انغلاق معظم أبواب الدعوة

(١) حل بأعلى مكة عنده مدافرها

(٢) قبل بثلاثة أيام.

الإسلامية في وجهه، فقد كانت حباية عنه له تترك مجالات كثيرة للدعوة ومثلاً مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم، وكان يرى في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمره به ربه^(١).



الطاهرة أم العيال:

* ترك موت الطاهرة خديجة - رضي الله عنها - فراغاً هائلاً في حياة رسول الله ﷺ، أحس به إحساساً قوياً، وحزن يسيه حزناً شديداً، وغلب عليه الوجد حتى حشي عليه، فلقد عدا البيت بموتها خلافة موحشاً لا أبيض به ولا سمير، ولما خالت له حيلة بنت حكيم: يا رسول الله كأنني أراك قد دخلتك غلة^(٢) لفقد خديجة، قال: وأجل كانت أم العيال وربة البيت.

ولله در القائل:

ولو كان النساء كمن فقننا

لفضلت النساء على الرجال

* قال ابن إسحاق - رحمه الله - في السيرة: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب، ماتا في عام واحد، فتناجت

(١) انظر فتح السيرة (ص ١٣٥).

(٢) أي حزن وعامة.

صلى على الإسلام، كان يسكن إليها^(١).

• وذكر الإمام النووي - رحمه الله - أن الطاهرة خديجة بقيت مع النبي الكريم ﷺ أربعاً وعشرين سنة وأشهرًا ثم توفيت^(٢).

الثناء على الطاهرة:

• يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - عن الطاهرة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - : ومناقبها جمّة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقنة جليّة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ ينسب إليها ويفضلها على بقية أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي ﷺ لها^(٣).

• وقد كان النبي الكريم ﷺ يحبها ويكرمها وينسب إليها، وفي حقها يقول:

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤١٦/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي

(٢) (٢٣٦/١)، والإحسان لابن حجر (٤٧٤/٤)

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (١١٠/١)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم

والترمذي.

• «كعمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وقيل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

• وقد عقب أحد الفضلاء على هذا الحديث تعقياً لطيفاً فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت الثلاث في نبي واحد أن كل واحدة منهن كفلت نبياً مرسلًا، وأحست صحبه وآمنت به، فآسية ربت موسى، وأحست إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحست صحبه، وكانت أول من صدقه حين نزل عليه الوحي.

• وكان النبي ﷺ يذكر الظاهرة خديجة كثيراً ويقول: «إني رزقت حبهاء»^(١).

وقال ﷺ في الثناء عليها أيضاً:

«خير نساها مريم بنت عمران، وخير نساها خديجة»^(٢) وأشار إلى السماء والأرض^(٣).

• ولقد ظل زواج النبي الحبيب ﷺ بالظاهرة خديجة

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

الكريم ﷺ والخمسين، وقضى أجل سي حياته معها، وتركت الظاهرة في نفسه ﷺ أثرًا سيلاً لم تزده الأيام إلا بركة ووفاء لها وثبات عليها.

✽ ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وكل أولاده منها ما عدا إبراهيم ابن عارفة، ولم يتزوج عليها قط إلى أن قصت نجها - رضي الله عنها - .

✽ وبقي النبي الكريم ﷺ وقيًا لها، يشي عليها دائماً، يحب من يحبها، وترتاح نفسه لنية صوتها؛ فقد كانت تستأذن عليه هالة بنت خويلد أخت الظاهرة خديجة، فيذكره صوتها صوت خديجة وحديثها الطيب وأيامها الحلوة المباركة، فيبش لها، وترتاح نفسه لذلك، وتشرف أسارير وجهه الشريف ﷺ.



الوفاء للظاهرة:

✽ كان النبي الكريم ﷺ - وهو الوفي - قد وقي للسيدة الظاهرة خديجة أم المؤمنين في حياتها بكرم الصُحبة وطيب العشرة، وقل عليه الصلاة والسلام وقيًا لها بعد وفاتها أشد الوفاء، فقد كان دائم الذكر لها والإشادة بفضائلها وأولياتها، ومن ثم الترحم عليها، بل والإحسان إلى كل من يمت إليها بسبب.

* وقد كان النبي الكريم ﷺ وفياً لمن لم يستحق الوفاء، فكيف بالطاهرة مبع الوفاء ومعنن الفضائل كلها!؟ إذن فلا عجب أن يكون وقاؤه ﷺ وفاة حنقطع الطير.

* ومن الدلائل الرائعة على وفائه ﷺ للطاهرة خديجة، ما حدث في غزوة بدر الكبرى، إذ أسر أبو العاص بن الربيع صهر الرسول الحبيب ﷺ وزوج ابنة زينب أخته زوجة الوفاة الكريمة خديجة، فأرسلت الوفاة زينب فداءً لزوجها أبي العاص، ومن ضمن الفداء قلادة كانت فلدتها بها والدتها المعطاء خديجة - رضي الله عنها - ليلة زفافها، فلما رآها رسول الله ﷺ رقى لها رقعة شديدة، وتذكر زوجة المباركة الوفاة خديجة، وقال لأصحابه:

«إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها فلاتها فافعلوا».

فما كان من أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - إلا أن سارعوا بالاستجابة للنبي الكريم ﷺ الذي حرّمه مشاعر الذكرى للصديقة الوفاة الطاهرة - رضوان الله عليها - خديجة أم المؤمنين - فلهذا جلد الطاهرة المعطاء أمنا خديجة التي لها دين كبير في عنتي كل مسلم ومسلمة، رضي الله عنها وأرضاها.



• للمطاهرة الصّديقة أم المؤمنين خديجة - رضوان الله عليها - أوليات لم تُسَوِّ إليها، فهي كما قال الإمام عزّ اللّدين أبو الحسن بن الأثير - رحمه الله - : خديجة أولُ خلقِ الله أسلمَ بإجماع المسلمين لم يتقدّمها رجل ولا امرأة^(١) - وهذه منقحة عظيمة لام المؤمنين لا بداليتها فيها فضل.

• وقال الأئمة: الزّهري، قتادة، موسى بن عفيف، ابن إسحاق، الواقدي، وسعيد بن يحيى الأموي رحمهم الله تعالى: أولُ من آمن بالله ورسوله خديجة، وأبو بكر، وعلي^(٢).

• وقال الإمام الزّهري - رحمه الله - : كانت خديجة - رضي الله عنها - أول من آمن بالله، وقبّل الرسول رسالة ربه والصرف إلى بيته، وجعل لا يمرُّ على شجرة ولا صخرة إلا سلّمت عليه، فلما دخل على خديجة قال: رأيتك الذي كنتُ أحدثك أنّي رأيته في المنام، فإنّه جبريل استعلن لي أرسله إليّ ربي، وأخبرها بالوحي فقالت: أبشّر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً؛ فاقبل الذي جاءك من الله فإنّه حق^(٣).

(١) انظر في هذا أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٦٧)، والكامل في التاريخ (٥٧/٢)، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء (١٠٩/٢).
 (٢) تاريخ الإسلام للذهبي (١٢٧/١).
 (٣) تاريخ الإسلام للذهبي (١٢٨/١).

* وفي كتابه النفيس «الفصول» ذكر ابن كثير - رحمه الله -
أوليات للطاهرة خديجة - رضي الله عنها - فقال:

أول صديق له رضي الله عنها وأكرمها^(١).

وفي موضع آخر يقول:

* أول من تزوج رسول الله ﷺ خديجة، وأول من آمن به
على الصحيح خديجة^(٢).

* ومن أوليات الطاهرة خديجة - رضي الله عنها - أنها:

* أول من صلى مع رسول الله ﷺ.

* وأول من رزق منها الأولاد.

* وأول من بشرها بالجنة من أزواجه.

* وأول من أقرأها ربها السلام.

* وأول صديقة من المؤمنات.

* وأول زوجات النبي ﷺ وقات.

* وأول قبر نزل فيه النبي الكريم ﷺ قبرها بمكة.

(١) الفصول (ص ٩٧).

(٢) الفصول (ص ٢٤٣).

• كان الإمام مسروق بن الأجدع الهمداني التابعي الثقة المشهور، إذا حدث عن أم المؤمنين عائشة قال:

حدثنا الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السوء.

• هذه الصديقة عائشة كانت لها مكانتها في نفس رسول الله ﷺ، ذكرت ذات مرة الطاهرة حديجة أم المؤمنين بدافع الغيرة، ولكنها نهيت أن تذكر الطاهرة حديجة بهذه الصورة، فإنها لم تصل إلى مكانتها بالطاهرة حديجة - رضي الله عنها - سابقاً لإسلام، وذات رأي شديد ومواساة لرسول الله ﷺ، وفضلها عظيم وخيرها عميم، تحدثت الصديقة بنت الصديق - رضوان الله عليهما - عن هذا فقالت:

كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر حديجة فيحسن الشئاء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت:

هل كانت إلا عجزاً قد أبدلك الله خيراً منها.

فغضب ثم قال: «والله ما أبدلتني خيراً منها، أمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بعالمها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها».

قالت عائشة: قتلت في نفسي: فلا أذكرها بعدها بسنة
إلا (١).

وروت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما
غرث من امرأة ما غرث علي خديجة من كثرة ما كان رسول
الله ﷺ يذكرها (٢).

وفي تعليق الإمام الذهبي - رحمه الله - على هذا الحديث
ما يشير إلى بركة ومكانة الطاهرة أمنا خديجة فيقول:

وهذا من أعجب شيء أن تغار - رضي الله عنها - من امرأة
عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بفترة مديدة، ثم
يحميها الله من الخيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ،
فهذا من الطواف الله بها وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما (٣).

* الله أكبر، إنه امرأة - الطاهرة خديجة - هذه التي ظلت
ذكرها صاحب النبي ﷺ في حياته وهي تحت التراب؟!
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* وفي بيت عائشة كرامات أخرى للطاهرة خديجة، فقد
جاءت النبي ﷺ ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات الطاهرة

(١) رواه الإمام أحمد والطرابي، وانظر سير أعلام النبلاء (١١٧/٢).

ومجمع الزوائد (٢٢٤/٩) بلفظ مشابه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢).

فَقَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا خَرَجَتْ: تُقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْعَجُوزُ هَذَا
الإقبال! فقال:

«إِنَّمَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَانَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ
الإيمان» (١١).

* وفي صحيح الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها -
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا ذُبِخَ الشَّاةُ قَالَ: «أَرْسَلُوهَا إِلَى أَصْدِقَائِهِ
خَدِيجَةَ، فَذَكَرْتُ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ: «إِنِّي لِأَجِبُ حَيْثُهَا».



الطَّاهِرَةُ وَبَشَارَتُهَا بِالْحِجَّةِ:

* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ
الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾، [الواقعة: ١٠ - ١٣].

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْ ذَلِكَ لَمَنْ حَسْبُ رَبِّهِ﴾ [البينة: ٧ و ٨].

(١١) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب.

• للطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - منزلة عظيمة في حياة المصطفى ﷺ، وقد ظلت مكانتها سامية عند النبي رسول الله ﷺ طوال حياته، ثبت في الصحيحين أنها خير نساء زمانها على الإطلاق، وقد بشرها ﷺ بالجنة مراراً؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

• أتى جبريل النبي ﷺ فقال: أقرىء خديجة من الله ومني السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(١).

• وفي لفظ آخر روى أبو هريرة - رضي الله عنه - بشارة الطاهرة خديجة بالجنة فقال:

• أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٢).

• وفي هذا الحديث الشريف - عزيزي القارئ - فضيلة عظيمة مباركة للطاهرة أم المؤمنين خديجة - عليها رضوان الله - ، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد أقرأها السلام وكذلك

(١) الحديث أخرجه الشيخان، وانظر فضائل الصحابة للنسائي (ص

٧٥)، وانظر مجمع الزوائد (٩/٢٢٣ و ٢٢٤).

(٢) رواه الإمام البخاري.

بشرها بسبب في الجنة ليس فيه عيباح ولا منازعة، ولا ما
يوجب المشقة والتعب.

وللسهيلي - رحمه الله - نعتني لطيف علي هذا الحديث
يشير إلى مكانة الطاهرة خديجة أم المؤمنين - رضي الله
عنها - (١).

• والطاهرة خديجة تتلقى السلام من الله وهي عند النبي
عليه الصلاة والسلام، فعن سيدنا انس - رضي الله عنه -
قال:

«جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: إن الله
يقربني خديجة السلام. فقالت: إن الله هو السلام، وعلي
جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» (٢).

• وذكر أهل العلم أن هذا الجواب من الطاهرة خديجة
يدل على فقهها ووقور عقلها وحسن أدبها - رضي الله
عنها -

• وفي حديث آخر - يرويه ابن عباس - رضي الله

(١) راجع هذا إن شئت في كتاب الروض الأندلس للسهيلي (٢/٨٢٤ و
٥٢٩).

(٢) فضائل الصحابة للسبكي (ص ٧٥ و ٧٦).

عنهما - إشارة إلى بشارة الطاهرة أم المؤمنين خديجة بالحنة
فيقول:

• خطب رسول الله ﷺ في الأرضين خطوطاً،
قال: «أندرون ما هذا؟».

فألوا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت
خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت
مراحم امرأة فرعون»^(١).

• وعن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت سيدنا
رسول الله ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟

قال: «في بيت من قصب لا لغوقه ولا نصب بين مريم
وآسية».

• قالت: من هذا القصب؟

• قال: «لا، بل من القصب المتظوم بالندر واللؤلؤ
والياقوت»^(٢).

• نعم فقد كانت الطاهرة خديجة وزيرة صدق على
الإسلام، ووفرت كل وسائل الرأفة للنبي ﷺ في دنياها،

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر مجمع الزوائد (٢٢٣/٩).

والعظيم في آخرها. ﴿إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم
مكشوراً﴾ [سورة الإنسان: ٢٢].

﴿وبعد فهذه صفحات مباركة مشرفة معطار من حياة
الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها
وأرضها - سيدة نساء العالمين التي شرقيها الله فجعلها أولى
زوجات النبي الطاهرات رضوان الله عليهن.

﴿والحديث - أخي القارئ - عن الطاهرة أم المؤمنين
خديجة حديث مستع وطويل، ولكنني حاولت إبراز بعض
مواقفها العطرة وتبيان كرامتها وشارتها بالجنة - رضي الله عنها
وأرضها -.

﴿مرة أخرى نقول: رضي الله عن الطاهرة خديجة أم
المؤمنين، وقبل أن نودع آملًا في علين عند العلي القدير نقرا
قوله تعالى: ﴿إن المصنِّين في جناتٍ ونهرٍ﴾ في مقعد صدقٍ
عند مليكٍ مُتَّعِدٍ﴾ [الشمر: ٥٤ و ٥٥].



www.dawahmemo.com

سلسلة منسوبة بالحديث

4 1412

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

..... إنما ألبسها قميصي لتكسى من خلل الجنة

حديث شريف

والله الذي يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت
أسد

حديث شريف

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

تعريفٌ وتقديمٌ:

• نحن اليوم في رحاب صحابية جليظة، حافظت على رسول الله ﷺ حفاظ الصدر على القلب، والأجفان على العين، أحبه حب الأم الرؤوم لوحيدها.

هذه السيدة الجليلة واحدة من النساء الفاضلات اللاتي كان لهن نصيب في تاريخ الإسلام في مراحلہ الأولى، وكان لها خدمات جنان ومواقف رائعة، سُجِّلت لها بأحرف تشع بالنور وتفيض بالبركة.

• وهذه الصحابية الكريمة لها من الآثار والمناقب ما جعلها من الأوائل، فقد حظيت بتربية خير خلق الله على الإطلاق محمد ﷺ بعد وفاة جده عند المطلب.

وهي كذلك والدة رابع الخلفاء الراشدين وفارس النبي

علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

أضف إلى ذلك أنها أم الشهيد سيدنا جعفر الطيار أحد
الأمراء الثلاثة في سرية مؤتة.

وهي فوق هذا وذاك جملة سيدة نساء العالمين في زمانها،
بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ، الصابرة الذينة الخيرة الصيبة
الغائثة الشاكرة لله، فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها.

* والآن، فمن كثرة القدر من الصحابات التي جمعت
لها وفيها نلكم الفضائل ٤.

الإمام شمس الدين الذهبي - رحمه الله - يقدم لنا بطاقة
هذه الصحابة فيقول: «فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد
مناف بن قصي، الهاشمية، والدته علي بن أبي طالب»^(١).

* كانت فاطمة^(٢) - رضي الله عنها - من المهاجرات
الأول، وتلتقي مع رسول الله ﷺ في جدّه هاشم.

(١) انظر سير اعلام النبلاء (١١٨/٢) وانظر كذلك تاريخ الإسلام
للذهبي (٢٢١/٣).

(٢) ذكر أبو بكر بن الحسن بن جرير في كتابه النيس والاشفاق: أن =

رعايتها للنبي ﷺ :

• لما أحسَّ عبد المطلب جدَّ النبي ﷺ بدنو أجله، أوصى ولده أبا طالب بأن يحوِّط ابن شقيقه محمد بن عبد الله، ولعلَّ عبد المطلب قصَّد من هذا إلى أن اليذ الحانية الأمانة تكمن في بيت أبي طالب، وعند زوجه فاطمة بنت أسد صاحبة القلب الرحيم، ويرهن أبو طالب وزوجه فاطمة عليَّ حُسن الرعاية لمحمد ﷺ، فقد جعلت فاطمة تشبه برعايتها، وتشرف عليه مع زوجها، وكانت ترى البركة تحلُّ في طعام أولادها إذا أكل معهم محمد ﷺ.

• وكان عبد أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيغسل من طعامهم.

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القُعب - القُدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القُعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرَب قُباً وحده، فيقول أبو طالب: إنك لعبارك.

= اشتقاق فاطمة من الفطم وهو القطع، ومنه فطم الصبي إذا قطع عنه اللبن . . . ويقول الرجل للرجل: والله لأفطمنك عن كذا وكذا، أي لأمنعك عنه. كتاب الاشتقاق (ص ٣٣ و ٣٤).

• وكانت فاطمة بنت أسد ترى كل هذا، فتزداد حياءً ورعايةً للنبي الكريم، وتحسنُ إليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يتمثل شخص أمه - أمة بنت وهب - في شخص فاطمة بنت أسد زوج عمه النبي وقربت له سبيل الرعاية في طفرته وفي شبابه، فكانت له من بعد أمه أمًا، ومن بعد جدّه قلباً حاتياً يفيض بالعطف والإيثار، وظلت ترعاه إلى أن تزوج بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها.

• كانت فاطمة تسع ما يتكلم به الناس عن محمد عليه الصلاة والسلام، وكثيراً ما كانت تسع من زوجها أبي طالب قوله: **إِنَّ ابْنَ أَخِي لَخَيْرٌ نَعِيمٍ** (١) - أي بشرف عظيم -.

وكذلك سمعتُ عما حصل له ﷺ من البركة عندما سافر مع زوجها إلى الشام، وسمعت ما حدث به مسيرة غلام خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - من خصال الخير عندما سافر بتجارتهما إلى الشام.

(١) الرمن: وسخ أيضا جماد يجمع في موق العينين.

(٢) نظر عبوة الأثر (٥١/١)، والسيرة الحلبية (١٨٩/١).

(٣) نظر السيرة الحلبية (١٨٩/١).

وها هي تدفعُ بفلذة كبدِها عليّ بن أبي طالب ولدها
 ليعيش في بيت رسول الله ﷺ، وكانت ترى فيه الأب
 الرحيم، وقد لاحظتُ عناية الرسول الكريم بولدها من قبل،
 فقد روي عنها أنها قالت: لما ولدته سمّاه علياً، وبصق في
 فيه - فمه - ثم القمه لسانه، فما زال يعصه حتى نام، فلما
 كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له
 محمداً ﷺ فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله عزّ
 وجلّ^(١).

* لهذا كله ظلت فاطمة بنت أسد تحضه بالاحترام
 والتقدير، لما جاءه الله سبحانه من صفات الكمال، فقد
 عصمه الله من عيب الجاهلية وأدرانها، فكان ﷺ نموذجاً حياً
 للفضيلة والخير والصدق.

* * *

إسلامها - رضي الله عنها - :

• أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم أن ينذر
 عشيرته، وأنزل عليه قوله تعالى ﴿وأنتم عشيرتك الأقربين﴾
 [الشعراء: آية ٢١٤]، فامتثل النبي الكريم أمر ربه، ودعا
 أقاربه إلى خيري الدنيا والآخرة، وكانت فاطمة بنت أسد من

(١) المصدر السابق (١/٤٣٢).

زوجها أبو طالب اعتداراً لطيفاً، بينما أسلم ولادها وأولهم
سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

• وهنا بدأت حياة الصحابة الفاضلة فاطمة بنت أسد -
رضي الله عنها-، تسير في طريق آخر يختلف عن ذي قبل،
فقد بدأت قریش تهاجم محمداً ﷺ، وثقف في وجه الإسلام
تحاربه بكل النبل، وخاصمت بني هاشم من أجله، وهالهم
عندما رأوا عمه أبا طالب قد حذب على ابن أخيه وقام دونه
فلم يسلمه إليهم، وراحوا يستمون من الذين آمنوا وتبعوا
محمداً ﷺ.

ولما رأى النبي ﷺ أن قریشاً معنة في تعذيب أصحابه،
أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، ووقفت فاطمة بنت أسد
تودع ابنها الأثير - جعفر - وزوجه أسماء بنت عميس، ودعته
وقلبها بتعطر حزنًا، فقد كانت ترى فيه شبهه^(١) النبي الكريم

(١) كان الذين يشبهون النبي الكريم ﷺ خمسة، وكلهم من قریش
وهم: جعفر بن أبي طالب، وقثم بن العباس، والمثنى بن عبيد
ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب، والحسن بن علي بن أبي طالب، وقد نظمهم
شعرأ ابن سيد الناس فقال:

بخمسة شبه المختار من بصر
يا حسن ما حوّلوا من شبه الحسن =

فكانت، وكان ابنها جعفر أمير المهاجرين في الحجة.

• ولما رأته قريش أن الأمر يكاد يخرج من يدها، لحأت إلى مقاطعة بني هاشم، وحُصر بنو هاشم وبنو عبد المطلب بسائهم وأطفالهم في الشعب، وصارت فاطمة بنت أسد مع من صبر من النساء تنعي بذلك رضوان الله، وفاست واشتد عليها السلاء، وأكلت ورق الشجر مع المسلمين المحاصرين، ورأت قريش أن بني هاشم وبني عبد المطلب قد صبروا للحملة كراماً، واحتملوا أذى شاماً، بل عجبوا من صبر نسائهم على تحمل المحنة التي استمرت نحواً من ثلاث سنين، وذكر هذا ابن سعد في الطبقات فقال: وقلما رأته قريش ذلك سقط في أيديهم وعرفوا أنهم لن يسلموهم، وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من البعثة.

• وفي هذه السنة توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج الرسول الكريم، ثم توفي عمه أبو طالب، فاشتدت المصائب على المسلمين، وأخذت قريش تحتهد أكثر في إبداء الرسول الكريم بمكة إلى أن أذن الله بالهجرة إلى المدينة المنورة.

• ولما هاجر الرسول الكريم وأصحابه إلى المدينة، هاجرت فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - مع من هاجر،

- بجعفر وابن عمه المعطلين ثم
وسائهم وأبي سفيان والحسن

يدار إسلامها وهجرتها فقال: وقد أسلمت وهجرت إلى الله
ورسوله^(١).



مكائنها ومناقبها - رضي الله عنها - :

• ذكر الإمام الشعبي أحد سادة التابعين رحمه الله،
إسلام فاطمة بنت أسد وهجرتها فقال: أم علي بن أبي
طالب - رضي الله عنه - فاطمة بنت أسد بن هاشم، أسلمت
وهاجرت إلى المدينة^(٢).

• وتحدث ابن سعد عن مكانة فاطمة بنت أسد عند
رسول الله ﷺ فقال: أسلمت فاطمة بنت أسد وكانت امرأة
صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقبل في بيتها^(٣).

• وكان رسول الله ﷺ يحترمها احتراماً شديداً لما كانت
عليه من صلاح ودين، وكان يحسن إليها لما كانت عليه من
أخلاق وحسن رعاية وبر بالنبي ﷺ.

• ولما تزوج ابنها علي - رضي الله عنها - فاطمة ابنة

(١) الاستيعاب: (٤/٣٧٠).

(٢) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧١٦٨) والإصابة (٤/٣٦٨).

(٣) انظر الطبقات الكبرى (٨/٢٢٢) وصفة الصفوة (٢/٥٤).

رسول الله ﷺ، كانت فاطمة بنت أسد مثال الحناة الطيبة
والأم السؤوم، ويحدثنا سيدنا علي عن هذا فيقول: قلت
لأمي فاطمة بنت أسد: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ
سقاية الماء، والذَّهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل
الطحن والعجن^(١).

• ولحكايتها الرقيقة عند رسول الله ﷺ، كان يتحفها
بالهدية، فمن جعلته بن هبيرة عن علي قال: أهدى إلي
رسول الله ﷺ حلّة إسترق فقال: «اجعلها خُمراً بين
القواطم، فشفقتها أربعة أحمرّة، خمراً لفاطمة بنت رسول الله
ﷺ، وخمراً لفاطمة بنت أسد، وخمراً لفاطمة بنت حمزة،
ولم يذكر الرابعة^(٢).

• وما دنا في ذكر القواطم، فالقواطم الصحابيات أربع
وعشرون صحابية، كل واحدة منهن اسمها فاطمة، والقواطم
اللاتي ولدن النبي ﷺ: قرشية، وفيمستان، ويمانيستان،
وأزديّة، ونزاعية^(٣).

(١) انظر صفة الصفوة (٥٤/٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٢١/٣) ومجمع
الزوائد (٢٥٦/٩).

(٢) انظر الإحسان (٣٧٠/٤)، وأسدا الغلاة ترجمة رقم (٧١٧٢). قال
ابن حجر: ولعلها - أي الرابعة - امرأة عقيل بن أبي طالب، واسمها
فاطمة بنت شيبة.

(٣) انظر مادة «فطم» في القاموس المحيط ولسان العرب.

هذا فقال: هي أول هاشمية ولدت لها اسمي، وهي أيضاً أول هاشمية ولدت لخليفة، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين لا تعلم غيرهن.

• وكان لفاطمة بنت أسد - رضوان الله عليها - مكانة سامية في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وخاصة شعراء الصحابة؛ فقد ذكرها حسان بن ثابت شاعر الرسول لما رثي ولدها جعفر بن أبي طالب عندما استشهد في مؤتة^(١)، وهذا الحجاج بن علاط السلمي - يمدح سيدنا علي بن أبي طالب، عندما قتل طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين يوم أحد، ويذكر أمه فاطمة:

لله أبي مدني عن حرمة

أعني ابن فاطمة المعتم المخولا

جادت بذلك له يعاجل طعة

تركك طلحة للمجيب مجذولا^(٢)

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت (ص ٢٢٢) طبعة دار المعارف.

(٢) انظر هذا المعبر في ديوان حسان بن ثابت (ص ٩٠)، والسيرة النبوية لابن

هشام (١٥١/٢)، وانظر ترجمة الحجاج بن علاط في الإصابة، وانظر

وفاتها وكرامتها - رضي الله عنها - :

• ذكر السهودي - رحمه الله - في كتابه النقيس ووفاء الرقا بأخبار دار المصطفى، أن رسول الله ﷺ قد دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء في المدينة المنورة.

وكانت لفاطمة مكانة كبيرة في نفس النبي الكريم، فلما توفيت لم ينس رسول الله إكرامها، فقد ذكر أنه كمن فاطمة في قميصه، واضطجع في قبرها، وأثنى عليها خيراً^(١).

• ومن الأخبار الذهبية التي تضاف إلى كرامات الصحابة الحليلة فاطمة بنت أسد، ما ذكره السهودي من أن النبي ﷺ، لم ينزل في قبر أحد قط إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - بمكة، وأربع بالمدينة، قبر ابن خديجة كان في حجر النبي ﷺ وتربيته، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له ذو الجهادين، وقبر أم رومان^(٢) أم عائشة بنت أبي بكر الصديق، وقبر فاطمة بنت أسد^(٣) رضي الله عنهم جميعاً.

• وكان لوفاة فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - أثر كبير في نفس النبي الكريم، وفي نفوس الصحابة، وقد أثنى عليها

= البداية والنهاية (٣٣٦/٧).

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧١٦٨).

(٢) انظر سيرة أم رومان في هذا الكتاب.

(٣) عن وفاة الرقا للسهودي (٨٩٧/٣).

بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ، إذ أتاه آت فقال: يا رسول الله إن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى أمي» فقمنا وكان علي رؤوس من معه الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال: «إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها».

فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدم، ومرة يتأخر، حتى انتهينا إلى القبر، فتمعك في اللحد ثم خرج فقال: «أدخلوها باسم الله وعلى اسم الله» فلما أن دفنوها قام قائماً فقال: «جزاك الله من أم وربيبة خيراً، فتعم الأم ونعم الربيبة كنت لي» قال: فقلنا له أو قيل له: يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط! قال: «وما هما؟ قلنا: نزعك قميصك وتمعك في اللحد، قال: «أنا قميصي فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليهما في قبرها»^(١).

وفي رواية أخرى تُضاف إلى كرامة فاطمة وهي أن النبي ﷺ، اضطجع في لحدها ثم قال: «اللَّهُ الَّذِي بَحِي وَبِعِيَتْ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلِقْنَهَا»^(١). انظر وفاة الوفا (٣/٨٩٧).

حُجَّتْهَا، وَوَسَّعَ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا؛ بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعاً فَأَدْخَلَهَا الْمَلْحَدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ (١).



بِشَارَتِهَا بِالْجَنَّةِ:

* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٢٣].

* الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَاحِدَةٌ مِنَ الْمَسَاءِ الْمَوَاتِي سَارِعِنَ إِلَى نَصْرَةِ الرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ بِكُلِّ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَسَدَتْ صَنِيعاً ظَنِيماً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَوَقَفَتْ وَقْفَةً مَبَارَكَةً مِنْذُ فَجَزَّ الْإِسْلَامَ إِلَى أَنْ لَقِيَتْ رَبَّهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ لَا يَضِيعُ الْإِحْسَانَ، وَلَا يَنْكُرُ الْجَمِيلَ مَعَ أَحَدٍ صَنَعَ مَعَهُ مَعْرُوفاً أَوْ جَمِيلاً، فَكَيْفَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ مَقَامَ أُمِّهِ، وَهَاجَرَتْ إِلَى اللَّهِ

(١) انظر مجمع الزوائد (٢٥٧/٩).

عنه الصلاة والسلام بالفضل والحجر عندما نوبت، فمن سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي - رضي الله عنها - دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها فقال:

«رحمك الله يا أمي، كنت بعد أمي تجوعين وتشبعيني، وتعززين وتنكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطمعيني؛ تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة»^(١).

* وقد نالت فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - البشارة بالجنة، ولترك سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يقص علينا نبأ هذه البشارة العظيمة فيقول:

لما ماتت فاطمة أم علي ألسها النبي ﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا! فقال:

«إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها»^(٢).

(١) انظر التحريم الزاهرة (١/١١٩).

(٢) انظر مجمع الزوائد (٩/٢٥٦) وذكر الهيثمي أن الطبراني قد روى الحديث.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١١٨)، وقد أورده الهيثمي بلفظ قريب

• وأورد هنا أن أوردَ خبراً مباركاً لفاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - ، فقد ذكر صاحب السيرة الحلبية نقلاً عن القرطبي في التذكرة، أن الله سبحانه وتعالى قد خصَّ رسوله الكريم محمداً ﷺ بأنه لا يُصنّف في قبره، وقد سلّمتُ فاطمة بنت أسد من صبغة القبر ببركته ﷺ، حيث احتضج عليه الصلاة والسلام في قبرها^(١).

• وبعد، فهذه فاطمة بنت أسد الصحابة الجليلة التي حظيت بتكريم الله وتكريم رسوله فنالت الجزاء الأوفى، ولعلنا ونحن في عتام سيرتها المعطر أن نذكر لها منقبة شريفة، وهي أنها من راويات الحديث، فقد روت عن النبي الكريم ﷺ (٤٦) حديثاً، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه.

ولعله من الخير أيضاً أن نذكر هنا ما قاله ﷺ في فضيلة نساء قريش، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«نساء قريش خير نساء ركب الإبل، أحنأه^(٢) على طفل

= في مجمع الزوائد (٢٥٧/٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وانظر الاستيعاب (٣٧٠/٤) وأسد الغابة ترجمة رقم (٧١٦٨)، ووفاء الوفا (٨٩٨/٣).

(١) انظر السيرة الحلبية (٦٧٣/٢).

(٢) من الحنو: العطف.

هريرة يقول: ولم تزلت مريم ابنة عمران بغير فظ

• رحم الله فاطمة بنت أسد الصحابية الخيرة من أهل
الجنة التي صلّت عليها الملائكة، ونصّر الله قبرها.

ومع وداع سيرة هذه الصحابية المباركة المعطاء نقرأ قوله
تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ • فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
مَقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: الآيات ٥٤ و ٥٥].



(١) من الحفظ والمراجعة.

(٢) في جامع الأصول لابن الأثير (٩/٢١٠) تنمة لقول أبي هريرة وهي: «ولو
علمت أنها زكيت بغيراً ما قفلت عليها أخداً».

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع في كتاب الأنبياء، والكناف، والتمتقات،
ورواه مسلم والإمام أحمد أيضاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَشَارِقُ مَشْرِقِ كِتَابِ الْحَيْثِيَّةِ

1412 هـ

أم حَرَامُ بِنْتُ مِلْحَانَ
رضي الله عنها

«أول جيش من أمتي يمزون البحر قد أوجبوا»
قالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم»

حديث شريف

«أنت من الأولين ولست من الآخريين»

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والعبر
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

أُمُّ حَرَامِ بِنْتُ مَلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

السَّابِقَةُ السَّابِقَةُ:

* أُمُّ حَرَامِ بِنْتُ مَلْحَانَ بْنِ خَالِدِ الْأَنْصَارِيِّ النَّجْرَانِيَّةِ الْمَدِينِيَّةِ، وَاحِدَةٌ مِنْ عَلِيَّةِ النِّسَاءِ اللَّاتِي كَتَبَ لِهِنَّ الْخُلُودَ، وَكَانَ لِهِنَّ شَأْنٌ بَيْنَ نِسَاءِ الْإِسْلَامِ.

* عَاصَرَتْ أُمَّ حَرَامٍ أَحْدَاثَ النُّبُوَّةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَكَانَتْ مِنَ اللَّاتِي حَظِيئِينَ بِشَرَفِ صَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، وَاصْطَبِغَتْ بِصِبْغَةِ الْإِسْلَامِ وَذَاقَتْ حَلَاوَتَهُ، فَاسْتَقَرَّتْ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِهَا النَّقِيَّةِ، وَبَدَأَتْ نَفْسُهَا الصَّافِيَةَ تَشْرُقُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ، وَتَقِيضُ بِالْبَذْلِ وَالْإِشَارِ وَالْخَيْرِ.

* وَأُمُّ حَرَامِ بِنْتُ مَلْحَانَ إِحْدَى السَّابِقَاتِ الْأَنْصَارِيَّاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَوَائِلِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي أَعْلَنَ إِسْلَامَهُنَّ قَبْلَ هِجْرَةِ

تعالى :

هُوَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة: آية ١٠٠].

* * *

الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ :

* أم حرام بنت ملحان أخت الغيمصاء، والغيمصاء هي
أم سليم بنت ملحان^(١) إحدى النساء الفاضلات المبشرات
بالجنة اللاتي تركن أثراً مباركاً وضاءً في عصر النبوة.

* وضيقة حلقتنا خالة سيدنا أنس بن مالك - رضي الله
عنه - ، وأخت البطلين الشَّهيدَين حرام وسليم ابني ملحان بن
خالد، شهدا بدرًا وأحدًا، وقُتِلَا شهيدَين يوم بئر معونة،
وحرامُ بن ملحان أخوها؛ هو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ
إلى عامر بن الطفيل زعيم بني عامر وأحد الشعراء الفرسان،

(١) انظر سيرة أم سليم في هذا الكتاب.

فلما أتاه بالكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على حرام فقتله^(١).
وروي عن سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن حاله
حرام بن ملحان طعن يوم بئر معونة في رأسه فتلقت الدم بكفه
وقال: فزئت ورب الكعبة^(٢).

* وأُم حرام كذلك هي أم الشهيد قيس بن عمرو بن قيس
وزوج الشهيد عمرو بن قيس بن زيد، فقد شهد ابنها قيس
بدرًا، وشهد مع أبيه أحداً وقتلا شهيدين يومها - رضي الله
عنهما - .

* وحتى تكتمل أغصان الشجرة الطيبة فقد تزوجها أحد
أبطال الإسلام وعلماهم سيدنا عبادة بن الصامت، وما أدراك
ما عبادة! فهو واحدٌ ممن شهدوا العقبة مع السبعين من
الأنصار وأحد النقباء الاثني عشر، شهد المشاهد كلها مع
رسول الله ﷺ، وكان عقبياً نقيباً بدرياً أنصاريًا، فأكرم بهذه
الأوسمة المباركة.

وأنجيت منه ابنها محمد بن عبادة بن الصامت، وكان
سيدنا عبادة - رضي الله عنه - يحسبُ لزوجهِ أم حرام وإلى
ابنها عبد الله بن عمرو بن قيس ربيبه، وكان عبد الله بن

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص ١٨٠).

(٢) انظر الاستبصار (ص ٣٦).

* في هذه البيئة الطيبة المتفرّعة بالبركة والخير كانت حياة الصّحابة الجليّة أمّ حرام بنت ملحان، ومن زوجها الصّحابي الجليل عبادة بن الصّامت اقتبست كلّ معالم الخير والفضائل التي كانت موجودة فيه، فقد كان أحد كتّاب الرّوحى، وأحد معلّمي القرآن وجامعيه، وأحد النّجوم الأبرار ليلة العقبة، وبطل الأبطال في بدر أمّ الأبطال، وغيرها من المشاهد، وكان علماً منيراً في بيعة الرضوان، وغير ذلك من المكارم التي استوحّتها منه، فشاركت في نصرة الإسلام ونشره - رضي الله عنها وعنه - .

* * *

المكانة العليّيا:

* اشتهرت الصّحابة الجليّة أمّ حرام بالتقوى والورع والفضل، وهي كما قال عنها الإمام الذّهبي رحمه الله تعالى: كانت من عليّة النّساء^(٢).

ولذلك كان النّبي الكريم ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها في

(١) انظر في هذا كتاب الاستبصار (ص ٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣١٦/٢).

قِبَاء^(١) ذلك المكان الذي نزل فيه رسول الله ﷺ أول ما هاجر إلى المدينة المنورة.

وكان عليه الصلوة والسلام إذا ذهب إلى قباء استراح عندها، فكانت تكرمه وتُسِّرُّ به، وكان رسول الله ﷺ يدخل عليها زائراً وعلى أختها أم سليم، حدثت عن هذا أنس - رضي الله عنه - فقال: دخل علينا رسول الله ﷺ ما هو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام فقال: «قوموا فلاصلُّ بكم» فصلى بنا في غير وقت صلاة^(٢). ولما انتهت هذه الصلوة دعا لأهل البيت بكل خير من خيري الدنيا والآخرة.

ومن الجدير ذكره هنا أن العلماء اتفقوا على أن أم حرام وأم سليم كانتا محرماً لرسول الله ﷺ، فقد ذكر ابن عبد البر أنهما كانتا إحدى خالاته من الرضاعة، وذكر آخرون أنهما كانتا خالتان لأبيه أو لجدّه، لأنَّ عبد المطلب كانت أمه من بني النجار^(٣).

* وكانت لأم حرام مكانة كبيرة عند النبي الكريم؛ فقد روي أنه ﷺ كان يدخل على أخت أم سليم وهي أم حرام -

(١) انظر وفاء الوفا للمسيحي (٣/٨٨٢).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، باب: جواز الجماعة في النافلة، وانظر الاستبصار (ص ٣٩ و ٤٠).

(٣) انظر النووي على شرح مسلم (١٣/٥٧) وانظر السيرة الحلبية (٧٣/٣).



رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصّامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ فاطعمته ثم جلست تُقلّي رأسه فنام رسول الله ﷺ^(١).



حُبّها للجّهاد:

* كانت الصّحابيّة الكريمة أم حرام - رضوان الله عليها - تتمنى أن تكون مع ركب الشهداء، وذلك لما للشهداء من منزلة وكرامة عند الله سبحانه، وكانت الشهادة في سبيل الله نصب عينها، وحلماً تؤدّ تحقيقه، وكثيراً ما كانت تسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقها الشهادة إلى أن بشرها رسول الله بذلك ودعا لها بالشهادة^(٢)، وأخبرها بأنها شهيدة^(٤) ستغزوا في البحر.

* وفي كتابه النفيس - الاستبصار - ذكر ابن قدامة

(١) انظر نسب قريش (ص ١٢٤) والسيرة الحلبية (٧٣/٣).

(٢) انظر دلائل النبوّة للبيهقي (٤٥٠/٦)، وانظر وفاة الوفا (٨٨٢/٣).

(٣) الاستيعاب (٤٢٤/٤).

(٤) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٠٣).

المقدسي - رحمه الله - أن أم حرام كانت تُدعى الشهيدة
لحديث روته عن رسول الله ﷺ يشرها فيه أنها من
الأولين^(١).



من مناقبها:

لأم حرام - رضي الله عنها - مناقب تفيض بالبركة، وتسم
بالكرم؛ فمن ذلك أنها كانت حافظة واعية لحديث رسول الله
ﷺ، روت عن النبي الحبيب ﷺ خمسة أحاديث، أخرج لها
منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه^(٢)، وروى عنها
زوجها سيدنا عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ، وسيدنا
أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، وروى عنها كذلك عمير
ابن الأسود وعطاء بن يسار ويعلى بن شداد بن أوس^(٣)
وغيرهم.

* ومما يُضاف إلى مناقب أم حرام رضوان الله عليها،
البذل والإيثار لرسول الله ﷺ والقيام على خدمته كلما زارها،
وفضيلة الجود والإيثار من صفات الأنصار الذين كانوا يؤثرون
على أنفسهم غيرهم، وخاصة المهاجرين من صحابة رسول

(١) انظر نسب قريش (ص ١٢٥).

(٢) المعجمي (ص ١٠٥). وقيل أنها روت سبعة أحاديث.

(٣) انظر الإصابة (٤/٤٢٤) وتاريخ الإسلام (٢/٣١٨).

الشَّحْ دَاءٌ غُضَالٌ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ خَيْرٌ، وَقَدْ سَجَّلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ الْمِيزَةَ الْمِيزَةَ لِلْأَنْصَارِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: آية ٩].

* * *

بِشَارَتُهَا بِالْجَنَّةِ:

* قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهَدُوا إِلَى الطُّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: آية ٢٣ و ٢٤].

* الصَّحَابِيَّةُ الْمِعْطَاءُ أُمَّ حَرَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا - وَاحِدَةٌ مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي عُرِفْنَ بِنَقَاءِ السَّرِيرَةِ وَصِدْقِ الْإِيمَانِ، وَالْإِحْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، فَحَمَلَهَا الشُّوقُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَكَانَتْ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ، وَسَأَلَتِ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهَا لِيَجْعَلَهَا مِنَ الشُّهَدَاءِ قَدَعَا لَهَا بِذَلِكَ، فَاسْتَطَارَ

قلْبُهَا فَرِحًا وَاسْتَبْشَارًا بِذَلِكَ، وَاسْتَقَرَّتْ صُورَةُ الشَّهَادَةِ فِي أَعْمَاقِهَا، وَبَاتَتْ تَرْجُوهَا، فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ.

* وَانْتَقَلَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَهُوَ رَاضٍ عَنِ أُمِّ حَرَامٍ، وَجَاءَ عَهْدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ الْفَتْوحَاتِ، وَلَمَّا كَانَ عَهْدُ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ ابْنِ عَفَّانٍ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ -، اسْتَمَرَّتِ الْفَتْوحَاتُ وَتَوَسَّعَتْ، وَفِي سَنَةِ (٢٧) هِجْرِيَّةٍ غَزَا سَيِّدُنَا مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ قَيْرُصَ فِي الْبَحْرِ، وَخَرَجَتْ أُمُّ حَرَامٍ - مَعَ زَوْجِهَا عِبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - غَازِيَةَ فِي الْبَحْرِ، وَهَنَا حَمَلَتْهَا الذُّكْرِيَّاتُ إِلَى أَعْوَامٍ مَضَتْ، وَتَذَكَّرَتْ بِشَارَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ بِأَنَّهَا سَتَغْزُو فِي الْبَحْرِ وَتَسْتَكُونُ شَهِيدَةً.

وَلَسْتُ لِكُنْتُ الْآنَ حَدِيثَ الْبَشَارَةِ تَرْوِيهِ لَنَا صَاحِبَةُ الْبَشَارَةِ نَفْسَهَا أُمُّ حَرَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، فَقَدْ ذَكَرَ عُمَيْرُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيُّ أَنَّهُ أَتَى سَيِّدَنَا عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ بِسَاحِلِ حَمِصٍ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ، قَالَ عُمَيْرُ: فَحَدَّثْتُنَا أُمُّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» - أَيِ وَجِبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ - قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ» (١).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ بِرَقْمِ (٢٩٢٤) بَابِ فِيمَا =

البحر، إذا صرنا لن رايها ليعلم حركتها بين البحر والبر
رمتها بغلة لها فماتت - رضي الله عنها - .

ولستمع إلى سيدنا أنس - رضي الله عنه - يحدثنا عن
قصة استشهاد خالته أم حرام فيقول: دخل رسول الله ﷺ
على ابنة ملحان، فاتكأ عندها ثم ضحك.

فقال: لِمَ تضحك يا رسول الله؟

فقال: «ناس من أمي يركبون البحر الأخضر^(١) في سبيل
الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة».

فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: «اللهم اجعلها منهم».

ثم عاد فضحك، فقالت له: مثل أو مم ذلك؟.

فقال لها: «مثل ذلك».

فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «أنت من الأولين ولست من الآخرين».

قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع

= قيل في قتال الروم، وانظر جامع الأصول (٩/١٤٩ و ١٥٠)،
وانظر صفة الصفوة (٢/٧٠) وانظر تاريخ الإسلام (١/٣٩٥).
(١) هو البحر الأبيض المتوسط.

بنت قرظة^(١)، فلما قفلت ركبت دابتها، فَوَقَّصَتْ^(٢) بها فسقطت عنها فماتت^(٣).

* وهكذا نالت أم حرام الجنة وحظيت بالشهادة كما أخبرها بذلك رسول الله ﷺ.

* * *

مَنْ كَرَامَاتِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا:

* للشهداء مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وأم حرام الشهيدة قد أكرمها الله بعد موتها، وفي قبرص قبر يُدعى بقبر المرأة الصالحة، ومن الطريف أن البلاذري قد ذكر في كتابه «فتوح البلدان» خبراً مباركاً فقال: لما غُزيت قبرس - قبرص - الغزوة الأولى ركبت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت، فلما انتهوا إلى قبرص خرجت من المركب، وقُدِّمَتْ إليها دابة فعثرت بها فقتلتها، فقبرها بقبرص يُدعى قبر المرأة الصالحة^(٤).

وذكر أبو الحسن ابن الأثير وغيره خبر تلك الغزوة فقالوا:

(١) هي فاختة بنت قرظة زوجة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) أي وثبت ورمتها.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد، والإمام مسلم في كتاب الإمارة،

وانظر البداية والنهاية (٢٢٢/٦)، ومجمع الزوائد (٢٦٣/٩)،

وانظر كذلك دلائل النبوة للبيهقي (٦/٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢).

(٤) فتوح البلدان (١/١٨٢)، وانظر كذلك الأعلام للزركلي (٢/١٨٢).

الجيس الساروة بن أبي السليمان بن سارة الساروة بن أبي
وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة وذلك سنة سبع
وعشرين^(١) التي توافق سنة (٦٤٧) من الميلاد.

* ومن الأخبار المباركة ما ذكره هشام بن الغاز إذ قال:
قبر أم حرام بنت ملحان بقبس وهم يقولون هذا قبر المرأة
الصالحة رحمها الله^(٢).

* وقال هشام أيضاً: رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل
ببافيس^(٣) سنة إحدى وتسعين. وقال الذهبي رحمه الله:
وبلغني أن قبرها تروره الفرنج^(٤). وذكر الزبيدي - رحمه الله -
في تاج العروس كرامتها ومشاهدته للجزيرة فقال: ولها مقام
عظيم بظاهر الجزيرة، اجتزت بها في البحر عند توجهي إلى
بيت المقدس، وأخبرت أن علي مقامها أوقافاً هائلة وخدماء
وينقلون عنها كرامات.

* وذكر عن كرامة أم حرام أن الناس يقولون: هذا قبر
المرأة الصالحة وهم يعظمونه ويستسقون به.

(١) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٠٣)، والنجوم الزاهرة (١/٨٥)،
وانظر الأعلام للزركلي (٢/١٨٢).

(٢) انظر الحلية (٢/٦٢) وصفة الصفوة (٢/٧٠) وورد في معجم البلدان
قبس بالسين.

(٣) انظر صفة الصفوة (٢/٧٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٦/٤٥٢).

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٣١٧).

* ومن الخير هنا أن نُورد ما علقَ به الدكتور وهبة الزُّحيلي على الاستسقاء بالصالحين وزيارتهم فيقول: لا شكَّ بأنه ليس تعظيم عبادة وشرك، وإنما حبٌّ واحترام، وأما الاستسقاء بالصالحين أو التوسل فهو كالأستسقاء بالعباس عمَّ النبي ﷺ الثابت في الآثار، والمرجع في الحقيقة هو الله، والذي دلَّ عليه القرآن الكريم هو دعاء الله مباشرة دون توسل^(١).

* وبعد، فهذه لمحات عبقة شديدة من حياة هذه الصحابية التي عاشت حميدة، وماتت شهيدة، وتحققت بشارَةُ النبي ﷺ بأنها «مَلِكٌ على سرير»؛ فقد كانت أول مجاهدةٍ في البحر، وأول مَنْ غزت في البحر الأبيض المتوسط من النساء - رضي الله عنها - .

* رحم الله أمَّ حرام بنت ملحان ورضي عنها، ورحم الله أبا نعيم الذي استهلَّ ترجمته لأمَّ حرام بقوله: حميدةُ البرِّ، شهيدةُ البحر، التواقة إلى مشاهدة الجنان، أمَّ حرام بنت ملحان^(٢).

* ونحن في وداع سيرتها الطيبة نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) عن كتاب عبادة بن الصَّامت للمزحيلي (ص ٢٩).

(٢) الحلية (٢/٦١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤١٢ هـ

أم عمارة
نسيئة بنت كعب
رضي الله عنها

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُم رَفَقَانِي فِي الْجَنَّةِ»

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ يوم أحد عن نسيئة:

«مَا التَفْتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تَقَاتِلُ دُونِي»

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والمسیر

في موقع المفكرة الدعوية

www.dawahmemo.com

أم عمارة
نسيئة بنت كعب
رضي الله عنها

المُجَدَّةُ الْمُجْتَهِدَةُ:

- * الحديث عن هذه الصحابية شائقٌ وجميل، أسرٌ للنفس بقدر ما هو مؤثرٌ فيها، فقد أخذت من كل فضيلة بطرف.
- * إذا تحدثت عن الأم المثالية، وجدت الأم الرووم.
- * وإن تحدثت عن الزوجة الوفيّة، جاءت في أولى الأسماء.
- * وإن تحدثت عن السبقي إلى الإيمان، كانت من الأوائل.
- * وإن طلبتها في الجهاد، ألفتها من الأبطال المعدودين الذين ينافحون عن رسول الله ﷺ.
- * أما إذا بحثت عن العبادة والنسك، ألفتها قانتة عابدة.



* فأي امرأة هذه التي جمعت هذه الفضائل كلها؟! وإن شئت فقل: جمعت فيها هذه المكارم.

* لا شك - عزيزي القارئ - أنه شاقك معرفة هذه الصحابية الجليلة. الإمام أبو نعيم الأصبهاني يصفها في حديثه بقوله: أم عمارة المبايعة بالعقبة، المحاربة عن الرجال والشبية؛ كانت ذات جد واجتهاد، وصوم ونسك واعتماد.

* والآن، نستضيف الإمام شمس الدين الذهبي ليعرفنا صحابية اليوم فيقول: أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول،... الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية التجارية المازنية المدنية^(١).

* إذن، فهذه الصحابية الفاضلة من الأنصار الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن بني النجار الكرام أحوال النبي الحبيب ﷺ الذين نزل في ديارهم عند الهجرة الشريفة.

* رسمت نسيبة^(٢) بنت كعب - في حياتها - صفحات من

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٧٨).

(٢) نسيبة: ضُبطها بفتح النون وكسر السين كل من الفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي شارح القاموس، والأمير ابن ماكولا، =

البطولة؛ ظلت الأجيال ترونها جيلاً بعد جيل بإعجاب وتقدير، وظلت نسبة تحظى بالمكانة اللائقة بين نساء الإسلام، من يوم أن بايعت العقبة إلى حين وفاتها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* * *

وامراتان:

* يذكر معظم المؤرخين وكتاب التراجم وأصحاب السير والمعازي، أن الانتصار الذين حضروا بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلاً وامراتان، وقد تكفل الإمام محمد بن إسحاق في السيرة النبوية بسرد أسمائهم وقبائلهم، وتابعه على ذلك المؤرخون ومنهم الإمام ابن كثير في البداية والنهاية^(١).

* أمّا المرأتان: فالأولى ضيفة حلقتنا هذه، وهي أم

= وابن الجوزي في صفة الصفوة. بينما ضبطها غيرهم بضم النون بالتصغير وهو المشهور، والعرب تعيل إلى التصغير في هذا الشأن. ذكر الزبيدي في التاج فقال: نسي بنت كعب أم عمارة، ونسيبة بنت سمالك بن العجمان بفتح النون. ونسيبة بنت نيار، ونسيبة بنت الحارث أم عطية بضم النون. وهن صحابيات رضوان الله عليهن أجمعين. (عن تاج العروس ٢٦٤/٤ طبعة الكويت).

(١) البداية والنهاية (٣/١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨).

اسماء بنت عمرو بن عبد المطلب السامية - رضي الله عنهما - .

في تلك الليلة المباركة بزغ نجم أمّ عمارة، وأشرقت نفسها بالإسلام من قبل على يدي الصحابي الجليل سيدنا مصعب بن عمير سفير رسول الله ﷺ، الذي أثرى المدينة بأخلاقه العطرة، وأثر في نفوس أهلها ببيانه الساحر وحجته اللطيفة وأسلوبه الأسر الهادي، وهو من نجباء مدرسة النبوة، ومن تلاميذ النبي الكريم ﷺ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

* * *

البيعة المباركة:

* في تلك الليلة المباركة، كان رسول الله ﷺ قد أخذ العهد على الأنصار بأن يبايعوه، وتكلم ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون من نساءكم وأبنائكم»^(١).

وأجاب الأنصار ليلتئذ، وأقبلوا على مبايعة رسول الله ﷺ، وتمت البيعة، وبايعت أمّ عمارة رسول الله ﷺ على ما بايع

(١) السيرة الحلبية (٢/١٧٥).

عليه النَّساء^(١)، وفتح الثَّارِخُ صفحة مباركة، سجَّل فيها هذه البيعة، وجاء فيها اسم نسيبة بنت كعب إحدى نساء الأنصار اللاتي واكبن مسيرة الإسلام في العهد المدني كله، وعن هذه البيعة العظيمة تتحدث أم عمارة فتقول: شهدت عقْد النَّبي ﷺ والبيعة له ليلة العقبة، وبايعتُ تلك الليلة مع القوم^(٢).

* ولكن كيف بايعت أم عمارة رسول الله ﷺ، والرَّسول الكريم لا يصفحُ النَّساء؟ أم عمارة نفسها تحدثنا عن صفة بيعتها فتقول: كانت الرَّجَالُ تصفُّوْا على يدي رسول الله ﷺ ليلة العقبة، والعبَّاس - عمُّ النَّبي - آخذُ بيدِ رسول الله ﷺ، فلما بقيتُ أنا وأم منيع نادى زوجي غزيرة بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك، فقال: «قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إنِّي لا أصفحُ النَّساء»^(٣).

* ولما رجع الأنصار من العقبة إلى المدينة، شاركت أم عمارة في نشر الإسلام بين نساء الأنصار، وعزَّزت إيمان ولديها وأهلها وقومها.

* * *

(١) انظر أنساب الأشراف (١/٢٥٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٤١٢).

(٣) رِوَاة الإمام مالك في الموطأ في كتاب البيعة، والإمام أحمد في مسنده، وانظر الإصابة (٤/٤٥٧).

* كانت أم عمارة متزوجة من زيد بن عاصم المازني النجاري، فولدت له عبد الله وحيباً، وصحباً النبي الكريم ﷺ، ثم خلف عليها غزية بن عمرو المازني النجاري، فولدت له خولة، وكان لأولادها وأسرته شأن كبير في الإسلام.

وفي تاريخ التُّصحية والثبات أبدع حبيب ابنها إبداعاً مباركاً بقي أريج المعطار يربطُ الأسماع إلى يومنا هذا.

* * *

مشاهدتها:

* ذكر المؤرخون وكتاب التراجم والسير أن الصحابة الجليلة أم عمارة شهدت عدة مشاهد مع رسول الله ﷺ وهي: بيعة العقبة، وأحد، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضية، والفتح، وحنين^(١). وكانت ممن شارك في حرب المرتدين في يوم اليمامة، والقضاء على مسيلمة الكذاب وأعوانه.

* في كتابه القيم «سير أعلام النبلاء»: ذكر الإمام الذهبي

(١) انظر في هذا طبقات ابن سعد (٤١٢/٨)، وصفة الصفوة (٦٣/٢)، والإصابة (٤٥٧/٤)، والأعلام للزركلي (٨/٣٣٤).

جِهَادَ أُمِّ عِمَارَةَ وَمَشَاهِدَهَا فَقَالَ: شَهِدْتُ أُمَّ عِمَارَةَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِدْتُ أَحَدًا وَالْحَدِيثِيَّةَ وَيَوْمَ حَنْينَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَجَاهَدْتُ، وَفَعَلْتُ الْأَفَاعِيلَ.

* وَفِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ كَانَتْ أُمُّ عِمَارَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَسَجَّلُ الْمَوَاقِفَ الْوَضَاءَةَ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَقَاتِلَةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ.

وَمِنَ الطَّرِيفِ أَنَّهَا بَايَعَتِ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ عَلَى النُّصْرَةِ وَوَقَّتْ بِهَذَا فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، فَأَحْسَنَتْ وَأَجَادَتْ، بَلْ كَانَ لَهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ يَوْمَذَلِكَ مَا جَعَلَهَا تَنَالِ الْبَشِيرَةِ بِالْجَنَّةِ مَعَ أَسْرَتِهَا كُلِّهَا، فَنَالَتْ تِلْكَ الْمَوَاقِفَ الْمُبَارَكَةَ الْوَضَاءَةَ نَجَدَ فِيهَا مَقَامَ الصَّحَابِيَّةِ الْكَبِيرَةِ قَرَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الْمَقَامَ الَّذِي سَبَقَتْ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

* * *

مَوَاقِفُهَا وَبُطُولَاتُهَا يَوْمَ أَحَدٍ:

* لِأُمِّ عِمَارَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بَطُولَاتٌ رَائِعَةٌ، وَمَوَاقِفٌ نَادِرَةٌ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، وَكُلُّ مَوْقِفٍ مِنْهَا يَفِيضُ بِرَكَّةً وَتَضْحِيحَةً وَحَبًّا وَوَفَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي الصَّنَفَاتِ التَّالِيَةِ نَلْمَسُ بِرَكَّةَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ.

* في غزوة أحد، خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولدها عبد الله وحبيب وزوجها، واندفع زوجها وأولادها يجاهدون في سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقي العطشى وتضمّد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيأية ولا وجلّة وذلك عندما تفرّق الناس؛ من هول ما أصابهم في ذلك اليوم، عندها أخذت سيفاً وترساً ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها، ولستمع من أم عمارة تصف لنا ذلك الموقف الرهيب وتلك الساعة العسرة فتقول:

رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ؛ فما بقي إلا في نفي ما يتمون عشرة، وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه - ندافع عنه - والناس يمرون به منهزمين، ورأني ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس فقال: «ألق ترسك إلى من يقاتل» فآلقاه، فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله^(١).

* وفي هذا الموقف يلاقي أحد فرسان المشركين حتفه

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٩)، والمغازي (١/٢٧٠).

على يدي أم عمارة، ولتتابع السماع من أم عمارة لتكتمل لنا بقية القصة فتقول:

وتقبّل رجلٌ عليّ فرس فيضربني، وترسّت له فلم يصنع شيئاً وولّى، فأضربُ عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «يا ابن أم عمارة، أمك أمك» قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب^(١).

* إنَّ الإنسانَ ليدهش ويُسرُّ في آني واحدٍ لشجاعة أم عمارة التي لا تكاد نجد لها مثيلاً في تاريخ النساء، بل إنَّ لهذه الصّحابة تاريخاً حافلاً بالعطاء مرصّعاً بالجهاد، يزيّن جيّد الدهر بجماله وصفائه، وفي الموقف التالي نرى مصداق ذلك.

* * *

استقدت يا أم عمارة:

* مرة ثانية نرى أم عمارة حول الرسول ﷺ وقد رآها عليه الصلوة والسلام، والدم يتزف من كتفها، ولكن هذا لم يجعلها تتوقف عن الجهاد، بل ازدادت إصراراً على متابعة القتال حتى حظيت بدعاء الرّحمة من رسول الله ﷺ، يحدثنا عبد الله بن زيد - ابنها - عن ذلك فيقول:

شهدتُ أحداً مع رسول الله ﷺ، فلما تفرّق الناس عنه،
(١) انظر طبقات ابن سعد (٤١٤/٨). والشعوب: من أسماء المنية،
تعني قتلته.

الرم - لم يلبس بين يدي ربه من المسلمين بحجر ربه
 على فرسٍ فأصبت عينَ الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع
 هو وصاحبه، وجعلتُ أعلوه بالحجارة حتى نضدتُ عليه منها
 وقرأ - حملاً كبيراً - والنبي ﷺ ينظرُ يتسم، ونظرُ جُرْحِ أُمِّي
 على عاتقها فقال: «أَمَكْ أَمَكْ، اعصبْ جرحَها، رحمكم الله
 أهل البيت، ومقام ربيك - يعني زوج أمه - خيرٌ من مقام
 فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت»^(١).

* ثم بعد ذلك دعا النبي الكريم ﷺ لهذه الأسرة بمرافقته
 في الجنة، وما إن سمعت أم عمارة وابنها هذا الدعاء المبارك
 الطيب حتى انطلق كل واحد منهما يضاربُ ويقاقل، ولقي
 عبد الله به زيد رجلاً من المشركين، فضربه المشرك فجرحه
 جرحاً بليغاً في يده اليسرى ثم تركه ومضى بعيداً، وجعل
 الدم ينبعثُ من الجرح بكثرة، فراه رسول الله ﷺ وقال:
 «اعصبْ جرحك». ولمحت أم عمارة ابنها والدم يتدفقُ من
 جرحه، فأقبلتُ وأخرجتُ عصائبَ قد أعدتها للجراح،
 وربطت جرحه، وكان النبي الكريم ﷺ ينظرُ إلى هذين
 البطلين، ثم قالت لابنها: انهض بني فضاربِ القوم، فسَرَ
 الرسول الكريم ﷺ وجعل يقول: «ومنْ يطق ما تطيقين يا أمَّ
 عمارة؟».

(١) انظر طبقات ابن سعد (٨/٤١٤ و ٤١٥).

* وظلت أمّ عمارة - رضي الله عنها - قريبة من النبي الكريم ﷺ، والسيف مُصَلَّتْ بيدها تخطف به مَنْ يودُّ الاقتراب من رسول الله ﷺ بسوء، ولم تمض لحظات حتى أقبل المشرك الذي جَرَحَ ولدها، ورآه النبي الكريم ﷺ فقال لها: «هذا ضارب ابنك» واعترضته أمّ عمارة وضربته على ساقه فوق، ثم أجهز عليه الناس بالسلاح حتى مات، فقال لها رسول الله ﷺ: «استقدتِ يا أمّ عمارة».

* وتصف أمّ عمارة سرور النبي ﷺ لتلك الحادثة فتقول: رأيتُ رسول الله ﷺ يتسم حتى رأيت نواجذه.

ويقبل رسول الله ﷺ على أمّ عمارة قائلاً: «الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك تارك بعينك»^(١).

* وبهذا نالت أمّ عمارة - رضي الله عنها - الثناء العَظِيم من رسول الله ﷺ، كما نالت شهادة الشجاعة من الدرجة الأولى أيضاً، روي أن سيّدنا عمر بن الخطاب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما التفتُ يوم أحدٍ يمينا ولا شمالاً إلا وأراها تقاتلُ دوني»^(٢).

(١) عن طبقات ابن سعد (٤١٤/٨) بتصرف. وانظر سير أعلام النبلاء

(٢/٢٨٠)، وأعلام النساء (١٧٣/٥).

(٢) انظر حياة الصحابة (١/٥٩٥)، والإصابة (٤/٤٥٧)، وطبقات ابن

سعد (٤/٤١٥).



أمّ عمارة تصدُّ هُجُوماً:

* لم تتوقّف الصّحابيّة البظلة أمّ عمارة لحظةً واحدة في الدّفاع عن رسول الله ﷺ، بل جُرّحت بضعة عشر جرحاً منها جرحٌ أجوف كبير أصابها به ابن قميّثة، ولتترك إحدى الصّحابيات تجري هذا اللقاء الطّريف مع أمّ عمارة التي تروي ذكرياتها عن بطولاتها يوم أحد، والرّواية هي أمّ سعد ابن سعد بن الرّبيع - رضي الله عنها - وعن أبيها، تقول أمّ سعد:

دخلتُ على أمّ عمارة فقلتُ لها: حدثيني خبرك يوم أحد، فقالت نسيّة:

خرجتُ في أول النّهار إلى أحدٍ وأنا أنظرُ ما يصنعُ النّاس ومعي سقاءٌ فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ والدّولة والرّيحُ للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ؛ فجعلتُ أباهر القتال وأذبُ عن رسول الله بالسيف وارمي بالقوس حتى خلصتُ إلى الجراح.

(١) الإصابة (٤/٤٥٧).

وتصفى راوية الخبر أم سعد بن سعد جرح أم عمارة فتقول: فرأيت علي عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: يا أم عمارة من أصابك بهذا؟ وهنا تصف أم عمارة صدها لهجوم عدو الله عمرو بن قميئة فتقول:

أقبل ابن قميئة - أقماه الله - وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ وهو يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير - رضي الله عنه - ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان^(١).

ومن عظم تلك الجراح وتلك الضربة غشي علي أم عمارة، ولما أفاق لم تسأل عن زوجها أو عن ابنتها، وإنما قالت: أين رسول الله وما صنع المشركون معه؟ فأجابوها بقولهم: إنه بخير والحمد لله.

الله أكبر ما أعظم هذه المواقف الفياضة بالحب والفداء للنبى الكريم ﷺ.

* وإزاء هذه البطولات المباركة كانت نسيبة نال الثناء تلو الثناء من رسول الله ﷺ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يمدح

(١) عن طبقات ابن سعد (٤١٣/٨)، والبداية والنهاية (٣٤/٤)، والإصابة (٤٥٧/٤)، وعمون الأثر (٢١/٢) بتصريف يسير.

* نعم فقد كانت أمّ عمارة - رضوان الله عليها - تقاتل في ذلك اليوم أشد القتال، وكانت قد شدت ثوبها على وسطها، وكانت حصيلة غزوة أحد ثلاثة عشر جرحاً، أعظمها ذلك الذي أصابها به ابن قميّة في عاتقها وظلت تداويه سنة كاملة^(٢)، غير أن آثار الجرح ظلت تشهد لها بالشجاعة والإقدام طيلة حياتها المعطاء.

* * *

أمّ عمارة ونساء قريش:

* موقفان مختلفان يستحقان الوقوف والتعجب، موقف أمّ عمارة ونساء المسلمين اللاتي خرجن لغايات نبيلة، ومنهن من قاتلت حتى جرحت كأُمّ عمارة، وموقف آخر هو موقف نساء قريش اللواتي خرجن بصحبة الدُفوف والحقد يملأ نفوسهن، والمكاحل والمراد تملأ جيوبهن، وقد وصفت أمّ عمارة - رضوان الله عليها - نساء قريش وصفاً دقيقاً معبراً، ففي لقاء مبارك كانت أمّ عمارة تُسأل فيه عن بطولاتها وعن ذكرياتها يوم أحد، سُئلت عن نساء قريش فقيل لها: يا أمّ

(١) و (٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٨ و ٢٧٩).

عمارة هل كنن نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن^(١)؟
 فقالت أم عمارة: أعوذ بالله، لا والله ما رأيت امرأة منهن
 رمّت بسهم ولا حجر، ولكن رأيت معهن الدفّاف والأكّبار
 يضرين ويذكرون القوم قتلى بدر ومعهن مكاحل ومراد،
 فكُلما ولي رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مِروداً ومكحلة
 ويقلن: إنما أنت امرأة. ولقد رأيتهن ولين منهنّ من مشمرات،
 ولها - سها - عنهن الرجال أصحاب الخيل ونجوا على متون
 الخيل، وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن، فجعلن يسقطن
 في الطريق، ولقد رأيت هند بنت عتبة وكانت امرأة ثقيلة ولها
 خلق، قاعدة خاشية من الخيل ما بها مشي، ومعها امرأة
 أخرى حتى كثرت القوم علينا، فأصابوا منا ما أصابوا، فعند الله
 نحسب ما أصابنا يومئذ^(٢).



بَعْدُ غَزْوَةُ أَحَدَ:

* عاد الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة يوم غزوة أحد،

(١) من النساء اللاتي خرجن مع المشركين يوم أحد هند بنت عتبة،
 وأميمة بنت سعد، وبرزة بنت مسعود الثقفي، والبغوم بنت المعذل،
 وسلامة بنت شهيد، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وغيرهن، وانظر
 أسماءهن في المغازي (١/٢٠٢ و ٢٠٣).

(٢) عن المغازي (١/٢٧٢)، وأعلام النساء (٥/١٧٣ و ١٧٤) بتصرف
 يسير جداً.

المعركة لا تزال مستمرة، فقد نادى منادي النبي الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد قائلاً: إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس.

* ليلة واحدة قضاها المجاهدون في دورهم يداون وجراحهم، وفي الصباح؛ خرج المسلمون إلى حمراء الأسد، ونهضت الصحابة المجاهدة أم عمارة - رضي الله عنها - لتؤدي واجب الجهاد، وشدت عليها ثيابها، ولكن ترف الدم عوقها عن ذلك فما استطاعت الخروج.

* ولما رجع النبي الكريم ﷺ من حمراء الأسد، وما أن وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني - أخاها - يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسُرَّ بذلك النبي ﷺ^(١).

* وقد ظلت أم عمارة - رضوان الله عليها - تعالج جراحاتها سنة كاملة حتى التأم، وظل النبي الحبيب ﷺ يهتم بأمرها ويسأل عنها وعن أصحابه كلهم - رضي الله عنهم وأرضاهم -، كما ظل عليه الصلاة والسلام يذكر فضلها، ويشني على بلاتها وشجاعتها.

* وهكذا رأينا مواقف أم عمارة الوضاعة في أخذ، تلك

(١) انظر طبقات ابن سعد (٤١٣/٨).

الغزوة التي أوجبت فيها، كما أوجب فيها كثير من صحابة رسول الله ﷺ فنالوا الجنة ببركة دعائه ﷺ، ويصدق قلوبهم ونقاء نفوسهم، والله ذو فضل على المؤمنين.

* والآن، ماذا تبقى في جعبة أم عمارة عن الجهاد؟ لا شك أن رحلة جهادها لم تتوقف في أحد، بل استمرت إلى نهاية حياتها، وفي الصفحات التالية نتابع هذه الرحلة الشائقة في مقام الجهاد، ونرى بطولات أخرى للمصحابية الجليلة أم عمارة - رضي الله عنها - .

رحلة الجهاد:

* وتمضي الأيام، ويخرج النبي الكريم ﷺ لغزو بني قريظة الذين نقضوا العهد مع الله ورسوله، وترافقه الصحابة الجليلة أم عمارة في هذه الغزوة المباركة، وأعطى رسول الله ﷺ النساء اللاتي حضرن القتال من الغنيمه، ولم يسهم لهن .

أم عمارة وبيعة الرضوان:

* لأم عمارة - رضوان الله عليها - ذكريات مباركة في بيعة الرضوان - وما أدراك ما بيعة الرضوان - فقد بايعت - رضي الله عنها - مع من بايع، وها هي تروي خبير تلك البيعة عند الحديبية، عندما بعث رسول الله ﷺ سيدنا عثمان بن عفان

مر بنا رسول الله ﷺ يوماً لي مررتنا، فإذا هو قد بعده
 أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد قُتِلَ، فجلس في
 رحالنا ثم قال: «إن الله أمرني بالبيعة» فاقبل الناس يبائعونه
 في رحالنا، فكأنني أنظر إلى المسلمين قد
 تلبسوا السلاح وهو معنا قليل، إنما خرجنا عماراً، فانا أنظر
 إلى عربة بن عمرو - زوجها - وقد توشح بالسيف، فقممت إلى
 عمود كنا نستظل به، فأخذته في يدي ومعني سكين قد شدته
 في وسطي، فقلت: إن ذنا مني أحد رجوت قتله، فكان
 رسول الله ﷺ يومئذ يبائع الناس وعمر بن الخطاب - رضي
 الله عنه - أخذ بيده، فبائعهم على ألا يقرؤا^(١).

* ونالت أم عمارة - رضي الله عنها - رضاء الله مع
 المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، ولقد
 رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما
 في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً،
 [الفتح: ١٨].

* وفي الحديث نالت أم عمارة مكرمة أخرى، فقد خلق
 رسول الله ﷺ رأسه، وتسايق الناس للتبرك بأخذ شعره
 الشريف، وتحدثنا أم عمارة عن ذلك فتقول: وجعل الناس

(١) المغازي (٢/٥٢٢).

يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصون فيه - يقتسمونه -
وجعلت أزامم حتى أخذت طاقات من شعر^(١).

• وذكر أن أم عمارة ظلت تحتفظ بشعر النبي ﷺ،
وكانت تضعه في الماء ثم تسقيه للمريض تبركاً بآثار رسول
الله ﷺ.

* * *

في غزوة خيبر:

• خرج النبي الكريم ﷺ إلى خيبر، وخرج معه من
المدينة عشرون امرأة، منهم أم المؤمنين أم سلمة، وأم
عمارة بطلة الجهاد، وعدد آخر من نساء المهاجرين
والأنصار، وفتحت خيبر، وقد وصفت أم عمارة المغانم التي
غنمها المسلمون في أحد حصون خيبر، وقد أعطى رسول
الله ﷺ النساء اللاتي كن معه بعض الغنائم، وأخذت أم
عمارة نصيبها من مغانم خيبر خرزاً وبعض الملابس
وديتارين، ذكر أخوها عبد الله بن كعب هذا فقال:

رأيت في رقة أم عمارة خرزاً حمراً فسألته عن الخرز
فقال: أصاب المسلمون خرزاً في حصن الصعب بن معاذ -
أحد حصون خيبر - دُفن في الأرض، فأتي به إلى رسول الله

(١) المغازي (٢/٦١٥).

بمانيآ ودينارين وكذلك أعطى صواحي^(١).

أم عمارة في عُمرَةِ القَضِيَّة:

* عندما أزمع رسولُ الله ﷺ على عمرة القضاء خرجت معه أمُّ عمارة - رضي الله عنها - لتنال ثواب الله سبحانه ومرضاة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وتروي أمُّ عمارة بنفسها عن أداؤها هذه العمرة فتقول:

شهدتُ عمرةَ القَضِيَّة مع رسولِ الله ﷺ، وكنتُ قد شهدتُ الحديبية، فكأنِّي أنظرُ إلى النبي ﷺ حين انتهى إلى البيت، وهو على راحلته، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحلته، وقد صفَّ له المسلمون حين دنا من الركن حتى انتهى إليه^(٢). . . . وتروي أمُّ عمارة أنه لم يتخلف أحدٌ من أهل الحديبية عن عمرة القَضِيَّة إلا مَنْ مات أو قُتِل:

* وهكذا فقد جُمعت أمُّ عمارة إلى مكارمها مكرمةً أخرى تفيض بالخير والبركات، كما تفيض بالعلم ورواية الحديث الشريف.

(١) المغازي (٢/٦٨٨).

(٢) المغازي (٢/٧٣٥).

مِنْ بَطُولَاتِهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ :

* كانت لأمّ عمارة - رضي الله عنها - بطولاتٌ وضاءَةٌ يوم حُنَيْنٍ لا تَقْلُ رَوْعَةً عن بَطُولَاتِهَا فِي يَوْمِ أَحَدٍ، وَمِنَ الطَّرِيفِ أَنْ أُمَّ عِمَارَةَ أُبْدِعَتْ فِي الغَزْوَتَيْنِ، وَقَتَلَتْ رَجُلًا مِنَ المَشْرِكِينَ بِسَيْفِهَا، وَشَارَكَهَا فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ وَلِدَاهَا عَبْدُ اللهِ وَحَبِيبٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

* وَفِي حُنَيْنٍ يَتَكَرَّرُ المَوْقِفُ نَفْسَهُ الَّذِي حَدَثَ فِي أَحَدٍ، فَيَنْهَزُمُ بَعْضُ المَسْلَمِينَ لِهَوْلِ المَفْاجِأَةِ، وَهِنَا تَبْرَزُ البَطْلَةُ أُمَّ عِمَارَةَ لِتَوَدِّي وَاجِبِهَا وَتَصُدُقُ مَا عَاهَدَتْ اللهُ عَلَيْهِ، وَهِيَ تَرْوِي جَانِبًا مِنْ تِلْكَ الغَزْوَةِ وَتَتَحَدَّثُ عَنْ دَوْرِهَا فَتَقُولُ :

لَمَّا كَانَ يَوْمَئِذٍ وَالنَّاسُ مَنهَزَمُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ، وَأَنَا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ، فِي يَدَيَّ سَيْفٌ لِي صَارِمٌ، وَأُمُّ سَلِيمٍ^(١) مَعَهَا خَنْجَرٌ قَدْ حَزَمْتَهُ عَلَيَّ وَسَطَهَا، وَأُمُّ سَلِيطٍ وَأُمُّ الحَارِثِ، وَأَصْبِيحُ بِالأَنْصَارِ: آيَةٌ عَادَةٌ هَذِهِ! مَا لَكُمْ وَلِلْفِرَارِ، وَأَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ هَوَازِنَ عَلَيَّ جَمَلٌ أَوْرَقٌ، مَعَهُ لَوَاءٌ يَضَعُ جَمْلَهُ فِي المَسْلَمِينَ، فَأَعْتَرِضُ لَهُ فَأَضْرِبُ عِرْقَوبَ الجَمَلِ، وَكَانَ جَمَلًا مَشْرِفًا - عَالِيًا - فَوَقَعَ الجَمَلُ، وَوَقَعَ الرَّجُلُ وَأَشَدُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَمْ أَزَلْ أَضْرِبُهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ - تَرَكْتُهُ جَرِيحًا لَا يَقْدِرُ عَلَى القِيَامِ - وَأَخَذْتُ سَيْفًا لَهُ وَتَرَكْتُ الجَمَلَ يَخْرُجُ بِتَصْفَقٍ - يَنْقَلِبُ -

(١) اقرأ سيرتها وبطولاتها في هذا الكتاب .

الرحم الله علي. يا صاحب السور البراءة والبر

المسلمون فجعلوا يقولون: يا بني عبد الرحمن، يا بني عبيد الله، يا خيل الله! وكان رسول الله ﷺ قد سمى خيله خيل الله، وجعل شعار المهاجرين بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس بني عبيد الله.

فَكَرَّتِ الْأَنْصَارُ ووقفَت هوازن مقدار حَلْبِ ناقة، ثم كانت الهزيمة، فوالله ما رأيتُ هزيمةً كانت مثلها ذهبوا في كلِّ وجه، ورجع ابناي إليّ - حبيبٌ وعبيدُ الله ابنا زيد - بأسارى مكنتين فأقومُ إليهم من الغيظ، فأضربُ عنقَ واحدٍ منهم، وجعل النَّاسُ يأتون بالأسارى، فرأيت في بني مازن بن النجار ثلاثين أسيراً، وكان المسلمون قد بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كَرُوا بعد وتراجعوا، فأسهم لهم النبي ﷺ جميعاً^(١).

* وفي هذه الغزوة تختم أم عمارة - رضي الله عنها - رحلة جهادها مع رسول الله ﷺ، ولكن حبَّ الجهاد ظل يسري في عروقها، وسنرى جانباً منه يوم اليمامة إن شاء الله.

الصَّابِرَةُ أُمُّ الشَّهِيدِ:

* هذه الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ مَضْرِبُ الْمَثَلِ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ، فَمَا احتلت مكان الصُّدَارَةِ فِي الشُّجَاعَةِ وَالْفِدَاءِ، احتلت

(١) عن المغازي (٣/٩٠٢ و ٩٠٣) بتصرف يسير.

أيضاً مكاناً علياً في مقام الصبر، وذلك في سبيل الله سبحانه
وتعالى، حيث قُتِلَ حبيبُ ابنها فاحتسبه صابرة عند الله
سبحانه.

* ولاستشهاد ابنها حبيب بن زيد - رضي الله عنه - قصة
شائقة نسيء عن موقف مبارك لا يقل روعةً عن مواقف أمه
المجاهدة أم عمارة - رضي الله عنه - ، بل لا يقل روعةً وثباتاً
عن موقف سيدنا بلال بن رباح^(١) - رضوان الله عليه - عندما
صَبَرَ وَصَمَدَ في سبيل الله، فكل الموقفين يشير إلى مكانة
هذين الصحابين الجليلين، ويدلُّ على مكانة ومنزلة الصابرة
المؤمنة أم شهيد الحق نسية - رضي الله عنها وأرضاها - .

* وقصة استشهاد حبيب بن زيد ذكرها الرواة وكتاب
التراجم والسير، وأثنوا على حبيب وأمه فقالوا: إن مسيلمة
الكذاب وقد مع بني حنيفة على رسول الله ﷺ وخلقه في
رجالهم، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا، ولما رجعوا إلى
منزلهم بنجد ارتد مسيلمة وزعم أنه نبي مرسل إلى بني
حنيفة، وتبعه بعض قومه بدوافع مضطربة أهمها العصبية،
وامتشرى خطر مسيلمة، وعاث في الأرض فساداً.

وهنا برز الشهيد السعيد الصائم ابن أم عمارة حبيب بن
زيد، أحد نجباء مدرسة النبوة، الذي رضع الإيمان، وفظم

(١) اقرأ سيرة الصحابي الجليل بلال بن رباح - رضي الله عنه - في
كتابنا رجال مشرون بالجنة جزء (١).

الحير، وشهد أحد وما بعدها، فحتره رسول الله ﷺ؛
 ليؤدي رسالة إلى مسيلمة الكذاب يجره فيها عن ضلاله
 وكذبه وغيبه، ولم يُرَع مسيلمة حرمة الرُّسل بل قبض عليه
 وأوثقه، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمداً رسول
 الله؟ قال: نعم، وإذا قال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال:
 أنا أصمُّ لا أسمع، فعَلَّ ذلك مراراً ففقطعه مسيلمة عضواً
 عضواً ومات شهيداً^(١)، وصعدت روحه إلى بارئها راضيةً
 مرضيةً.

وقد رثاه مالك بن عمرو الثقفي^(٢) بأبيات رائعة منها:

مضى صاحبي قبلي وحُلِّفْتُ بعده
 فكيف بأعضائي البقية أصنعُ
 وقال له الكذابُ تشهدُ أنني
 رسولٌ فأوماً أنني لستُ أسمعُ
 فقال أتشهدُ أنها لمحمدٍ
 فنادى بدعوى الحقِّ لا يتتبع^(٣)

(١) انظر الاستيعاب (١/٣٢٧)، وأسد الغاية ترجمة حبيب،
 والاستبصار (ص ٨١ و ٨٢)، والحلية (٢/٦٤).

(٢) انظر ترجمة مالك بن عمرو في الاستيعاب (٣/٣٥٠) وفي الإصابة
 (٣/٣٢٩).

(٣) لا يتتبع: العي بالكلام.

فَضْرَبَ أُمَّ الرُّؤَسِ فِيهِ سَيْفَهُ

غَوِيٌّ لِحَاهِ اللّهُ بِالْفَتْكِ مُوَلِّعٌ^(١)

* وانتشر خبر استشهاد حبيب - رضي الله عنه - ، ولما بلغ أمّ عماره قتلُ ابنتها عاهدتِ الله أن تموتَ دون مسيلمة أو تُقتلَ ، ورضيتُ بقضاء الله ، وصبرتُ صبراً جميلاً ، فقد نذرت نفسها وأولادها وما تملكُ الله سبحانه وتعالى ، لتكون في جنّات وعيون ، ويكفيها الآن أن النبي الكريم ﷺ قد دعا لها ولآل بيتها بالبركة والخيرات ، ومات عليه الصلّاة والسّلام وهو راضٍ عنها وعن أولادها .

بَطَلَةُ الْيَمَامَةِ :

* هو ذا جيشُ المسلمين يتّجهُ - بأمر الصّديق أبي بكر - لقتال مسيلمة الكذاب ، وجاءتِ الصّحابةُ المجاهدةُ أمّ عماره ، إلى سيدنا أبي بكر - رضي الله عنه - وطلبتُ أن يأذن لها بالخروج إلى اليمامة ، فقال رضي الله عنه وأرضاه : قد عرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي على اسم الله ، ثم أوصى سيدنا خالد بن الوليد قائد الجيش بأمّ عماره - وكان مستوصياً بها - .

وانطلقت أمّ عماره - رضي الله عنها - لتتحفنا بمواقف مضيئةٍ أخرى ، وأسرعت لتفي بنذرهما لا لتثار لابنتها حبيب

(١) انظر كتاب منح المدح لابن سيد الناس (ص ٣٠١ و ٣٠٢) .



مسيلمة الكذاب ومن تبعه من قومه .

* ومن الجدير بالذكر أن عمرها آنذاك قد زاد عن الستين واشتعل رأسها شيباً، لكن قلبها اشتعل حماساً وامتلاً إيماناً، ولم يوهن العظم سنّها أو تضعف عزيمتها، وفي الإمامة جاهدت أروع جهاد، وجرحت أحد عشر جرحاً وقطعت يدها، ولكنها لم تكثرث بما أصابها، بل كانت تريد أن تلقى عدو الله مسيلمة، وبصرت بابنها عبد الله ومعه سيوف المسلمين تنهل من دماء مسيلمة، عندها سرى شعور بالسرور إلى نفسها، وأحست بالسعادة لقطع دابر الردة إلى غير رجعة، وقد روي عنها أنها قالت في هذا: قُطِعَتْ يدي يومئذٍ فما ألويتُ عليها، ثم آتيتُ ابني فوجدته قد قتل مسيلمة وهو يمسح سيفه من دمه^(١) . . . ثم سجّدتُ شكراً لله سبحانه وتعالى .

* وعادت المجاهدة المؤمنة أم عمارة إلى منزلها بعد انتهاء هذه الحرب، وجاءها سيدنا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يتقدّم وصية سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ،

(١) انظر الامتصاص في نسب الصحابة من الأنصار (ص ٨٢)، وانظر السيرة الحلبية (٢/٥٠٩)، وقرأ مقتل مسيلمة الكذاب في البداية والنهاية (٣٢٣/٦) وما بعدها .

وطلب من العرب مداواتها بالزيت المغلي، فكان أشد عليها من القطع، ولكنها شعرت براحة عظيمة تغمر نفسها، لقد سبقها عضو منها إلى الجنة، يدها التي طالما دافعت بها عن رسول الله ﷺ. وكان سيدنا خالد كثير التعاهد والبر بها، حسن الصحبة لها، يعرف حقها ويقدر مكانتها ويحفظ فيها وصية النبي ﷺ ووصية الصديق - رضي الله عنه - .

مع الصديق والفاروق - رضي الله عنهما - :

* كانت أم عمارة - رضوان الله عليها - تحظى بالمكانة اللاتفة في ظل الخلفاء الراشدين، فقد كان سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يسأل عنها دائماً ويتفقد أحوالها، روى محمد بن يحيى بن حبان هذا فقال:

جُرحت أم عمارة بأحد اثني عشر جرحاً، وقُطعت يدها يوم اليمامة، وجُرحت يوم اليمامة سوى يدها أحد عشر جرحاً، فقدمت المدينة وبها الجراحة، فلقد رُئي أبو بكر - رضي الله عنه - وهو خليفة يأتيها يسأل عنها - رضي الله عنهما -^(١).

* وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - ظلت الصحابة المجاهدة تحظى بالمكانة نفسها، فعن موسى ابن حمزة بن سعيد عن أبيه قال:

أتني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بمروط، فكان فيها

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٨١).

وكذا فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صغية بنت أبي عبيد، فقال عمر - رضي الله عنه - : أبعثُ به إلى مَنْ هو أحقُّ به منها، أمّ عمارة نسيبة بنت كعب، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يوم أحد: «ما التفتُ يمينا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتلُ دوني»^(١).

* وبقيت أمّ عمارة - رضي الله عنها - تحظى بالاحترام والتقدير من جميع الصحابة إلى آخر لحظة من حياتها في المدينة المنورة - رضي الله عنها وأرضاها - .

أمّ عمارة والقرآن الكريم:

* في الصفحات السابقة، عشنا سعادةً مع جهاد أمّ عمارة في أحد وفي اليمامة، وشهدنا معها بيعة الرضوان، والمواقف الأخرى المشرفة، والآن نعيش لحظات في ظلال الذكر الحكيم مع الصحابة المؤمنة أمّ عمارة.

* فقد ذُكر أنَّ أمّ عمارة - رضي الله عنها - قالت للنبي الكريم ﷺ : يا رسول الله، ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُدكرن بشيء^(٢) . فنزلت هذه الآية الكريمة:

(١) انظر أنساب الأشراف (١/٣٢٦).

(٢) انظر كتاب: أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين للشيخ عبد

الفتاح القاضي (ص ١٨٠)، والاستبصار (ص ٨٣)، والاستيعاب

(٤/٤٥٦).

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
 وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
 مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أم عمارة والحديث النبوي:

* بالإضافة إلى حبها للقرآن الكريم كانت أم عمارة راويةً
 للحديث النبوي الشريف، فقد ذكر الذهبي - رحمه الله - أن
 أم عمارة قد روي لها أحاديث^(١). روى عن أم عمارة ابن
 ابنها عباد بن تميم بن زيد، وابن أخيها الحارث بن عبد الله
 ابن كعب، وعكرمة مولى ابن عباس، وأم سعد بنت سعد بن
 الربيع، كما روى لها الإمام الترمذي والنسائي وابن ماجه في
 مستهيم.

* ومن مرويات الصحابة الثيبة المؤمنة أم عمارة أن

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٨)، وانظر في هذا أيضاً تهذيب التهذيب
 (١٢/٤٧٤)، والإصابة (٤/٤٠٤). ذكر محمد بن علان الصديقي
 الشافعي في كتابه التقيس المبارك دليل الفالحين لطرق رياض
 الصالحين أن أم عمارة روى لها أصحاب السنن ثلاثة أحاديث
 وذكر حديث الصيام. انظر دليل الفالحين (٧/٧٤).

عليه الملائكة»^(١).

* وأخرج ابن منده عن أم عمارة بنت كعب قالت: أنا أنظرُ إلى رسول الله ﷺ وهو ينحر بدنة قياماً بالحربة^(٢).

بَشَارَتُهَا بِالْجَنَّةِ:

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكِمَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

* تحتلُّ أم عمارة نسيبة بنت كعب - رضي الله عنها - مكانةً عاليةً بين النساء الصَّحَابِيَّاتِ، فقد قدَّمت للإسلام كل ما تستطيع لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقضلها في مجال العبادة والصَّلاح يفوح بالطيب، وقصص جهادها وثباتها إمتاعاً للأسماع، وظلت تجودُ بالعطاء المثمر

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، وانظر طبقات ابن سعد (٤١٦/٨).

والاستيعاب (٤١٦)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧٣١١).

(٢) المغازي (٦١٣/٢)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧٥٤٣).

في جميع المجالات إلى أن لقيت ربها راضية مرضية - رضي الله عنها وأرضاها - (١).

* أمّا عن بشارتها العظمى، فقد نالت ذلك في يوم أحد مع أهل بيتها، حيث قال لهم النبي الكريم ﷺ وهم حوله عند اشتداد المعركة: «رحمكم الله أهل البيت» فقالت له أمّ عمارة - رضي الله عنها - : ادع الله أن ترافقك في الجنة، فقال ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا (٢).

* وقد حظيت نسبة من قبل أحد بشارتها بالجنة - عند العقبة - فهي عقبية، كما حظيت بعد أحد ببشارة عظمى وشهادة إلهية موقعة من رب العالمين بالرضوان وذلك في بيعة الرضوان، وفي حُنين كانت من المائة الصابرة الذين تكفل الله بأرزاقهم وأرزاق عيالهم في الجنة.

* والآن، فهذه رحلة شائقة قضيناها في رحاب الصحابة أمّ عمارة الأنصارية الكريمة المعطاء، هذه الصحابة كانت من الأنصار الذين قال فيهم كعب بن زهير يذكر فضلهم وأعمالهم الطيبة مع النبي الكريم ﷺ:

(١) ذكر الزركلي في الأعلام (٣٣٤/٨) أنها توفيت سنة ١٣ هجرية.
(٢) انظر المغازي (٢٧٣/١)، وطبقات ابن سعد (٤١٥/٨)، وسير أعلام النبلاء (٢٨١/٢)، والسيرة الحلبية (٥٠٩/٢).

* وبعد، رحمَ الله أمَّ عمارة نسيبة بنت كعب، ونصَّرَ الله
قبرها، ورضي عنها وأرضاهَا، ومع وداع سيرتها العطرة
المباركة نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي
مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1412 هـ

أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ التَّحُورِ الْعَيْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ
حديث شريف

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ مَا لَقِيَتْ أُمُّ رُومَانَ فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ
حديث شريف

تجد عدداً من القصص والمسیر
فی موقع المفكرة الدعویة
www.dawahmemo.com

أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

أُمُّ الْقَضَائِلِ :

* نحن الآن في رحاب صحابية جلييلة، حظيت بمكانة عالية في نفس رسول الله ﷺ، وكان لها منزلة كبيرة بين نساء الإسلام اللاتي أثريهن التاريخ بمواقفهن العظيمة التي يفوح شذاها على مر الأيام.

* اجتمعت في هذه الصحابية خصال مباركة جعلتها من سادة نساء الدنيا، بل خصلة واحدة جعلتها من علية النساء.

* فصهرها أفضل خلق الله على الإطلاق، نبينا محمداً ﷺ، فهل بعد هذا من فضل؟

* وزوجها سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه -

* وابنتها زوجة أشرف الخلق في الدنيا والآخرة، حبيبة رسول الله ﷺ، الصديقة بنت الصديق الأكبر، حاملة شهادة

* أما ابنها فهو أحد فرسان مدرسة النبوة، وأحد الصحابة الكرام الذين كتبت لهم السعادة بصحبة المصطفى ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، أحد الرماة الشجعان.

* أضف إلى ذلك كله، أنها افتتحت أول صفحات حياتها عند أبي بكر الصديق بالمسارعة إلى الإسلام، والإيمان برسالة النبي الكريم محمد ﷺ.

* أعتقد أنك أيها القارئ الكريم في شوق لمعرفة بطاقة هذه الصحابية الجليلة. عدد من الفضلاء يتسابقون لتقديم هذه الصحابية المعطاء؛ فهي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية^(١)، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: يُقال: أم رومان بفتح الراء وضمها، وذكر ابن إسحاق - رحمه الله - أن اسمها زينب، وذكر آخرون أن اسمها دعا^(٢)، ولكن الذي اشتهرت به كنيته أم رومان.

حياتها في الجاهلية:

* في منطقة السراة^(٣) من جزيرة العرب، نشأت أم

(١) انظر مثلاً سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧٤٤٢)، وأنساب الأشراف (١/٤٠٩).

(٢) انظر الإصابة (٤/٤٣٣).

(٣) انظر مادة وسراة في معجم البلدان (٣/٢٠٤ و ٢٠٥).

رومان بنت عامر، وتزوجت رجلاً يدعى عبد الله بن الحارث ابن سخيرة الأزدي^(١)، فولدت له الطفيل بن عبد الله، وكان زوجها عبد الله بن الحارث يرغب في الإقامة بأَمِّ القُرى مكة، فقدم من السَّراةِ ومعه أمُّ رومان وولدهما الطفيل، وعلى ما جرت عليه عادات العرب عَضُرَ ذلك في الحلف، رأى أنَّ أبا بكر خير حليف فحالفه، واستقرَّ بأسرته في مكة، ثم لم يلبث أنَّ توفي هناك، وبقيت زوجته وطفلها دون معيل لهما. ولكنَّ أمُّ رومان لم تبقى وحيدةً، فنزَّوجها أبوبكر وأكرم مثواها مع ابنها الطفيل، وأصبحت تعيش في كنف أبي بكر في بيته، وولدت له عبد الرحمن وعائشة زوج النبي ﷺ.

* ومن المفيد ذكره هنا أنَّ أبا بكر قد تزوج في الجاهلية قتيبة بنت عبد العزى القرشية العامرية فولدت له عبد الله وأسماء.

* وتزوج أبو بكر في الإسلام أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - فولدت له محمداً، وتزوج حبيبة بنت خارجة، فولدت له بعد وفاته بنتاً اسمها أم كلثوم، وقد توفي عن واحدة هي حبيبة بنت خارجة.

أمُّ رومان من السَّابِقَاتِ :

* قالتِ الصَّديقةُ بنت الصَّديق حبيبةُ حبيبِ الله العِبرَةُ

(١) انظر أنساب الأشراف (١/٤٢٠).

فما إن بُعث رسولُ الله ﷺ حتى كان أبو بكر أول مَنْ آمن
 وصدَّق دعوته مِنَ الرِّجال، وانطلق يفضي إلى زوجته أم رومانَ
 يخبر الإسلام، وسرعان ما استجابت ووجدت دعوة الإسلام
 إلى قلبها النقي سبيلاً، فأمنت وصدقت، وعكفت على عبادة
 الله سبحانه، فكانت من رعيِل المؤمنات الأول اللاتي حظين
 بشرف الصُّحبة النبوية، وفُزْنَ بالسُّبق والإيمان، وذكر ابن
 سعد هذا فقال: أسلمت أم رومانَ بمكة قديماً وبايعت
 وهاجرت (٣).

* وظفقت أم رومانَ تتلقى تعاليم الإسلام غضة، وترى
 عظمة الإسلام من رسول الله ﷺ، فقد كان رسول الله يتردد
 على صديقه وصديقه أبي بكر، فكانت أم رومان تشعر
 بالسرور لهذه الزيارة المباركة، وتبذل ما بوسعها لإكرامه،
 وقد حبا الله هذه الصُّحابة نفساً صافية، وقلباً حانياً امتلاً
 إيماناً وتسليماً، كما رزقها الله همّةً عاليةً وصبراً عجبياً على
 تحمُّلِ المصاعب.

* وكانت أم رومان تتألم كثيراً لما يحلُّ بالمسلمين

(١) كان الإمام مسروق بن الأجدع الكوفي - رحمه الله - إذا حدث عن
 السيدة عائشة وصفها بتلك الصفة الجميلة المباركة.

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (١٨٣/٢).

(٣) الطقات الكبرى (٢٧٦/٨).

المؤمنين من العذاب من الأيدي الأئمة المشركة، وكانت ترى الرسول الكريم ﷺ يُعلم أصحابه دروساً في الصبر، وضربت أروع الأمثلة في الوفاء للإسلام والمسلمين، وكانت تُسرُّ من زوجها أبي بكر وهو يتقلد المستضعفين ويعتقهم من خالص ماله، فتشُدُّ من أزره وتشاركه عمله الطَّيب المبارك ولو بالكلمة الطيبة.

المؤمنةُ التقيةُ والأمُّ المثاليةُ :

* كانت أمُّ رومانَ بالإضافة إلى سابقتها ووفائها مثال الأمِّ الحانيةِ الرَّؤومِ، فقد راحت تربي ولديها عبد الرحمن وعائشة على التقوى، وحبَّ الله ورسوله، وتحسن رعايتهما أحسن رعاية، وكان إحساسها ونفسها الصافية المشرقة يشيران إلى أنَّ ابنتها عائشة ستكون ذات شأن في الإسلام.

* وكان النبي الكريم ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر - رضي الله عنه - في النهار، وبكرةً وعشيماً، ويوصي أمُّ رومان بعائشة ويقول: «يا أمُّ رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها»^(١). فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون إلا بأمر الله فيها.

الحمأةُ الكريمةُ :

* توفيت أمُّ المؤمنين - خديجة بنت خويلد - رضي الله

(١) انظر طبقات ابن سعد (٨/٨٧).

ثم عمد على عائشة بوحي من الله سبحانه وتعالى ، وقد احبب
النبي الكريم عن هذا حينما قال لعائشة - رضوان الله
عليها - : «أرئتِ في المنام ثلاث ليالٍ جاءني بك الملكُ في
سُرقةٍ من حُريرٍ فيقول: هذه امرأتك، فأكشفتُ عن وجهك
فإذا أنتِ هي فأقول: إنَّ بكُ هذا من عند الله يُمضيه»^(١).

* وتأتي خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ وتعرض
عليه الزَّواج من عائشة بنت الصِّديق، ومن سودة بنت زمعة
المؤمنة المسلمة، فوافق عليه الصُّلاة والسَّلام، وهنا برزت
أم رومان لتحمّل أعظم شرف تحظى به امرأة ألا وهو مصاهرة
رسول الله ﷺ، وأخبرت زوجها أبا بكر برغبة النبي الكريم
ﷺ، وبما أدخل الله عليهم بهذا النِّسب من الخير والبركة،
وتمَّ أمرُ الله، وأضححت عائشة واحدة من أمهات المؤمنين،
بينما سعدت أم رومان بهذا الحدث المبارك وهذا الشرف
الذي لا يدانيه شرف.

أم رومان وأحداث الهجرة:

* خرج أبو بكر الصِّديق مع رسول الله ﷺ مهاجراً إلى
المدينة، وترك أسرته في مكة لتلحق به، وكانت أم رومان -

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي، وانظر أيضاً البداية
والنهاية (٣/١٣٠).

رضي الله عنها - تتحمل شدة العيش؛ بعد هجرة زوجها الذي احتل معه ماله كله، ولكن هذا كله لم يكن يهّمها، بل كانت ترجو أن يسلم رسول الله ﷺ من أيدي المشركين وأذاهم، وصبرت على خوف إلى أن جاء من يُخبر بأن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة آمناً مطمئناً، ومن ثم أرسل النبي الكريم من يأتي بأهله وبثانته، ويأتي بأهل أبي بكر وأفراد أسرته أيضاً.

* وجاء الركب المهاجر، وفي الطريق حدثت كرامة عظيمة لأمّ رومان - رضي الله عنها - ، فقد تعرضت ابتها عائشة لخطر كبير ألقتهها منه عناية إلهية، حيث شرّد بعائشة - العروس المهاجرة - وأمها الجمل، فجعلت أمّ رومان تقول: واعروساه وابنتاه.

وتروي أمّ المؤمنين عائشة هذه الحادثة فتقول عندما شرّد الجمل: قسمعتُ قاتلاً يقول: أرسلني خطامه، فأرسلتُ خطامه فوقف بإذن الله وسلّمنا الله عزّ وجلّ^(١).

* ووصل الركب المهاجر إلى المدينة وفي مقدمته أمّ رومان - رضي الله عنها - ، ونزلت في البيت الذي أعدّه أبو بكر - رضي الله عنه - ، وبعد أن أعزّ الله سبحانه النبي الكريم في غزوة بدر تزوّج عائشة في شوال من السنة الثانية

(١) عن البداية والنهاية (٢/٢٢١)، والاستيعاب (٤/٤٣٤)، والسيرة الحلبية (٢/٢٧٤).

جبريل عليه السّلام، فأكرم بهذه المنزلة!

أمّ رومان والمحنة الكبرى:

* كانت أمّ رومان - رضي الله عنها - تشعر بالسرور لما كانت تراه من إكرام صهرها رسول الله لوحيدتها عائشة، وتعاضم سعادتها لمحبة النبي الكريم لعائشة - رضي الله عنها -، وكانت تزداد صفاء وعبادة لله لاقترابها من البيت النبوي، ولمكاتها الرفيعة عند رسول الله ﷺ الذي كان يجعلها ويحترمها.

* وتمضي السنون، فإذا بأمّ رومان أمام محنة رهيبة عكّرت صفاء حياتها لأيام معدودات، وكانت المحنة سحابة داكنة لقيت خلالها التعب وشعرت بثقل الأيام والساعات، فقد رُميت ابنتها الصديقة بنت الصديق بالإفك، وكادت أمّ رومان أن تفقد صوابها لما أشاعه أصحاب القلوب المنافقة الحاقدة بقيادة ابن سلول زعيم المنافقين، بل إنها لما سمعت بما رُميت ابنتها بالإفك تحرّت مغشياً عليها لهول ما سمعت؛ ولكن العناية الإلهية كانت بالمرصاد لهؤلاء المرحقين، فنالوا الخزي، وجلّ لهم العار إلى يوم القيامة.

* وفي هذه المحنة الكبرى، برزت أمّ رومان - رضي الله

عنها - لتؤدي دور الأم الواعية الحانية، والحماة الكريمة الأديبة التي تعرف الحقوق وتدرئ معنى الواجبات، والزوجة التي تشاطر زوجها نوائب الدهر، وكادت تقوم فتنة - من جراء حديث الإفك - لولا أن من الله على المؤمنين بفضله ورحمته، فاندثرت الفتنة.

* استطاعت أم رومان - رضي الله عنها - أن تتصرف بحكمة إزاء هذه المحنة التي أفضت مضجع الأسرة البكرية كلها، وكتمت عن ابنتها عائشة خبير الإفك، ولكن شاء الله سبحانه أن يخبر عائشة - أم مسطح بن أثانة - بتفاصيل ما يُشاع عنها في حديث الإفك الأثم، ولترك الحديث للمصديقة عائشة صاحبة القصة لتحدثنا عن حالها وحال والدتها أم رومان، والحديث رواه أصحاب السنن وأهل التفسير والسيرة، وسقطت فقرات كاشفة من الحديث الذي يوضح دور أم رومان - رضي الله عنها -.

* تقول أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - بعد سماعها تفاصيل الخبر الأثم العين:

* فجلت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟

قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وصيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي...» (١).

* ومكثت أم رومان - رضي الله عنها - قرابة شهر في قلبي وخوفي، وحديث الإفك قد استفحل في المدينة، ولاسر يريد به الله سبحانه، ولدرس عظيم ألقاه الله علينا، لبث رسول الله ﷺ شهراً لا يوحى إليه شيء في شأن هذا الحادث، ولتتابع فقرات من الحديث مع أم المؤمنين عائشة فتقول:

«... .. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه». فلما قضى رسول الله ﷺ قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أحب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أحبي رسول

(١) من حديث أم المؤمنين عائشة وقد رواه البخاري في صحيحه (١٢٧/٦) في تفسير سورة النور، وانظر تفسير ابن كثير والمقرطبي لسورة النور الآيات (١١ - ٢٠).

الله ﷺ قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ (١)

* وتصور عزيزي القاريء هذا الموقف المؤثر، تصور شعور الصحابية الجليلة أم رومان أمام رسول الله ﷺ في لحظات حرجة عانت فيها وطء هذه المصيبة غير المتوقعة، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً.

* * *

البراءة العظمى والفرخة الكبرى:

* كان رسول الله ﷺ ما يزال عند عائشة، وما إن أتت كلامه حتى ساد صمت قليل، ونزل الوحي حاملاً شهادة البراءة الربانية للصديقة عائشة، وفي اللحظة ذاتها عاد السرور والإشراق إلى نفس أم رومان عندما سمعت رسول الله ﷺ يتكلم بأول كلمة بعد الوحي: «يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك».

* وسر الجميع بهذه الشهادة الربانية المباركة الناصعة، وفي تلك الساعة الحافلة بالبشر والسرور لم تنس أم رومان - رضي الله عنها - أصول الأدب أمام رسول الله ﷺ فأمرت ابنتها عائشة أن تقوم للنبي الكريم فقالت: «قومي إليه».

فقالت عائشة: «والله لا أقوم إليه ولا أحمده إلا الله عز

(١) المصدر السابق نفسه.

* وهكذا خرجت أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - من هذه المحنة بشهادة وضاء موقعة من رب العالمين تشير إلى طهرها وبرائها ونقاء عنصرها .

* * *

كرامة للأسرة البكرية الطاهرة:

* عادت حياة النقاء إلى قلب أم رومان - رضي الله عنها - بعد أن انقضت سحابة الإفك، وقد أكرم الله عز وجل بيت وأسرة أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - وأنزل في شأن أمنا عائشة قرآناً يتلى إلى يوم الدين، فأكرم بهذه المنقبة، لهذه الأسرة البكرية الطاهرة! وكان هذا جزاءً وفاقاً من الكريم المتعال عز وجل لرجل دخل في الإسلام من أول يوم، وبذل نفسه وأهله ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله، وقد نوه أبو بكر الصديق على طهارة أسرته ونقاها بقولته المشهورة: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية فكيف بعد أن

(١) الآيات العشر من (١١) حتى الآية (٢٠) عن سورة النور، انظر صحيح الإمام مسلم في التوبة، باب حديث الإفك حديث رقم (٢٧٧٠) وانظر البداية والنهاية (٤/١٦٠).

أعزنا الله بالإسلام. ويكفي أبا بكر شرفاً ومكرمة أن الله جعله من أولي الفضل.

* * *

الخيرَةُ الدَّيْنَةُ:

* في حياة أم رومان - رضي الله عنها - وقفات لطيفة، ونفحات مباركة جعلتها من النساء القانتات العابدات اللاتي يُقْتَدَى بهنَّ، فقد كانت تسعى لمرضاة الله سبحانه وتعالى ولمرضاة رسوله الكريم ﷺ، ولم تخرج عن طاعة الزوج أبداً.

* أما عبادتها فكانت رائعة، وصلاتها سليمة صحيحة بتوجيه من زوجها أبي بكر الصديق، فقد روت كيف علّمها الصديق أداء الصلاة سليمة فقالت: رأيتُ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أميلُ في الصلاة، فزجرني زجرة كدتُ أتصرف من صلاتي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: وإذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه ولا يميل ميل اليهود، فإن تسكين الأطراف من تمام الصلاة^(١).

* وفي مجال الدعاء والاستغفار ضربت أم رومان مع زوجها الصديق مثلاً عملياً رائعاً، فقد ذكر علي بن بلبان

(١) عن حياة الصحابة (٣/١٣٧).

وَأُمُّ رُومَانَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكُمَا؟».

قالا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَسْتَغْفِرُ لِعَائِشَةَ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ.

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا يَغَادِرُهَا ذَنْبٌ».

فلما رأيتي سرورهما بذلك قال رسول الله ﷺ: «ما زالت هذه دعوتي لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ أُمَّتِي مِنْ لَدُنْ بَعْثِي اللَّهُ إِلَى يَوْمِي هَذَا»^(١).

* وكان النبي الكريم ﷺ يكرم أم رومان التي كانت تسعى دائماً للفوز بمرضاة الله ومرضاة رسوله، وكانت تركز إلى الصمت إذا ما تكلم عليه الصلاة والسلام مع ابنتها عائشة، فقد ذكر صاحب السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ كان يذكر خديجة أم المؤمنين ويكرم صاحباتها، فقالت له عائشة يوماً: لكانما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة! فغضب عليه الصلاة والسلام، فإذا بأم رومان تقول له: ما لك وعائشة، إنها حديثه السن وأنت أحق من يتجاوز عنها، فأخذ عليه الصلاة والسلام بشدق عائشة - رضي الله عنها -

(١) انظر تحفة الصديق (ص ٩٧)، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء (١٥٨/٢) بمعنى قريب من هذا.

وقال: «ألسبت القائلة كأنما ليس على وجه الأرض امرأة إلا خديجة؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي قومك، ورزقت منها الولد وحرمتوه»^(١).

* وهكذا فقد سكنت أم رومان أمام رسول الله ﷺ، فالرسول الكريم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. وداعاً أم الصديقة:

* ذكر ابن سعد في طبقاته وفاة الصُّحَابِيَّةِ الْجَلِيلَةِ أُم رُومَانَ وَأَتَى عَلَيْهَا فَقَالَ: وَكَانَتْ أُمَّ رُومَانَ امْرَأَةً صَالِحَةً، وَتُوفِّيَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ مِنْ الْهِجْرَةِ^(٢).

* كَانَ لَوفاةِ أُمِّ رُومَانَ - رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا - كَبِيرُ الْأَثَرِ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ فِي نَفْسِ ابْنَتِهَا وَزَوْجِهَا رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَكْرَمُهَا بِكَرَامَةٍ عَظِيمَةٍ جَعَلْتَهَا مِنَ السُّعْدَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَدْ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي قَبْرِهَا وَاسْتَغْفَرَ لَهَا.

وَمِنْ عَيُونِ أَخْبَارِ أُمِّ رُومَانَ مَا حَاصِلُهُ أَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ لَمْ يَنْزَلْ فِي قَبْرِ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا خَمْسَةَ قُبُورٍ، ثَلَاثَ نِسْوَةٍ وَرَجُلَيْنِ، مِنْهَا قَبْرُ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ،

(١) عن السيرة الحلبية (٤٠١/٣) بتصرف يسير، وانظر المغازي والسير

لابن إسحاق (ص ٢٤٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٢٧٦/٨).

البقيع ، ونزل رسول الله في قبرها وقال: «اللهم إنه لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك ﷺ» (٢).
 وقد كان آخر شيء في حياة أم رومان دعاء رسول الله ﷺ، فعنم الحاتمة ونعم الدعاء.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: آية ٢٣].

* الصحابية الفاضلة أم رومان واحدة من نساء الإسلام اللواتي تركن آثاراً عبقة في تاريخ حياتهن الوضاعة، فكانت من السابقات الكريمات إلى الإسلام وكانت من المهاجرات الأول ومن القاتنات العابدات، ومن اللاتي قدمن التضحيات لنصرة رسول الله ﷺ.

(١) البقيع - بقيع العرقند: مقبرة أهل المدينة، انظر معجم البلدان (٤٧٣/١).

(٢) انظر الاستيعاب (٤٣١/٤)، والإصابة (٤٣٣/٤)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧٤٤٢) والسيرة الحلبية (٢٧٤/٢)، ووفاء الوفا (١٩٧/٣).

وقد حظيت أم رومان بالبشارة العظمى - الجنة -، روى ابن سعد بسنده عن القاسم بن محمد قال: لما دُلِّيت أم رومان في قبرها، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ»^(١). ولا يخفى ما في هذا الحديث من إشارة إلى البشارة بالجنة، وأن الحور العين إنما يكن في الجنة.

* ومن الأخبار التي تُضاف إلى رصيد أم رومان، أنها روت عن النبي الكريم حديثاً واحداً انقردَ بإخراجه الإمام البخاري^(٢) - رحمه الله - .

* رضي الله عن الصحابة الدِّينة الحرة أم رومان، أم الصديقة وزوج الصديق، ونضر الله قبرها، ومع وداع سيرتها المعطار نقراً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٧٧/٨) وكنز العمال (١٤٦/١٢)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٧٢٤٢)، والسيرة الحلبي (٢٧٤/٢) وأنساب الأشراف (٤٢٠/١).

(٢) انظر المجتبى لابن الجوزي (ص ١٠٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيِّدَاتُنَا مَا يَسُرُّنَا بِالْجَنَّةِ

1412 هـ

أُمُّ أَيْمَنَ
بِرَكَّةٍ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ»

حديث شريف

«أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي»

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والسير
في مواقع المفكرة الدعوية

www.dawahmemo.com

أم أيمن
بركة بنت ثعلبة
رضي الله عنها

يا أمه :

- * أم أيمن، بركة، يُمن وبركة جُمعا في شخصية هذه الصحابية الكريمة، التي حظيت بالتكريم من رسول الله ﷺ.
- * هذه الصحابية المباركة، عاشت مراحل النُوة كلها، وعاصرت الأحداث الإسلامية من ألفتها إلى يانها.
- * عاشت مولاة، وعاشت حرة، وكانت زوجاً وأماً.
- * كانت حاصنة للنبي الكريم ﷺ، وأصحت زوجاً لحب رسول الله ﷺ - زيد بن حارثة -، وأماً للشهيد «أيمن بن عبيد الخزرجي»، وأماً لأمير الأمراء وفارساً من فرسان الرسول - الحب بن الحب^(١) - أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -.
- * والآن فمن أم أيمن هذه؟ وما هي هويتها؟

(١) أي المحبوب بن المحبوب.

باسم ابنتها أيمن من زوجها عُبيد بن زيد الحبشي^(١)، ويقال لها: مولاة رسول الله ﷺ، وخدام رسول الله ﷺ.

* وهذه السيدة الفاضلة عرفت النبي الكريم طفلاً صغيراً، وعرفته شابةً ونبياً مرسلًا، وزوجاً وأباً وحداً، وكان النبي الكريم ﷺ يقول لها: «يا أمه» وقد عاشت بعد وفاته مدةً من الزمن، فهي تُعتبر إحدى مراجع السيرة النبوية المباركة.

* والآن لندخل رحاب سيرة هذه الصحابة الجليلة، إحدى النساء المسلمات اللاتي كان لهن نصيبٌ في تاريخ الإسلام.

* * *

الحاضنة الطيبة:

* ذكر شيخ كتاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق - رحمه الله -، أن عبد الله بن عبد المطلب قد توفي والنبي لا يزال جيناً في بطن أمه آمنة بنت وهب، وقد ترك عبدالله للجنين خمسة من الإبل، وقطيعاً من الغنم، وسيفاً ماثوراً، وورقاً - فضة - وجارية هي أم أيمن بركة الحبشية ضيفتنا

(١) انظر الاستيعاب (٤/٤٣)، وانظر أسد الغابة ترجمة رقم (٦٧٦٢).

المباركة اليوم، فكانت أم أيمن تحضنه ويسميتها أمي^(١).

* واسترضع النبي الكريم في بني سعد، وها هو قد عادت به حليمة السعدية في سنته الخامسة، وأسلمته إلى أمه آمنة، ولما بلغ السادسة، ذهبت به أمه إلى المدينة لزيارة بني النجار أحوال جده عبد المطلب، واصطحبت معها أم أيمن في هذه الزيارة، ولما عادت إلى مكة مرضت آمنة في الطريق، وتوفيت في الأبواء^(٢) - قرية بين مكة والمدينة - وجلس محمد ﷺ يبكي على فراق أمه؛ الذي أثر أثراً كبيراً في نفسه، وظلت الذكرى إلى ما بعد الهجرة، فقد نظر ﷺ إلى دار بني النجار عندما هاجر وقال: «هنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبدالله، وأحسنتم العوم في بئر عدي بن النجار»^(٣).

* وفي هذا الموقف الأليم، برزت أم أيمن لتحتل مكانتها بين النساء اللاتي تركزن بصماتٍ واضحة في التاريخ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لها الخير كله، وعادت بالنبي ﷺ، وأضحت حاضته وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وعمرته يعطفها، كما غمره جده عبد المطلب بحبه أيضاً، وقد عوضه

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/١٠٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٥٧)، وأسباب الأشراف (١/٩٦).

(٢) انظر شرح المواهب اللدنية للإمام الزرقاني (١/١٦٧ و ١٦٨)، وانظر طبقات ابن سعد (١/١١٦).

(٣) انظر طبقات ابن سعد (١/١١٨)، وعيون الأثر (١/٤٩)، والسيرة الحلبية (١/١٨٠).

أَيُّمَن قَاتِلًا: يَا بَرَكَةَ لَا تَغْفُلِي عَنِ ابْنِي فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَعَ عَلْمَانَ
قَرِيبًا مِنَ السُّدْرَةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَزْعُمُونَ أَنَّ ابْنَ هَذَا نَبِيِّ
هَذِهِ الْأُمَّةِ.

* وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يُسَرُّ لِمَا يَرَى مِنْ مَخَابِلِ الشَّرَفِ
وَالْكَرَامَةِ عَلَى حَفِيدِهِ مُحَمَّدٍ، وَيُوصِي أَعْمَامَهُ بِقَوْلِهِ: دَعُوا
ابْنَ فَوَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا.

* وَلَكِنِ الْمُنِيَّةُ وَاقْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى ابْنَهُ أَبَا
طَالِبٍ بِكَفَالَةِ النَّبِيِّ وَحِيَاظَتِهِ، وَحَزْنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ حَزْنًا شَدِيدًا، وَكَانَ مَا يَزَالُ طِفْلًا صَغِيرًا.

* وَقَدْ سُئِلَ ﷺ: أَتَذْكُرُ مَوْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: «نَعَمْ
أَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانَ سَنِينَ».

* وَتُرْوَى أُمُّ أَيُّمَنَ حُزْنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ عَلَى جَدِّهِ
فَتَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ يَبْكِي خَلْفَ سَرِيرِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (١).

* * *

إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ:

* ازدادت عنایهٔ امُّ ایمن بالنبی ﷺ، کما حاظه ابو طالب

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/١١٩).

وزوجه فاطمة بنت أسد^(١) بعناية خاصة، وتولاه الله برحمته،
 ونخصه بالبركة، فكان يصبح دهيناً كحياً، بينما كان الصبيان
 يصبحون خلاف ذلك، روى ابن عباس - رضي الله عنهما -
 قال: كان بنو أبي طالب يصبحون رُمضاً شعثاً، ويصبح
 محمد ﷺ دهيناً كحياً، وكان أبو طالب يحبه حباً شديداً^(٢).

* وحدثت أم أيمن عن هذه البركة فقالت: ما رأيت
 رسول الله ﷺ شكا جوعاً قط ولا عطشاً، فكان يغدو إذا
 أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغداء
 فيقول: لا أريد أنا شعبان^(٣).

* وكان أبو طالب كثيراً ما يقول للتي الكريم: إنك
 لمبارك، لما يرى من البركة، والآثار الطيبة التي تكتنف عيال
 أبي طالب.

* * *

عشقها وزواجها:

* شب رسول الله ﷺ وهو ينادي أم أيمن «يا أمه»، فقد

(١) اقرأ سيرة فاطمة بنت أسد في هذا الكتاب.

(٢) انظر هذا في البداية والنهاية (٢/٢٨٢)، وشرح المواهب للزرقاني
 (١/١٨٩).

(٣) انظر دلائل النبوة للأصبهاني (١/٢١٠ و ٢١١).

رعاية حسنة، ولما تزوج النبي الكريم من خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها وأرضاها -، أعتق أم أيمن، فتروجها عبيد بن زيد الخزرجي^(١)، فولدت له أيمن - ولأيمن هذا هجرة وجهاد واستشهد يوم حنين - رضي الله عنه - وهو الذي تُكنى به - رضي الله عنهما -.

* لم ينقطع برُّ النبي الكريم عن أم أيمن، بل ظلَّ يكرمها ويزورها، وكان رسولُ الله ﷺ إذا نظر إليها قال لها: «هذه بقيةُ أهل بيتي» كما كان يقول لها: «يا أمه»^(٢).

* وفي كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» ذكر السُّوي رحمه الله - أن الرسول ﷺ، كان يقول: «أم أيمن أمي بعد أمي».

* ولما بعث رسول الله ﷺ، كانت أم أيمن من السابقات إلى الإسلام، ومن المصدقات برسالة محمد ﷺ، ذكر ابن الأثير الجزري في كتابه النفيس «أسد الغابة» هذا فقال: أسلمت قديماً أول الإسلام^(٣). ومن أول يوم من أيام

(١) انظر أسباب الأشراف (٤٧١/١)، والسيرة الحلبية (٨٥/١)، والمجتبى لابن الجوزي (ص ١١٠).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢٢٣/٨)، وانظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٤) والإصابة (٤١٥/٤).

(٣) أسد الغابة ترجمة رقم (٧٣٦٣).

إسلامها انخرطت في موكب المسلمات، فتركها زوجها
عبيد بن زيد وأبى أن يسلم، ففرق الإسلام بينهما.

* وكانت خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، قد ملكت
زيد بن حارثة، اشتراه لها حكيم بن حزام بن خويلد^(١) من
سوق عكاظ، وسأل النبي ﷺ زوجته خديجة أن تهب له
زيداً، فوهبته له، فأصبح زيد أثيراً لدى رسول الله فاعتقه، ثم
زوجه أم أيمن حاضنته وجعل له الجنة، فولدت له أسامة
فكان يكنى به^(٢) رضي الله عنهم جميعاً، وكان لهذه الأسرة
المباركة شأن كبير في عصر النبوة وصدر الإسلام.



(١) هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي المكي،
وُلد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة في حوف الكعبة، أسلم يوم
فتح مكة سنة (٨ هـ)، شهد بدرًا مع المشركين، كان إذا اجتهد في
يمينه قال: والذي نجاني أن أكون قتيلًا يوم بدر. عاش ستين سنة
في الجاهلية وستين في الإسلام، وكان جواداً كريماً. توفي حكيم
بالمدينة سنة أربع وخمسين من الهجرة. وحكيم هذا ابن أخي
خديجة بنت خويلد أم المؤمنين - رضي الله عنها - وابن عم الزبير
ابن العوام بن خويلد، وله مناقب كثيرة، وروى عن رسول الله ﷺ
أربعين حديثاً. أخرج له منها في الصحيحين أربعة متفق عليها (عن
تهذيب الأسماء واللغات والمجتبى بتصريف يسير).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٤٥/٣).

* ذكر ابن الأثير - رحمه الله - أن أم أيمن أسلمت هديماً
وهاجرت إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ولهجرتها إلى
المدينة قصة شائقة لطيفة تدلُّ على إكرام الله سبحانه وتعالى
لها.

* نستمع إلى هذه الكرامة المباركة التي جباها الله لهذه
المؤمنة الثقية الثمينة، فقد ذكر ابن سعد وغيره هذه المكرمة
فقالوا: لما هاجرت أم أيمن أسلمت بالمنصرف دون الرجوع
فعطشت، وليس معها ماء، وهي صائمة فجهدها العطش
فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فأخذته
فشربت منه حتى رويت فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك
عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما
عطشت بعد تلك الشربة، وإني كنت لأصوم في اليوم الحار
فما أعطش^(١).

* إنه تكريم من الله عز وجل لخروجها في سبيله تبغي
مرضاته ورضوانه، لذلك ذكرها أبو نعيم عندما ترجم لها
بقوله: ومنهن أم أيمن المهاجرة المشية، الصائمة الطاوية،

(١) طبقات ابن سعد (٢٢٤/٨)، وانظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٤)،
والإصابة (٤/٤١٥)، والسيرة الحلبية (١/٨٥).

النَّاجِبَةُ الْبَاكِيةُ، سُمِّيَتْ مِنْ غَيْرِ رَاوِيَةٍ، شَرِبَتْ سَمَاوِيَةً، كَانَتْ لَهَا شَافِيَةٌ كَافِيَةٌ^(١).

* * *

صُورٌ مِنْ جِهَادِهَا:

* جَمَعَتْ أُمَّ أَيْمَنَ - رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا - الصُّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الْمَرْأَةِ، وَلَكِنَّهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى خِلَالِهَا الْحَمِيدَةِ أَضَافَتْ صِفَةً أُخْرَى رَائِعَةً إِلَى صَفَحَاتِ حَيَاتِهَا الْمَعْطَاءِ، أَلَا وَهِيَ صِفَةُ الْجِهَادِ، فَقَدْ أَبَتْ رِضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كِبَرِ سِنِهَا - إِلَّا أَنْ تَشَارَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبْطَالُ الْإِسْلَامِ فِي مَقَارَعَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَانَ لَأُمَّ أَيْمَنَ - رِضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ فِي الْغَزَوَاتِ الَّتِي حَضَرَتْهَا، سَجَلَهَا لَهَا التَّارِيخُ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ.

* وَالْآنَ دَعَوْنَا نَسْعُدُ فِي هَذِهِ السُّطُورِ مَعَ جِهَادِ أُمَّ أَيْمَنَ وَنَشْهَدُ جَانِبًا مِنْ شَجَاعَتِهَا وَأَعْمَالِهَا الْبُورَاءَةِ.

* * *

(١) الْحَلِيَّةُ (٢/٦٧).

* هي عزوه أحد خرجت أم أيمن - رضوان الله عليها - مع النساء اللاتي خرجن، وكانت مهمة أم أيمن مداواة الجرحى والاعتناء بهم، وسقاية العطاش من المجاهدين، وذكر سيدنا كعب بن مالك - رضي الله عنه - مهمة أم أيمن، فقال: «وكانت أم أيمن تسقي الجرحى».

* وبينما كانت تقوم بسقاية الجرحى، أصابها سهم من يد أحد المشركين وهو حبان بن العرقفة فوقعت أرضاً، فضحك حبان ضحكاً شديداً، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ودفع إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له فقال له: «ارم»، فأصاب السهم حبان فوقع مستلقياً وبدت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «استفاد لها سعد، أجاب الله دعوتك، وسدد رميتك»^(١).

* وتابعت المجاهدة الحريثة أم أيمن مهمتها، وكان لها موقفٌ يثيرُ إلى شجاعتها وحكمتها، فعندما خالف الرماة في أحدٍ أمر النبي الكريم ﷺ وانهمز بعض المسلمين، لقيتهم أم أيمن تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم: هاك المغزول فاعزل به، وهلم سيك^(٢). ثم اتجهت نحو رسول

(١) عن المغازي (١/٢٤١) وأنساب الأشراف (١/٣٢٠) بتصريف يسير جداً.

(٢) انظر المغازي (١/٢٧٨) وانظر أنساب الأشراف (١/٣٢٦) ودلائل =

الله ﷺ تستطلع أخباره في نسوة معها حتى اطمانت على سلامته فحمدت الله عز وجل.

* * *

موقفها في خيبر:

* في غزوة خيبر كان لأم أيمن موقف لا يقل روعة عن موقفها في أحد، فقد خرج مع رسول الله ﷺ من المدينة عشرون امرأة، ومن بينهن أم أيمن، وأم عمارة نسيبة بنت كعب، وأم العلاء الأنصارية وغيرهن^(١)، وتخلّف أيمن ابن أم أيمن عن هذه الغزوة لظرف منعه من الخروج، فعبرته بالجبن والخوف، علماً بأن أيمن كان من فرسان النبي ﷺ، وقد أخره عن الخروج مرض حصانه، وقد أشار لذلك سيدنا حسان بن ثابت، فقال يعدر أيمن - رضي الله عنه - ويذكر شجاعته ويسجل فضل أمه وموقفها:

على حين أن قالت لأيمن أمه
جئنت ولم تشهد فوارس خيبر
وأيمن لم يجبن ولكن مهرة
أضرب به شرب المديد المخمر^(٢)

= النبوة للبيهقي (٣/٣١١).

(١) انظر المغازي (٢/٦٨٥).

(٢) المديد: الدقيق يخلط مع الماء فنشربه الحيل، والمخمر: الذي =

لِلْمَلَائِكَةِ أَعْيُنٌ رَّاكَ وَإِلَهُنَّ كُرْسِيُّهَا
وَمَا كَانَ مِنْهُنَّ مُشْفِقُونَ

ولكنه قد صدّه فِعْلٌ مُهْرَهُ
وما كان منه عنده غير أيسر^(١)

وقد أكرم رسول الله ﷺ أم أيمن والنساء اللاتي خرجن معها، فقد ذكر ابن إسحاق - رحمه الله - عن شهود النساء خبير فقال: وشهد خبير مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضح لهن - أعطاهن عطاءً يسيراً - رسول الله ﷺ من القِيءِ، ولم يضرب لهن بسهم.

* * *

الصَّابِرَةُ فِي مُؤْتَةِ وَحْنِينَ:

* فِي سَرِيَةِ مُؤْتَةَ، خَرَجَ سَيِّدُنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَيْثُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمِيرًا عَلَى الْجَيْشِ كُلِّهِ، وَفِي مُؤْتَةِ لَقِيَ رَبَّهُ شَهِيدًا مَعَ سَيِّدِنَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَسَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَيَحَدِّثُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ أَصْحَابَهُ بِخَبْرِ اسْتِشْهَادِ الْأَمْرَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَأَوْلَاهُمْ زَيْدًا، وَتَلَقَّى أُمَّ أَيْمَنَ نَبَأَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا فَتَحْتَسِبُهُ عِنْدَ اللَّهِ

= ترك حتى يختمر.

- (١) الأعرس: الذي يعمل بيده الشمال ولا يعمل باليمين.
(٢) انظر البيهقي الأولين في الاشتقاق (ص ٤٦٠)، وانظر ديوان حسان ابن ثابت (ص ٢٦٦ و ٢٦٧).

وتصبر، وتعلم ابنها أسامة الصبر، وتغرس فيه روح الشجاعة
والثبات، ليثار لأبيه من المشركين، وفي هذا الموقف المؤثر
ضربت أم أيمن أجمل الأمثلة وأحلاها في الصبر والتسليم
لقضاء الله .

* ونأتي غزوة حنين، وتخرج أم أيمن - رضي الله عنها -
مع النساء اللاتي خرجن، وفي هذه الغزوة المباركة شاركت
أم أيمن بالكثير، دفعت بولديها أيمن وأسامة ليكونا حول
الرسول ﷺ، وشاركت هي في سقاية الجرحى، كما شاركت
يلسانها في الدعاء للمسلمين وطلب النصر من الله لهم .

* ومن الجدير بالذكر أن ابنها أيمن كان مع النفر من
المهاجرين والأنصار الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حنين،
ومنهم: سيدنا العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي
طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأيمن بن
عبيد الخزرجي، وأسامة بن زيد، وأبو بكر وعمر، وحارثة بن
النعمان، وغيرهم، وقد ضرب سيدنا أيمن بن عبيد أروع
الأمثلة في الشجاعة وفي الدفاع عن رسول الله ﷺ وسقط
شهيداً، ولحق بربه إلى جنات عرضها السماوات والأرض
أعدت للمتقين .

* وصبرت أم أيمن أيضاً، واحتسبت ابنها عند الله
سبحانه ابتغاء مرضاته ومرضاة رسوله ﷺ .

* * *

* كانت أم أيمن - رضوان الله عليها - تخدم النبي ﷺ وتهتم به، وكانت ذات مكانة كبيرة عند النبي الكريم، والرسول عليه الصلاة والسلام من أعرف الخلق بالناس، وقد نظر فرأى صفاء نفسية أم أيمن ونقاء قلبها، فأحلها مكانة كبرى، فكانت أم أيمن من أهل بيت النبوة عندما قال لها عليه الصلاة والسلام ذات مرة: «غظي قناعك يا أم أيمن» (١).

* ويروي علي بن برهان الدين الحلبي في سيرته اللطيفة حديثاً يشير إلى مكانة أم أيمن في نفس الرسول ﷺ، فعن عائشة بنت الصديق - رضي الله عنهما - قالت: شرب رسول الله ﷺ يوماً، وأم أيمن عنده، فقالت: يا رسول الله اسقني. فقلت لها: الرسول الله ﷺ تقولين هذا؟.

فقالت: ما خدمته أكثر.

فقال النبي ﷺ: «صدقته فسقاها» (٢).

* وهذا سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - يتحدث عن مكانة أم أيمن فيقول: ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها، فقربت له طعاماً أو شرباً، فيما كان صائماً وإما لم

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٢٤/٨).

(٢) انظر السيرة الحلبية (٨٥/١).

يُرْدَهُ، فَجَعَلْتُ تُخَاصِمَهُ أَي كُلُّ (١) - وفي رواية أخرى -
فَأَقْبَلْتُ تُضَاحِكُهُ (٢). وكان الحبيب المصطفى ﷺ يتسمم
لتصرفات أم أيمن - رضي الله عنها -.

* ومن الطريف أن أم أيمن كانت تفعل كل ما تقدر
عليه، في سبيل إكرام رسول الله، فقد روي أنها غرقت
- نخلت - دقيقاً فصنعت له النبي ﷺ رغيفاً، فقال: «ما هذا؟»
قالت: طعام تصنعه بأرضنا - أي في الحبشة - فأحبت أن
أصنع لك منه رغيفاً، فقال ﷺ: «رُدِّيهِ فِيهِ ثُمَّ اعْمِدِيهِ» (٣).

* ومما يُضَافُ إلى مكانة أم أيمن أنها كانت موضع
اهتمام الرسول الكريم ﷺ، فقد ذكر بعض المؤرخين أن
لونها كان أسود، وقد خرج أسامة يشبه لونها أيضاً، بينما كان
أبوه زيد بن حارثة أبيض، ومن ثم كان المنافقون والمرحفون
يظنون في نسب سيدنا أسامة بن زيد ويقولون: هذا ليس هو
ابن زيد، وكان النبي الكريم ﷺ يتشوش من ذلك، إلى أن
انجلت الحقيقة، فقد روى الشيخان عن عائشة أم المؤمنين
- رضي الله عنها - قالت: «دخل علي النبي ﷺ مسروراً
فقال: ألم ترني أن مجرراً المدلجي قد دخل علي فرأى

(١) النظر الحلية (٢/٦٨)، وصفة الصفوة (٢/٥٥).

(٢) الإصابة (٤/٤١٦).

(٣) انظر حياة الصحابة (٢/٢٧٣ و ٢٧٤) والحلية (٢/٦٨).

* وهناك قصةً طريفةً تدلُّ على المكاتة التي كانت تتمتعُ بها الصحابة الجليلة أم أيمن في نفس رسول الله، وتشيرُ القصةُ إلى حبِّها لرسولِ الله واحترامها له ولما يكرمها به، ولنتركُ شاهدَ عيانٍ يقصُّ علينا تلك القصة الشائقة.

* روى سيدنا أنسُ بن مالك - رضوان الله عليه - أنَّ الرجلَ كان يعطي من ماله النخلات أو ما شاء الله من ماله النبي ﷺ حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل يردُّ بعد ذلك، فأمرني أهلي أن أتبه فأسأله الذي كانوا أعطوه أو بعضه، وكان النبي ﷺ أعطاه أم أيمن، أو كما شاء الله، قال: فسألته فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فلوت الثوب في عنقي، وجعلت تقول: كلا والله لا إله إلا هو، لا نعطيكن وقد أعطانيهن. فقال نبيُّ الله ﷺ: «يا أم أيمن اتركي كذا وكذا» وهي تقول: لا والله حتى أعطها عشرة أمثال ذلك أو

(١) عن السيرة الحلبية (٢/٨٦) وانظر كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (ص ٢٩١ و ٢٩٢) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٨٣)، وكان محرز يقفو الأثر فيعرف صاحبه بالمطابقة بينه وبين القدم، وهو علم يبنى على شدة الفراسة وقوة الملاحظة.

نحوه - وفي لفظ الصَّحِيح: كلا والله حتى أُعطي عشرة أمثاله^(١).

* وهكذا كانت أم أيمن - تتدلُّ - ولم ترض حتى أخذت ما أحببت، وقد منحها الرسول الكريم ما أرادت، ونالت الرضا والتكريم - رضي الله عنها وأرضاها -.

* * *

النبي الكريم بِاسْمًا:

* كان النبي الكريم ﷺ يمزح مع أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك لإدخال السرور عليهم، وكان له ﷺ بعض المواقف اللطيفة مع حاضنته أم أيمن، فمن ذلك ما روي أنها جاءت به فقالت: يا رسول الله احملني، قال: «أحملك علي ولد الناقة» قالت: إنه لا يطيقني ولا أريد، قال: «لا أحملك إلا عليه» يعني أنه كان يمازحها، وكان الرسول الحبيب يمزح ولا يقول إلا حقاً، والإبل كلها ولد التوق^(٢).

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (٢/٤٤٤ و ٤٤٥)، وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٥)، والإصابة (٤/٤١٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/٢٨٨ و ٢٨٩).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٨/٢٢٤).

* كان النبي الكريم ﷺ يعلم أم أيمن بعض الأمور في الحلال والحرام، وكان أحياناً يُوجِّهها توجيهاً لطيفاً، من ذلك ما رواه أم أيمن - رضي الله عنها - حيث قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ناوليني الخمرة من المسجد» قلت: إني حائض، قال: «إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ»^(١).

* وذكر الرواة أن أم أيمن كانت تتعثر في الكلام أحياناً - عسراء اللسان - وكان النبي الكريم يعلمها أو يأمرها أن تلتزم السكوت؛ من ذلك ما روي أنها دخلت على النبي ﷺ فقالت: سلام لا عليكم، فرخص لها أن تقول: السلام^(٢). وكانت تقصد أن تقول: سلام الله عليكم. وهكذا علمها النبي الكريم دون أن يخرج السلام عن صيغته الصحيحة، ودون أن يחדش شخصية الصحابة الفاضلة أم أيمن - رضي الله عنها -.

* ومن الطريف أن النبي الكريم، لا ينسى وهو في اللحظات الحرجة أن يتسم وأن يعلم حاضته، كان هذا في غزوة حنين، إذ كانت المعركة في أوائلها حرباً شديدة امتحن بها المؤمنون، وزلزلوا وصاقت عليهم الأرض بما رحبت، وتراجع كثير من الناس، وثبت بعضهم، في تلك اللحظات

(١) انظر الإصابة (٤/٤١٦).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٥).

كان رسول الله ﷺ، ينادي الناس المتراجعين الذين سيطر عليهم الهلع ويقول: «إلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلِّمُوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا النَّبِيُّ لَا كُذْبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ».

* في هذا الموقف يسمع حاضته أم أيمن تدعو الله بلكنتها الأعجمية وتقول: سَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَكُمْ. وانبه النبي الكريم لما تقول، ولم تنسه أهوال الحرب أن يمازجها ويعلمها، وأقبل عليها يقول: «اسكتي يا أم أيمن فَإِنَّكَ عِثْرَاءُ اللِّسَانِ»^(١).

* * *

أم أيمن والصديقة عائشة:

* عندما رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، قال أهل الإفك ما قالوا في الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها -، فبرأها الله مما قالوا^(٢)، وهنا كانت أم أيمن موضع ثقة النبي الكريم، فأثنت

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٤٩/٣)، وطبقات ابن سعد (٢٢٥/٨) وفيه عسراء اللسان، بدل عثراء اللسان.

(٢) انظر حديث الإفك في صحيح البخاري لتفسير سورة النور، وانظر تفسير الماوردي وابن كثير والقرطبي للآيات (١٠ - ٢٠) من سورة النور.

وبصري أن أكون علمت أو ظننتُ بها إلا خيراً^(١).

* وهكذا عبّرت الحاضنة الكريمة عن طيب عنصرها وتربيتها النوية، فحظيت بالمكانة المباركة عند الرسول الكريم وعند زوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -.

* * *

أم أيمن وبنات النبي:

* لم تكن أم أيمن - رضي الله عنها - بمعزلة عن الأحداث التي كان تمرُّ بالبيت النبوي، فقد كانت تشارك الرسول الكريم ﷺ، كما تشارك أهله في أعمالهم وفي أفراحهم، وها هي تكون مع فاطمة بنت رسول الله يوم زواجها من سيدنا علي بن أبي طالب وتتقوم بشأنها مع الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس^(٢).

(١) انظر المغازي (٤٣١/٢)، وانظر حياة الصحابة (٦٦٧/٢) وما بعدها.

(٢) هي أسماء بنت عميس بن معد، أسلمت بمكة قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله ومحمد وعون، وقُتل عنها جعفر يوم مؤتة، فتزوجها سيدنا أبو بكر الصديق =

* ولما توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ، كانت أم أيمن ممن غسلها، وكذلك سودة بنت زمعة وأم سلمة^(١) زوج النبي الكريم ﷺ.

* ومن الجدير بالذكر أن أم أيمن قد غسلت خديجة أم المؤمنين بمكة لما توفيت، وذلك قبل الهجرة النبوية الشريفة^(٢).

* * *

فراق الحبيب:

* في صفر سنة (١١ هـ)، أخذ النبي الكريم ﷺ يجهز جيشاً كبيراً، وجعل أميرة سيدتنا أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطيء الخيل تحوم البلقاء، وذلك لإرهاب الروم،

= فولدت له محمداً، ومات عنها، وأوصى أن تغسله، ثم تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب فولدت له يحيى.

كانت أسماء من أكرم الناس أصهاراً، فمن أصهارها رسول الله ﷺ: وحمة والعباس وغيرهم. ولها أخبار تدل على فضلها. وكانت من خيار الصحابيات، وروت عن النبي الكريم ستين حديثاً، وروى عنها عدد من كبار الصحابة والتابعين (عن سير أعلام النبلاء وأسد الغابة وتهذيب الأسماء واللغات والمحتجب بتصرف).

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣٤/٨) وأنساب الأشراف (٤٠٠/١).

(٢) انظر أنساب الأشراف (٤٠٦/١).

وتكلم ناس في أمير الجيش أسامة لحدائته سنه فقال
النبي الحبيب ﷺ: «إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُتِمَ تَطَعْنُونَ
فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَيْمَ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ
كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ
بعده»^(١).

وانتظم الناس في جيش أسامة بالجُرف - مكان علي
فرسخ من المدينة - ولكن مرض رسول الله ألقاهم، وكانت أم
الأمير الصحابيَّة أم أيمن بقربه ﷺ تقوم على خدمته كعادتها،
ودخلت على النبي الكريم فقالت: أي رسول الله لو تركت
أسامة يقيم في معسكره حتى تماثل فإن أسامة إن خرج علي
حالته هذه لم يتفجع بنفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أَنْفَذُوا
بَعَثْ أُسَامَةَ»^(٢). ثم قال لأسامة: «أَعُوذُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ»^(٣)،
فودعه أسامة وخرج إلى معسكره، وبينما هو يريد الركوب إذا
رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول: إن رسول الله ﷺ يموت،
فأقبل سيدنا أسامة، وأقبل معه سيدنا عمر وسيدنا أبو عبيدة
- رضي الله عنهم -، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت.

(١) انظر صحيح البخاري، باب بعث النبي ﷺ أسامة.

(٢) المغازي (٣/١١١٩).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/١٩٠ و ١٩١)، وانظر عيون الأثر (٢/٣٥٦).

* وتوفي النبي الكريم وتسرب التبا القادح، وأظلمت
 على المدينة أرجاؤها وآفاقها، وانغطرت قلوب الناس حزناً،
 ووقفت أم أيمن حزينه باكية رسول الله، وتراءت صور أمم
 عينيها، فتذكرت محمداً الابن والرسول والولي والكريم،
 فانطلقت ترثي الحبيب ﷺ :

عَيْنُ جُودِي فَإِنَّ بِذَلِكَ لُدًّا
 مَعَ شِفَاءِ فَأَكْثَرِي مِ الْبِكَاءِ
 حِينَ قَالُوا الرَّسُولُ أَمْسَى فَقِيداً
 مَبْتَأاً كَانَ ذَلِكَ كُلَّ الْبِلَاءِ
 وَابْكِيَا خَيْرَ مَنْ رَزَيْنَاهُ فِي الدُّنْ
 يَا وَمَنْ حَصَّهُ بِوَحْيِ السَّمَاءِ
 بِدَمُوحِ غَزِيرَةٍ مِنْكَ حَتَّى
 يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ خَيْرَ الْقَضَاءِ
 فَلَقَدْ كَانَ مَا عَلِمْتُ وَصُولاً
 وَلَقَدْ جَاءَ رَحْمَةً بِالضُّيَاءِ
 وَلَقَدْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ نُوراً
 وَسِرَاجاً بِيضِيءُ فِي الظُّلْمَاءِ
 طَيِّبِ الْعُودِ وَالْقُرَيْبَةِ وَالْمَعْدِ
 بَدِينِ وَالْحَتَمِ حَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ (١)

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/٣٣٢ و ٣٣٣)، وانظر كتاب منح المدح
 لابن سيد الناس (ص ٢٣٧).

السَّلَام - أَيْهَا سَطَوُ بِالْحَلْمَةِ وَالسُّفَرِ، وَهَذَا لَيْسَ بِالْعَرِيبِ، إِيَّاهُ
الصَّدُوقُ وَالْإِيمَانُ وَالْبِرْكَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ عَلِمْتُ
بِهِ ﷺ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ.

* وَمِنْ الطَّرِيفِ وَالْمَفِيدِ ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ ابْنَ سَيِّدِ
النَّاسِ قَدْ ذَكَرَ شُعْرَاءَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ مَدَحُوا أَوْ زَنَبُوا رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ فِي كِتَابِهِ التَّفْهِيمِ «مَنْحُ الْمِدْحِ» وَعَدَّ مِنْهُمْ أُمَّ أَيْمَنَ فَقَالَ
مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ:

وَلَأُمُّ أَيْمَنَ وَابْنَةُ الْعَدُوِّ عَا
نَكَةَ الرِّثَاءِ فَحَبِذَا مَعْرَاهُمَا

كَمَا ذَكَرَ النَّسَاءُ اللَّاتِي رَثِينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

* وَلَمَّا بُويعَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ بِالْخِلَافَةِ انْطَلَقَ
الْجَيْشُ بِقِيَادَةِ أَسَامَةَ، وَنَقَدَ الْمَهْمَةَ، وَعَادَ فَائِزًا مَنْصُورًا رَاكِبًا
عَلَى فَرَسِ أَبِيهِ زَيْدٍ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَاسْتَقْبَلَهُمْ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ
- رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَمِيعَهُمْ مَسْرُورُونَ بِنَصْرِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* * *

(١) انظر كتاب منح المدح (ص ٣٨ و ص ٣٣٥) وما بعدها.

مَنْزِلَتِهَا - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - :

* ظَلَّتِ الصَّحَابَةُ الْجَلِيلَةَ أُمَّ أَيْمَنَ تَحْتَفِظُ بِمَكَائِثِهَا وَمَنْزِلَتِهَا الْكَبِيرَةَ فِي نَفُوسِ الصَّحَابَةِ - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - ، وَخَاصَّةً فِي نَفْسِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاءِ - ، وَذَلِكَ لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : مُرُّ بِنَا إِلَى أُمَّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُمَا بَكَتْ ، فَقَالَا لَهَا : مَا يَبْكُكِ؟ فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي أَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ صَارَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَلَكِنْ أَبْكِي لِخَيْرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ عَنْهَا ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا^(١) .

* وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَتْ : إِذَا أَبْكِي عَلَى خَيْرِ السَّمَاءِ كَانَ يَأْتِينَا غَضًا جَدِيدًا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَقَدْ انْقَطَعَ وَرُفِعَ ، فَعَلِيهِ أَبْكِي ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهَا^(٢) .

* وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌو كَانَا يَزُورَانِهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا .

* وَظَلَّتِ الْحَاضِرَةُ الْكَرِيمَةُ تَحْتَلُّ الْمَهَابَةَ وَالْكَرَامَةَ فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، وَانظُرْ صِفَةَ الصَّفْوَةِ (٥٥/٢) ، وَانظُرْ الْإِصَابَةَ (٤١٦/٤) ، وَالْمَجْتَبَى لِابْنِ الْجَوَازِيِّ (ص ١٠٠) .

(٢) انظُرْ هَذَا فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (٢٧٥/٥) وَانظُرْ أُنْسَابَ الْأَشْرَافِ (٥٦٧/١) .

خيراً عظيماً عن هذا فقال:

* حدثني حرمة مولى أسامة بن زيد أنه بينا - بينما - هو جالسٌ مع ابن عمر إذ دخل الحجاج بن أيمن فصلّى صلاةً لم يتم ركوعها ولا سجودها، فدعاه ابن عمر وقال: أتحسب أنك قد صليت؟ إنك لم تصلّ فعُدْ لصلاتك، فلما ولى قال ابن عمر: من هذا؟ فقلت: الحجاج بن أيمن ابن أم أيمن، فقال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه^(١).

* ومما يُضاف إلى رصيد الصحابة الكريمة أم أيمن ما رواه مسلمة بن محارب قال: قال معاوية بن أبي سفيان لأسامة بن زيد - رضي الله عنهما -: رحم الله أم أيمن كأني أرى ساقها وكأنهما ساقا نعاماً.

فقال أسامة: كانت والله خيراً من هيند^(٢) وأكرم.

فقال معاوية: وأكرم أيضاً؟!!

فقال: نعم قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٣) [سوراة الحجرات: ١٣].

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٦٦).

(٢) والدة معاوية رضي الله عنهما.

(٣) انظر أنساب الأشراف (١/٤٧٥).

* وبقي احترام أم أيمن مستقراً في النفوس، وظلت مكائنها كبيرة تزداد مساحةً بعد مرور زمن طويل، ففي خير طريق يشير إلى ذلك ما روي: أن ابن أبي الفرات مولى أسامة بن زيد، خاصم الحسن بن أسامة بن زيد - حفيد أم أيمن - وتنازعه، فقال له ابن أبي الفرات في كلامه: يا ابن بركة يريد أم أيمن، فقال الحسن بن أسامة: اشهدوا، ورفع الأمر إلى قاضي المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - قاضي عمر بن عبد العزيز - وقص عليه القصة فقال أبو بكر لابن أبي الفرات: ما أردت إلى قولك يا ابن بركة؟ قال: سميتها باسمها، قال أبو بكر: إنما أردت بهذا التصغير بها وحالها من الإسلام حالها، ورسول الله ﷺ يقول لها: يا أمه ويا أم أيمن وتقول له يا ابن بركة! لا أقالي الله إن أفلتت، فضره سبعين سوطاً^(١).

* وظل أحفاد أم أيمن ينسبون إلى ولاء رسول الله ﷺ، وكان يُقال لهم: بنو الحب.

* توفيت أم أيمن - رضي الله عنها - بعد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بخمسة أشهر، وكان يوم وفاتها يوماً مشهوداً^(٢).

* * *

(١) عن طبقات ابن سعد (٢٢٦/٨) بتصرف يسير.

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٣٥٨/٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي =

* قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: آية ٧٢].

* أم أيمن الحبشية بقية أهل بيت النبي الكريم ﷺ وإحدى النساء الفاضلات السابقات إلى الخير.

* وهذه الصحابية الكبيرة إحدى نماذج الطيبة في عصر النبوة، وإحدى النساء اللاتي توفي رسول الله وهو عنهن راضٍ.

* هذه المرأة الطيبة المباركة من المهاجرات الأول اللاتي سلكن سبل الخير رغم صعوبة الطريق، فوصلن إلى ما يبتغين، وقد نالت أم أيمن البشارة بالجنة بفضل لقاء سريرتها وطهارة قلبها، ولذلك فقد أتحنفها رسول الله ﷺ بالبشارة العظمى - الجنة - وبشّر من يتروجها بالجنة أيضاً.

* روى خبر البشارة هذه فضيل بن مرزوق عن سفيان بن عقيبة قال: كانت أم أيمن تلطف - تكرم وتبر - النبي ﷺ وتقوم عليه فقال:

□ (٤٩/٣)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧٣٦٣).

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ
أَيْمَنْ»^(١).

قال: فتزوجها زيد بن حارثة، وزيد - رضي الله عنه -
أحد سادات الصحابة وحب رسول الله ومولاه، وأحد
السابقين إلى الإسلام، فلما سمع هذا الحديث من النبي
الكريم سارع فتزوجها، فولدت له أسامة - الحب بن الحب -
وما أدراك ما الحب بن الحب! رضي الله عنهم أجمعين.

* هذه أم أيمن بركة، وحسبها من البركة ما نالت من
رسول الله من الإكرام والتكريم، وحسبها من هذا الجزاء
الأوفى ما نالت من الله جزاء كريماً هو الجنة إن شاء الله.

* وبعد، فهل من مزيد في سيرة هذه الصحابة العطرة
المعطارة؟ لا شك أن هناك الكثير الكثير، ولكني أذكرك أخي
القارئ بأن أم أيمن قد روت عن النبي ﷺ خمسة أحاديث،
وروى عنها سيدنا أنس بن مالك، وحش بن عبد الله
الصنعاني، وأبو يزيد المدني^(٢).

* وأزيدك - أخي القارئ أيضاً - بأن أم أيمن تُعرف بأم

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٢٤/٨)، والإصابة (٤١٦/٤)، وانظر

أنساب الأشراف (٤٧٢/١).

(٢) انظر تهذيب التهذيب (٤٥٩/٢).

* رحم الله أم أيمن ورضي عنها وأرضاهما، وقبل أن نودع سيرتها اللطيفة نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ ﴿ [القمر: الآيتان ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) انظر الإصابة (٤/٤١٥)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٦٧٦٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَمَاءُ مَلِكِ بْنِ الْحَكَمِ

١٤١٢ هـ

الرَّبِيعُ بِنْتُ مَعُوذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

«لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ للربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - :
«اسكني لبي وضوءاً»

تجد عددًا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

الرَّبِيعُ بِنْتُ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها

البدايةُ الخيرةُ:

* الإيمان هبةٌ من الله سبحانه يمنُّ به على من يشاء من عباده، وقد شاء الله أن يجعل الخير في أهل المدينة المنورة؛ الذين استجابوا لدعوة الإسلام، وتكونت منهم ومن المهاجرين جماعةٌ خيرة، نمت نمواً طبيعياً سليماً على أساس من التقوى، كما تنمو الشجرة الباسقة الطيبة ذات الأصل الثابت والجذر العميق.

* هذه الجماعة النادرة حَفَّتْها العناية الإلهية، وعزَّزتها بالصبر والإيمان لتحقيق مشيئة الله بها في الأرض، فكانت خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

* في المدينة المنورة، وفي تلك المجموعة الفريدة السعيدة نشأت الصحابة الجليلة الربيع بنت معوذ بن عفراء

الأنصار الفاضلات، وإحدى النساء الشهيرات من دوات
 الشَّانِ في الإسلام، ومن اللاتي ربَّاهن الإسلام تربيةً خيرةً
 مباركة، فجادت بالعطاء الخير، وشاركت في الجهاد وفي نشر
 العلم والفضائل وكل خير.

* * *

الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ:

* الرُّبِيعُ بِنْتُ مَعُوذٍ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ اللَّائِي عَشَنَ فِي ظِلِّ
 الإسلام، ونبتن نباتاً حسناً من شجرة دائية القطوف، مباركة
 الثَّمَر، فأبوها معوذ بن عفراء من كبار أهل بدر الذين أطلع الله
 إليهم فقال: «اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»^(١).

فلما كان يوم بدر كان لأولاد عفراء شأن عظيم، تركوا
 فيها أثراً مباركاً طيباً، فقد خرج عتبة بن ربيعة أبو الوليد بين
 أخيه شيبة وولده الوليد بن عتبة حتى فصل من صف
 المشركين ودعا للمبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة
 إخوة أشقاء وهم معوذ ومعاذ وعوفد بنو عفراء، فقالوا: من
 أنتم؟

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٤١٨/١٢).

(٢) رواه الإمام البخاري في المغازي (٩٩/٥) باب: فضل من شهد بدرًا.

قالوا: رهطٌ مِنَ الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم حاجة.

فناداهم النبي الكريم ﷺ أن ارجعوا إلى مصافكم وليقم إليهم بنو عمهم، فخرج إليهم سيّدنا حمزة بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث رضوان الله عليهم، فنصرهم الله سبحانه وقتل أئمة الكفر.

* وقد شارك معوذ بن عقرء في تحطيم رأس الكفر المتمثل في شخصية فرعون الأمة أبي جهل بن هشام، ذكر ابن قدامة المقدسي أن معوذاً شهد بدرًا مع أخويه وقتل أبا جهل ثم قاتل حتى قُتل - رضي الله عنه ^(١) -.

* ولذلك ترحم النبي ﷺ على ابني عقرء فقال: «رحم الله ابني عقرء اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر» فقيل: يا رسول الله من قتله معهما؟ قال: «الملائكة»، ودفعه ابن مسعود ^(٢).

* ومما هو جدير بالذكر أن معوذاً قد كسب شرفاً عظيماً قبل بدرٍ، إذ كان أحد السبعين ليلة العقبة مع أخويه معاذ

(١) الاستصار (ص ٦٦).

(٢) انظر السيرة الحلبية (٢/٤٢٣ و ٤٢٤) ودفعه: أجهز عليه، وانظر عيون الأثر (١/٣١٥).

بدرًا ولمس يزرع سردي لرب السريين يرمداً، ولما
يشير إلى ذلك ما قالته هند بنت عتبة حين أصيب أهل بدر:

لَنْ يَزَالَ الْمَصَابُ قَلْبِي كَتِيباً
مَسْعَرُ الْحَرْبِ مِنْ بَنِي عَمْرَاءِ

* أما زوج الربيع فهو أحد كبار المهاجرين وهو إياس ابن
البيكر الليثي، وقد ولدت له ابنة محمد بن إياس.

* كانت الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - تعتز بهذا
الشرف العظيم الذي حققته أسرته المعطاء في مطلع النور
بالمدينة المنورة، وكانت من النساء اللاتي حظين بمكارم
كثيرة من النبي الكريم ﷺ، ويكفيها شرفاً وفخراً أن رسول
الله كان يزورها ويقبل هديتها.

* * *

من مناقبها:

* لهذه الصحابية الكريمة مناقب جمّة بوانتها مكاناً علياً
بين نساء المسلمين، وعند نساء الأنصار بشكل خاص،
ومنقبة ذكرتها الربيع جعلتها تعيش في عالم علوي رائع،

(١) انظر في هذا البداية والنهاية (٣/١١٦).

ولم تكن هذه المنقبة إلا زيارة مباركة من النبي الكريم لهذه الصحابة حينما تزوجت، لذلك ظلت تحمّل في ذكرتها طيف تلك الزيارة المعطار التي ظلت تشعر ببركتها إلى أن لقيت ربّها، وقد ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - خبر هذه الزيارة وسببها فقال: وقد زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها صلّة لرحمها^(١).

* أما قصة هذه الزيارة المباركة فقد تكفل الإمام البخاري رحمه الله بروايتها في صحيحه، إذ روى بسنده عن خالد بن ذكوان قال:

قال الربيع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي ﷺ فدخل عليّ حين بُني عليّ، فجلس عليّ فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويزيات لنا يضررن بالدفّ ويندنن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبيّ يعلم ما في غد، فقال: «دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين»^(٢).

* ومما يفيد ذكره هنا أن النبي الكريم - وهو المعلم المرئي - قد أنكر على الجاريتين ما ذكرته من أنه ﷺ يعلم الغيب، لأنّ علم الغيب ممّا اختصّ الله سبحانه وتعالى به نفسه، أمّا ما كان يخبر به النبي الكريم عليه الصلّة والسلام

(١) سير أعلام النبلاء (٣/١٩٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح (٧/٢٥)، وانظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٣)، والإصابة (٤/٢٩٣).

عالم الغيب لا يظهر على شيء أحدًا إلا من ارضى من
رسول. . . ﴿ [سورة الجن: ٢٥ و ٢٦]، من هذا المنطلق
نهى رسول الله الجارية عن مقولتها.

* * *

هدية وإكرام:

* الكرمُ صفةٌ جميلةٌ في النَّاسِ، وما يبذله النَّاسُ إنَّ هو
إلا رصيد إيماني لهم يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد،
والأنصار ممن اتصفوا بالجود والكرم، وكانوا يتحفون النبيُّ
الكريم بالهدية، ويتحرَّون ما يحبه ﷺ ليدخلوا السرور إلى
قلبه الشريف.

* وكانت الصحابة الكريمة الربيع - رضي الله عنها -
تهدي إلى النبي الكريم ما يحبه من طعام، فقد أخرج
الطبراني عن الربيع بنت معوذ بن عفراء - رضي الله عنهما -
قالت:

بعثني معوذ بن عفراء بصاع من رطب عليه أجر^(١) من
قضاء رغب إلى رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يحب القضاء،
وكانت حليَّة قد قدمت من البحرين، فملا يده منها

(١) أجر: الصغير من كل شيء، والمقصود هنا صغار القضاء عليها الوبر =

فأعطانيها، وفي رواية: فأعطاني سلء كفي حلياً أو ذهباً،
وزاد أحمد: فقال: «تحلّي بهذا»^(١).

* لقد قبل النبي الكريم من الربيع هديتها وعرف قدرها، ولكنه أعطاها ما هو أفضل، فهو ﷺ أجود ولد آدم، يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة - الفقر - وهذا ما جعل موسى بن هارون الحمالي يقول عن صيفة حلقتنا - رضي الله عنها - : الربيع بنت معوذ بن عفراء قد صحبت النبي ﷺ ولها قدرٌ عظيم^(٢).

* * *

عَلِمَهَا وَفَقَّهَهَا:

* أسلمت الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - وبايعت النبي ﷺ، ونهلت من المعين النبوي الصافي وعرفت كثيراً من أحكام الإسلام عن كُتب، فقد كان النبي الكريم ﷺ كثيراً ما يعشَى بيتهما ويتوضأ ويصلي ويأكل عندها.

وكانت الربيع - رضوان الله عليها - تشعر بالبركة في زيارة النبي الكريم لها، وكانت تتعلم منه أمور الدين وتتفقه

= الناعم الذي هو الزغب -

(١) مجمع الزوائد (٩/١٣)، والاستبصار (ص ٦٦).

(٢) الاستيعاب (٤/٣٠٢).

شاهدته أو سمعته من رسول الله ﷺ.

* روي أن سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -
أتاها فسألها عن وضوء رسول الله ﷺ^(١)، فقد عرفت عن
الرابع - رضي الله عنها - أنها الصحابية الراوية لصفة وضوء
النبي الكريم ﷺ، فقد أخرج الإمام أبو داود في سننه
بسنده عن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عفراء
قالت:

كان رسول الله ﷺ يأتينا، فحدثنا أنه قال: «اسكبي
لي وضوءاً» فذكرت وضوء رسول الله ﷺ، قالت فيه: فغسل
كفيه ثلاثاً، ووضأ وجهه ثلاثاً، ومضمض، واستنشق مرة،
ووضأ يديه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه مرتين يبدأ بمؤخر رأسه
ثم بمقدمه، وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطنيهما، ووضأ رجليه
ثلاثاً ثلاثاً^(٢).

* وهكذا فقد رسمت الربيع - رضوان الله عليها - صورة
وضوءه مباركة لوضوء رسول الله ﷺ كأنك تراه، فنعم
الموصوف ونعم الوصف!

* * *

(١) الاستبصار (ص ٦٦).

(٢) انظر سنن أبي داود (٢٠/١) باب: صفة وضوء النبي ﷺ.

لَوْ رَأَيْتَهُ:

* رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصَّحَابِيَّةَ الْجَلِيلَةَ الرَّبِيعَ بِنْتَ
مَعُوذَ عَقْلًا كَبِيرًا صَافِيًا، فَكَانَتْ حَافِظَةً لَاقِطَةً مَتَقَنَةً، وَقَدْ
وَصَفَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصِفًا جَمِيلًا، وَبَدَّلَ عَلَيَّ هَذَا مَا وَرَوَاهُ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِلرَّبِيعِ بِنْتَ
مَعُوذَ بْنِ عَفْرَاءَ: صَفِي لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا بِنْتِي لَوْ
رَأَيْتَهُ لَرَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً^(١).

* أَعْظَمَ بِهَذَا الْوَصْفِ وَأَكْرَمَ بِهِ سَنٌ مَوْصُوفًا! فَقَدْ أَرَادَتْ
الرَّبِيعَ - رَضْوَانَ اللهِ عَلَيْهَا - أَنْ تَصِفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَفْضَلِ
لِقَظٍ وَأَجْمَلِ صِفَةٍ، فَهِيَ كَالشَّمْسِ يَضِيءُ كُلَّ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ ذُو
فَضَائِلَ لَا يُمْكِنُ لِبَشَرٍ أَنْ يَحْضُرَهَا فِي كَلِمَاتٍ، كَمَا أَنَّ صِفَاتِهِ
لَا يُمْكِنُ أَنْ تُحْضَرَ فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

* رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهَا
وَصَفَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ كَانَ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُ
حَسَنًا بِنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

مَتَى يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبِهِمِ جِيئُهُ
يَلْعُجُ مِثْلَ مَصْبَاحِ الدُّجَى الْمَشْوَوقِ

(١) انظر دلائل النبوة لأصبهاني (٢/٧٧٥)، وأسد الغابة ترجمة رقم
(٦٩١٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/٢٠٠).

مشاركتها في الجهاد:

* سارعت الصحابة الجليلة الربيع بنت معوذ إلى نصرة الإسلام، وساهمت مساهمة فعالة في ساحة الجهاد ضمن الحدود التي شرعها الإسلام للمرأة، فقد كانت النساء يخرجن مع النبي الكريم ﷺ لسقي المرضى ومداواة الجرحى، وكانت نساء الأنصار يخرجن مع رسول الله ﷺ لهذا الغرض النبيل، فقد أخرج الطبراني عن الصحابة الكريمة أم سليم بنت ملحان^(١) - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان النبي ﷺ يغزو معه نسوة من الأنصار فيستقمن المرضى ويدوين الجرحى.

* وهذا يتوافق مع ما أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ - رضي الله عنهما - قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم، وترد القتلى والجرحى إلى المدينة.

* ولما كانت بيعة الرضوان في السنة السادسة من

(١) انظر كتاب منج المدح لابن سيد الناس (ص ٧٢)، وانظر ديوان حسان بن ثابت (ص ٣٨٠).

(٢) اقرأ سيرة الصحابة المباركة المعطاء أم سليم في هذا الكتاب.

الهجرة، كانت الربيع بنت معوذ بن اللاتي بايعن النبي
الكريم ﷺ تحت الشجرة، فنالت الرضوان، وفازت مع سن
فاز في هذه البيعة المباركة.

* * *

أنا ابنة قاتل عبده:

* في حياة الصحابة الكريمة الربيع بنت معوذ - رضوان
الله عليها -، مواقف فياضة بالشجاعة والكرامة تشير إلى عزتها
بالله، وتدل على حبها الشديد للإسلام، وهذا الحب يفوق
كل شيء، فلا تأبه بأحد ما دام هذا يخالف الشريعة، وفي
الموقف التالي الذي ترويه الربيع نفسها وينقله عنها أصحاب
السيرة والتراجم ما يبعث في النفس الإعجاب بهذه الصحابة
التي استمتعت في جوار النبي الكريم ﷺ بربيع دائم من
العلم، فأضحت علاقتها بعيدة عن عرض الدنيا ومتاعها،
تقول القصة:

كانت أسماء بنت مخزبة تباع العطر بالمدينة، وهي أم
عباس وعبدالله ابني أبي ربيعة المخزوميين، فدخلت أسماء
هذه على الربيع بنت معوذ ومعها عطرها في نسوة فسألها
فانتسبت الربيع، فقالت لها أسماء: أنت ابنة قاتل سيده
- تعني أبا جهل -.

قالت: حرام علي ان ابعت من عطري شيئاً .

قلت - أي الربيع -: وحرام أن أستري منه شيئاً، فما رأيت لعطري تتأ غير عطرك، ثم قمت، وإنما قلت ذلك في عطرها لأغيظها^(١).

* * *

لك كل شيء:

* الحياة الزوجية لا تخلو من عواصف تهزها، ومتاعب وصعوبات تحيط بها، فتعسر المعيشة أحياناً بين الزوجين فيكون التراقق بالإحسان، وهذا ما حدث للربيع - رضي الله عنها - مع زوجها إياس بن البكير، إذ وجدت معه صعوبة في الحياة، ولم تعد تستطيع متابعة الطريق معه، فلجأت إلى سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لحل مشكلتها، ولتترك الحديث لصاحبة العلاقة نفسها فتقول: كان بيني وبين ابن عمي كلام - وهو زوجها - فقلت له: لك كل شيء وفارقني .
قال: قد فعلت .

(١) انظر هذه القصة بمعان واحدة في طبقات ابن سعد (٣٠٠/٨)

و (٣٠١)، والمغازي (١/٨٩)، والاستيعاب (٣٠١/٤ و ٣٠٢)،

وسير أعلام النبلاء (٣/١٩٩)، والاستيعاب (ص ٦٧)، وأسد الغابة =

قالت: فأخذ - والله - كل شيء حتى فراشي.

فجئت عثمان - رضي الله عنه - فذكرت له ذلك - وقد حُصِر^(١) - فقال: الشرط أمك، أخذ كل شيء لها حتى عفاص رأسها إن شئت^(٢).

* وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يسألها عن قضاء سيدنا عثمان - رضي الله عنه - حين اختلعت من زوجها إياس.

الرأوية المحدثة:

* الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - إحدى النساء اللاتي كتب الله لهن شرف الصحبة النبوية، وشرف الجهاد مع النبي الكريم ﷺ، وكانت إحدى راويات الحديث النبوي الشريف، إذ كانت حافظة واعية روت عن رسول الله ﷺ واحداً وعشرين حديثاً.

* روى عن الربيع عدداً من أجلاء التابعين وعلمائهم منهم: عائشة بنت أنس بن مالك، وسليمان بن يسار،

= ترجمة رقم (٦٩١٠) -

(١) كان ذلك سنة (٣٥) هجرية.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٠/٣) والإصابة (٢٩٤/٤) بلفظ

قريب.

المسلمين للدار بن يالبر
علي حديث واحد، كما روي لها الجماعة.

* كانت الربيع - رضوان الله عليها - مثالا للمرأة المسلمة في علمها وروايتها للحديث النبوي الشريف، وعرف المسلمون قدرها، وأكبروا علمها، فكان عدد من الصحابة والتابعين يأتونها فيسألونها عما تعرفه من أحكام الشريعة، وقد روي عنها أهل المدينة لعلمهم بمكانتها عند رسول الله ﷺ، فمن مروياتها ما روي في الصحيحين بسند عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت: - اللفظ للبخاري -:

أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم. قالت: فكنا نصومه ونصوم صيانتنا ونجعل لهم اللعبة من العهن - الصوف - فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار^(١).

* وقد أثيرت عن الربيع - رضي الله عنها - بعض الكرامات التي تدل على فضلها وفضل أبيها - رضي الله

(١) تهذيب التهذيب (١٢/٤١٨)، والاستيعاب (٤/٣٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٩٨).

(٢) صحيح الإمام البخاري (٣/٤٥ و ٤٦)، وانظر تهذيب الأسماء =

عنهما - فقد كانت ورعةً تقيّةً كثيرة التّردّد على أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لتزوّد من علمها وفقهها وأدبها^(١).

* وفي سنة (٤٥) من الهجرة النبوية الشريفة، توفيت الربيع - رضي الله عنها - في أيام سيّدنا معاوية بن أبي سفيان بعد أن عمّرت دهرًا قضته في الخير والعلم والجهاد - رضي الله عنها وأرضاها -.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

* الصحابة الكريمة الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - إحدى الصحابيات المباركات اللاتي سارعن إلى الإيمان بالله، وهي إحدى السابقات إلى ميدان الفضائل والمكارم، وكانت ممن شارك في البيعة تحت الشجرة. قال النووي - رحمه الله - وغيره من أصحاب التّراجم؛ عن الربيع رضي

= واللغات للنووي (٢/٣٤٤).

(١) انظر في كرامتها دلائل النبوة للبيهقي (٧/١١٦).

* كانت البيعة المباركة تحت الشجرة بالحديبية، والشجرة سمرة، بايع المسلمون الله ورسوله على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم النصرة^(٢)، والصبر والجهاد، وكانوا فيما رواه سيدنا جابر بن عبد الله ألفاً وأربعمئة من المهاجرين والأنصار، وكل واحد من المبايعين يقرّب يوم الظفر، ويوم الاستشهاد؛ بنفس راضية وقلب مطمئن موصول بالله سبحانه وتعالى.

* مع تلك المجموعة السعيدة المباركة، كانت بطة ترجمتا الربيع عليها رضوان الله، وبايعت النبي الكريم ﷺ، والله العليّ القدير حاضر البيعة، ويده فوق أيديهم، وهذه الفئة المؤمنة سمعت بمرضاة الله تعالى حيث قال عز وجل: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ١٨].

* كما أن جماعة المؤمنين هؤلاء، خصّهم رسول الله ﷺ

(١) انظر في هذا: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٣)، والإصابة (٤/٢٩٣)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٦٩١٠)، والأعلام للزركلي (٣/٣٩).

(٢) انظر تفسير الماوردي (٤/٥٩) وما بعدها.

بِالْخَيْرِيَّةِ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١). أَصَفَ إِلَى ذَلِكَ كُلَّهُ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَوَعَدَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا؟

* وَكَانَتِ الرَّبِيعُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ضَمِنَ الْمَجْمُوعَةَ الْمُؤْمِنَةَ الْمَبَايِعَةَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانَ، فَحَظِيَّتْ بِبَشَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، رَوَى سَيِّدُنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٢).

* وَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ إِشَارَةٌ أُخْرَى تَبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ الْبَدْرِيِّينَ وَالشَّجَرِيِّينَ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدًا لِحَاظِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ يَشْكُوهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُ: لِيَدْخُلَنَّ حَاظِبُ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ»^(٣).

* وَبَعْدُ؛ فَهَذِهِ لِمَحَاتٍ مِنْ سِيرَةِ عَطْرَةِ لَصْحَابِيَّةٍ مَبَارَكَةٍ صَدَقَتْ مَا عَاهَدَتِ اللَّهَ عَلَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الرَّبِيعِ بِنْتِ مَعْوَدٍ وَعَنْ أَبِيهَا وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَفِي الْخَتَامِ نَقْرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي بَابِ غَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَانظُرْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ (٢٠٢/٤).

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (١٦٩/٧).

مكتبة دار الحديث

تَسْمِيَةُ بِنْتِ خَبَّاطٍ

١٤١٢ هـ

سُمِّيَتْ بِنْتُ خَبَّاطٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

«صِبْرُ آلِ يَاسِرٍ فَإِنَّ نَوْعَكُمْ الْجَنَّةُ»

حديث شريف

«اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْ أَحَدًا مِنْ آلِ يَاسِرٍ بِالنَّارِ»

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

سُمِيَّةُ بِنْتُ حُبَّاطٍ رضي الله عنها

الأسرةُ الياسريةُ:

* هذه الأسرة العظيمة جمعت كل فضائل الصبر والجهاد، وفاحت فضائلها بالطيب فكانت مضروب المثل في صدق الإيمان، والوفاء بعهد الله.

* تأتي هذه الأسرة المباركة من أماكن متفرقة؛ ولكنها تجتمع في مكة البلد الأمين الذي كان عطلع النور منه، ومن هناك بدأت الأسرة الياسرية بالتكوين.

* يعود أصل رب الأسرة هذه، وهو ياسر بن عامر بن مالك إلى اليمن، قدم إلى مكة يطلب أختاً له ويصحبه أخواه، الحارث ومالك ابنا عامر، فرجع أخواه إلى اليمن، وأقام ياسر في مكة حيث استعذب المقام فيها، وهناك حالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبدالله الصخزومي، ثم زوجته أبو حذيفة أمة اسمها سُمِيَّةُ بنت حُبَّاطٍ فولدت له عمارة، فأعتقه

* كان لعمار أخوان آخران هما: عبدالله وحريث، وقد قتل حريث في الجاهلية. من هنا تكونت هذه الأسرة التي حفلت بالتضحية والوان الجهاد المعطار، وخطت أحرفاً من نور في مطلع فجر الإسلام ما زالت تشعُّ بالنور إلى يومنا هذا، وتفيض بالبركة إلى آخر الدهر.

* * *

السابقون الأوّلون:

* ما إنْ أشرقت مكة بنور الإسلام، حتى سارعت الأسرة الياسرية بأركانها إلى الإيمان بالله، وإلى تصديق النبي الكريم ﷺ، وساعةً أعلنت الأسرة المباركة إسلامها سجّلها التاريخ وشهد لها بالخلود والبقاء في الضمائر والقلوب.

* كانت - بطلة ترجمتنا - سميّة بنتُ خِباط^(١) أمة لا يتعلّى شأنها إلا القيام على خدمة سيدها أبي حذيفة بن المعيرة المخزومي؛ بل لم يكن لها من ذكرٍ في مكة كلّها،

(١) انظر السير والمغازي لابن إسحاق (ص ١٩٢)، وأنساب الأشراف (١٥٧/١).

(٢) ذكرت في بعض المصادر بالياء - خباط -.

فقد كانت امرأة كبيرة طاعنة في السن، غير أن عقلها يرشح بالصفا، وقلبها ينبض بالتوقد والنشاط.

* أسلمت سمية وصدقت بالنبي ﷺ، واهتدت إلى سواء السبيل، قتلت الكرامة والخلود، وكانت كما قال عنها الإمام الذهبي - رحمه الله -: من كبار الصحابيات^(١).

* وقُيدت سمية في سجل الخالدين، فإذا ما ذُكر الأوائل في الصبر والجهاد ذُكرت الصحابية الجليلة سمية، وإذا ذُكر الشهداء جاءت في القائمة الأولى يلمع اسمها في أول الأسماء، ينضح بالطيب، ويذكر بالصبر، ويشير إلى الخلود.

* * *

سابعة سبعة:

* من الطريف في حياة هذه الصحابية الصابرة إيمانها المبكر، فقد كانت - رضي الله عنها - من الرعيل الأول ممن دخل الإيمان في قلوبهم، ولا شك أن إيمانها العميق بالله جعلها رائدة الصابرات الصامدات في مطلع النور، بل هي أول امرأة أظهرت إسلامها^(٢)، وكانت سابعة سبعة في

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٤٠٦).

(٢) هذا لا ينافي أن خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أول الناس =

- رضوان الله عليها - في تعدادها، روى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه هذا فقال:

أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر؛ وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فتمعه الله بحمته، وأما أبو بكر فتمعه الله بقومه، وأما سائرهم، فالبسهم المشركون أتراع الحديد وصدقوهم في الشمس، وما فيهم أحد إلا وقد آتاهم - وافقهم - علي ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الوردان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: ^{١٦}أحد أحد.

✽ وهنا بدأت رحلة العذاب مع هذه العُصبة التي آمنت بربها فزادها هدى وربط على قلبها إذ قامت فقالت: ربنا رب السماوات والأرض، وكان في مقدمة الأسرة سمية - رضي الله عنها - فقد اشتد الغيظ بقريش، فلم يجدوا متنفساً لغيظهم إلا أن يثوروا على الضعفاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتبعوا

= إيماناً برسول الله ﷺ.

(١) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧٠١٣).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٤٠٨/١ و ٤٠٩)، وانظر كذلك البداية

والنهاية (٥٨/٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢٨١/٢ و ٢٨٢).

رسول الله محمداً ﷺ، وشجعهم على ذلك أن هؤلاء ليس لهم من يمنعهم أو يحميهم، فافتنوا في عدايتهم أفانين تدل على ما كان في صدورهم من حقدٍ وغيظٍ على دعوة الإسلام، فأتبعوا رغباتهم المجنونة بعذاب سميّة وأسرتها. ذكر ابن الأثير - رحمه الله - في كتابه «أسد الغابة» ما كانت تلاقيه من التعذيب فقال: وكانت من السابقين إلى الإسلام... وكانت ممن يُعذب في الله أشد العذاب.

* * *

الأسرة الصابرة:

* لا يستطيع الإنسان إلا أن يقف وقفة إعجاب أمام الأسرة الياسرية، هذه الأسرة الكريمة التي بُسرت لليسرى، فأتارت عظماء مكة وكبراءها، وأخرجت حلماًها عن طورهم، بل كادوا يتميرون من الغيظ كلما رأوا أفراد الأسرة جميعاً راسخين مطمئنين، لا يخيفهم عذاب، ولا يردهم عن عقيدتهم نصب ولا رمضاء ولا عطش، وبشر موقف الأسرة هذه إعجاب المشركين أنفسهم بقدر ما بشر دهشتهم ويزيد من حيرتهم وغيظهم، فكانوا يخرجون عمّاراً وآباه وأمه إلى القضاء إذا حَميت الرمضاء؛ ليرتدوا عن دينهم، ولكن الأسرة الصابرة تزداد صلابة وتزداد إيماناً وتسليماً وخصوصاً حينما

سالم بن أبي الجعد قال:

دعا عثمانُ ناساً من أصحاب النبي ﷺ فيهم عمارُ بن ياسر، فقال عثمان: أما إني سأحدثكم حديثاً عن عمار، أقيمتُ أنا والنبي ﷺ في البطحاء حتى أتينا على عمار وأمه وأبيه وهم يُعذَّبون فقال ياسر للنبي ﷺ: الدَّهْرُ هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «اصبر»، ثم قال: «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعَلت»^(١).

* * *

سَمِيَّةُ تَتَحَدَّى:

* واصلت قريشُ رحلةَ العذابِ لسميةَ وزوجها وابنها، بينما واصلتِ الأسرةُ الياسريَّةَ الطَّيِّبَةَ رحلةَ الصُّبرِ والثباتِ وخاصةً سمية - رضي الله عنها - التي قويت عقيدتها بعد موت زوجها ياسر تحت العذاب، عندها بدأت تتحدى وتجاهه بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وفي مقدمتهم - أبو جهل - الذي غدا كالمسعود من مجابهة سمية له بسخرية، وكانت - رضي الله عنها - قد حطمت كبرياءه وصالفه بصرها وثباتها:

(١) أخرجه الإمام أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٣/٩) بلفظ قريب جداً، وانظر طبقات ابن سعد (٢٤٨/٣).

وَفَطَّرَتْ قَلْبَهُ بَعْدَ ذِكْرِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوءِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ
وَاحِدَةٍ.

* وكان أبو جهل - أخزاه الله - لا يترك وسيلةً في المصدِّ عن
سبيل الله إلا واتبعها، ولا يجد طريقاً فيه تضييقاً على
المؤمنين إلا وسلكه، ذكر ابن إسحاق صورة حية عن هذا
فقال:

وكان أبو جهل الفاسق - الذي يعري بهم في رجال من
قريش - إن سمع برجل قد أسلم له شرفاً ومنعة، أتته وخزاه
وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لئسفهنَّ حلمك،
ولتفلسن رأيتك، ولتضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله
لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه،
وأغرى به، لعنه الله وقبحه^(١).

* وظلت الصحابة الكريمة سمية - رضي الله عنها -
تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبي جهل صبر الأبطال،
فلم تصبأ، ولم تهن عزيمة أو يضعف إيمانها الذي رفعها
إلى مستوى الخالدات من النساء، بل الأوليات في لائحة
الصَّابرات.

* * *

(١) عن البداية والنهاية (٥٩/٥).

* كما كانت سمية - رضي الله عنها - أول امرأة أظهرت إسلامها، كذلك كانت أول شهيدة قدمت نفسها في سبيل الله، فكانت شهيدة الحق، علمت الأجيال حقيقة الصبر، وفي قصة استشهادهَا عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وذلك لما مات زوجها ياسر في العذاب، أعطيت سمية - رضي الله عنها - لأبي جهل الفاسق، أعطاهَا له عمه أبو حذيفة بن المغيرة، وصار الخبيث يتفنن في إبدائها، وإبداء رسول الله ﷺ بالكلام والسَّيئة وما شابه ذلك، وذات عشي أغلظ لها بالكلام ثم قال لها: ما آمنت بمحمدٍ إلا لأنك عشقته لجماله، فما كان جوابها إلا أن أغلظت له بالقول فأغضبته، ولم يكن من جبروته وغيه إلا أن طعنها بحربة فماتت شهيدة^(١)، وصعدت روحها إلى بارئها راضية مرضية وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

* قال مجاهد - رحمه الله -: أول شهيد كان في أول الإسلام أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها^(٢).

* وكان استشهادهَا سمية - رضي الله عنها - في السنة

(١) عن أنساب الأشراف (١/١٥٨)، والسيرة الحلبية (١/٤٨٣) بتصرف يسير.

(٢) انظر البداية والنهاية (٣/٥٩).

السَّابِعَةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ الَّتِي تَوَافَقَ سَنَةُ (٦١٥) مِنَ الْمِيلَادِ.

* قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : هِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي
الْإِسْلَامِ^(١)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

* * *

ابْنُ سَمِيَّةَ :

* سَمِيَّةُ، هَذَا الْاسْمُ وَهَذِهِ الصُّحَابِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ ذِكْرُهَا
حَيَّةً عَطْرَةً بَعْدَ أَنْ نَالَتْ الشَّهَادَةَ وَفَارَتْ بِمَرْضَاةِ اللَّهِ، فَقَدْ كَانَ
النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ يَقُولُ لِابْنَتِهَا عَمَارًا: «ابْنُ سَمِيَّةَ»، وَلَا يَخْفَى
مَا فِي هَذِهِ التَّسْمِيَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ تَكْرِيمٍ لِهَذِهِ الصُّحَابِيَّةِ
الْمُبَارَكَةِ الْخَيْرَةِ الصَّابِرَةِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَرُدُّ ابْنُ سَمِيَّةَ عَلَيَّ
لِسَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَوَى سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا
اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سَمِيَّةَ مَعَ الْحَقِّ»^(٢).

* وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَرُدُّ اسْمَ سَمِيَّةَ عَلَيَّ لِسَانَ النَّبِيِّ
الْكَرِيمِ ﷺ، وَالْحَدِيثُ يَرْوِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا حَيْثُ

(١) صَفْحَةُ الصَّفْوَةِ (٦٠/٢) وَانظُرْ أَنْسَابَ الْأَشْرَافِ (١٥٨/١).

(٢) انظُرْ قِصَّةَ الْحَدِيثِ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (١/٤١٥ وَ ٤١٦)، وَانظُرْ
كَذَلِكَ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ (٣/٥٧٥).

إلا اختار أيسرهما»^(١).

* وفي حديث آخر يرشح بالبركة برويه سيدنا أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ خاطب عماراً بقوله: «يا ابن سمية»، وذلك عند بناء مسجد رسول الله ﷺ في المدينة فقال له: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»^(٢).

* وكان رسول الله ﷺ يذكر سمية بالفضل والخير، فلما كان يوم بدر - وما أدراك ما يوم بدر - زفَّ النبي ﷺ بشارَةً طيبة للطيب المطيب^(٣) جاء فيها ذكْرُ سمية، وذلك لما قُتِلَ عدو الله - أبو جهل - يوم بدر، فقال النبي ﷺ لعمار: «قتل الله قاتل أمك»^(٤).

* ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى أن رسول الله ﷺ قد دعا لسمية وأسرتها دعاءً مباركاً، عندما جاءه عمار يشكو ما تلاقي أمه، وما يلاقي هو ووالده من شدة

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٨٩/١)، وانظر سير أعلام النبلاء (٤١٦/١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الفتن برقم (٢٩١٥)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، وانظر طبقات ابن سعد (١٥٢/٣)، وتاريخ الإسلام (٥٧٧/٣).

(٣) لقب سيدنا عمار حيث كان رسول الله ﷺ يقول له: «مرحبا بالطيب المطيب»، رواه الترمذي.

(٤) الإصابة (٣٢٧/٤)، وطبقات ابن سعد.

عذاب مشركي قريش ومن قسوتهم وظلمهم، فقال له: يا رسول الله، بلغ منا - أو بلغ منها - يريد سمية - العذاب كل مبلغ، فقال رسول الله ﷺ: «صبراً أبا اليقظان - كنية عمار - اللهم لا تعذب أحداً من آل ياسر بالنار»^(١).

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي يايتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١].

* تُعَدُّ سَمِيَّةُ بِنْتُ خُبَّاطٍ - رضوان الله عليها - في طليعة المؤمنات الصادقات السابقات إلى الإسلام، ومن المسارعات إلى الوفاء بعهد الله، والصدق على ما عاهدت الله عليه، فنالت السبق وفازت بالبشارة العظمى - الجنة - ونعمت البشرية، وإليك نص حديث البشارة، فعن سالم بن أبي الجعد عن عثمان قال رسول الله ﷺ: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^(٢).

(١) انظر الاستيعاب (٤/٣٢٥)، والسيرة الحلبية (١/٤٨٤).

(٢) انظر الحديث وتخريجه في سير أعلام النبلاء (١/٤٠٩ و ٤١٠).

بلفظ قريب على النحو التالي: عن عثمان بن عفان قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول لأبي عمار وأُمّ عمار وعمار: «اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة»^(١).

* وفي الطبقات الكبرى يذكر ابن سعد بشارة سمية وآل عمار بالجنة، فروى أنَّ النبي ﷺ مرَّ بآل عمار وهم يُعذبون فقال: «أبشروا آل عمار فإنَّ موعدكم الجنة»^(٢).

* وبعد، فهذه هي الصُّحابية الصَّابرة سمية بنتُ حَبَّاط - رضي الله عنها - فقد سجَّلها التاريخ وسجَّل جهادها وثباتها على الحقِّ، فكانت في طبيعة الأوائِل، وقد امتدح ابنُ عبد البر - رحمه الله - سمية وذكر ثباتها وصبرها فقال: كانت سمية ممن عذبت في الله وصبرت على الأذى في ذات الله، وكانت من الميابعات الخيرات الفاضلات رحمها الله^(٣).

* رضي الله عن سمية أمِّ عمار، أول شهيدة في الإسلام وأمَّ أول من بنى مسجداً يصلِّي فيه^(٤)، وسلامٌ على

(١) مجمع الزوائد (٢٩٣/٩).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢٤٩/٣)، ومجمع الزوائد (٢٩٣/٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥٧٢/٣).

(٣) الاستيعاب (٣٢٤/٤).

(٤) قال الإمام الذهبي - رحمه الله - إنَّ عملاً أول من بنى مسجداً يصلِّي فيه، انظر سير أعلام النبلاء (٤١١/١)، وانظر المجتبي لابن الجوزي (ص ١٣٧).

الأسرة الباسرية، سلامٌ عليكم بما صبرتم فتعم عُنبي الدار،
ومع وداع سيرة الصحابة الخيرة سمية، نعطر الأسماع بقوله
تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ في مقعد صدقٍ عند
مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿ [القمر: ٥٤ و ٥٥].



تَسْتَمِلُكُمْ بِالْحَبِثَةِ

1412 هـ

أم المؤمنين
زينب بنت جحش
رضي الله عنها

أَسْرَعُنْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنْ بَدَأُ

حديث شريف

إنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَوَّاهَةٌ

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

السَّيِّدَةُ الشَّرِيفَةُ:

* هذه الصَّحَابِيَّةُ الْفَاضِلَةُ جَمَعَتْ الْفَضْلَ مِنْ أَطْرَافِهِ
كُلِّهَا، وَجُمِعَ فِيهَا الْبِرُّ مِنْ أَطْرَافِهِ أَيْضًا.

* فَابْنُ خَالَهَا أَشْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، سَيِّدُنَا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

* وَجَدُّهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَجَدُّهَا لِأُمِّهَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ
هَاشِمٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ.

* وَخَالَهَا سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَأَسَدُ الرَّحْمَنِ، وَفَارِسُ رَسُولِ
اللَّهِ، سَيِّدُنَا حَمِزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ -.

* وَأُخُوهَا صَاحِبُ أَوَّلِ رَايَةٍ عُقِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلِ
مَنْ دُعِيَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَحَدِ الشُّهَدَاءِ، لُقِّبَ بِالْمُجْتَدِعِ، سَيِّدُنَا
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ (١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

(١) انظر سيرة هذا الصحابي الكريم في كتابنا «رجال مشرور بالجنة»
الجزء الأول.

أحمد بن جحش.

* وأختها إحدى السابقات إلى الإسلام حمئة بنت جحش.

* وأما عمّة رسول الله ﷺ التي أطعمها النبي أربعين وسقاً من تمر خبير أميمة بنت عبد المطلب.

* وهي - رضي الله عنها - الوحيدة التي زوّجت من فوق سبع سماوات.

* عُرفت هذه المرأة المباركة بالسّبق إلى الإسلام والهجرة والجهاد والصّبر والزهد، افتتح أبو نعيم الأصبهاني ترجمتها في حليته بقوله: الخاشعة الراضية، الأواهة الدّاعية^(١).

* أمّا الإمام النووي فيقدّم بطاقتها فيقول: زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية تكتى أم الحكم، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ^(٢).

* ولدت زينب قبل البعثة بـ (٣٣) سنة، وهذه السنة توافى (٥٩٠) من الميلاد، وكان مولدها في مكة المكرمة في

(١) الحلية (٥١/٢).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٤/٢).

بني أسد - أسد خزيمية - ونشأت تنعم بالشرف والجمال وتفخر
بالحسب والنسب، ولشدة اعتدادها بنفسها سمعت ذات مرة
تقول: أنا سيِّدة أبناء عبد شمس (١).

* * *

من الرِّعِيلِ الأولِ :

* بدأت نسماتُ الإسلام تفوحُ بأريجها العطر في أمِّ
القرى، وبدأ أصحاب العقول الواعية يتقبلون هذه الدعوة
بقلوب صافية متعطشة للتخلص من برائن الجاهلية، وكان
عبدالله بن جحش من الذين سمعوا دعوة الحق فأعلن
إسلامه، وأمن بما يدعو إليه ابن خاله محمد ﷺ، وسرعان ما
بادرت أسرته إلى إعلان إسلامها، وسارعت أخته زينب إلى
الإيمان بالله، فقد كانت تحمل نفساً صافية نقية، وكانت تنوق
إلى التخلص من عادات الجاهلية العفنة العمياء، فاتجهت
إلى الله بقلبيها، وأخلصت في إسلامها إخلاصاً جعلها من
سادة نساء الدنيا في الورع والتقوى والجود والمعروف
- رضوان الله عليها -.

* * *

(١) عن السمعط الثمين للطبري (ص ١٠٧).

* راحت زينب تزوّدت من معين القرآن ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، واتجهت إلى ربّها بقلب يفيض بصدق الإيمان، ونفس تغمرها رحمة الإسلام، وكانت ترى المسلمين يزدادون في مكة يوماً بعد يوم، لكنّ قريشاً كانت تصدّهم عن سبيل الله بجميع الوسائل، وتقف سداً منيعاً أمام كلّ من آمن بالله ورسوله.

* وآلم رؤساء قريش انتشار الإسلام في عكّة، وأقض مضاجع المشركين انتقال الإسلام إلى المدينة وانتشاره فيها بسرعة، عند ذلك أوغلوا في إيذاء المسلمين وضيقوا عليهم حياتهم، وأجرموا بحقهم، وكان الضحاية - رضوان الله عليهم - يشكون إلى النبي الكريم ﷺ ما يجدونه من عنّت المشركين، فيثبّتهم ويصبرهم ويعدّهم الفرج والمخرج من هذا العذاب.

* ولما أذن الله بالهجرة إلى المدينة، هاجر بنو جحش بقيادة سيّدنا عبد الله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد عبد بن جحش، وكان أبو أحمد هذا شاعراً ضريب النضر، وكان معهما محمّد بن عبد الله بن جحش، وهاجر معهم نساؤهم: زينب بنت جحش بطلّة ترجمتنا اليوم، وحمّة بنت جحش

- زوج مصعب ابن عمير - وأم حبيب بنت جحش - زوج
عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهن .

* انطلق بنو جحش رجالاً ونساءً إلى المدينة، فقد كانوا
جميعاً أهل إسلام، وغلقت دارهم بسبب الهجرة، حتى
تركت هذه الهجرة أثراً في نفوس رجالات قريش، واستولى
أبو سفيان بن حرب على دار بني جحش وتملكها. ولما ذكر
عبدالله بن جحش ذلك للرسول ﷺ قال له: «ألا ترضى يا
عبدالله أن يعطيك الله بها داراً في الجنة خيراً منها؟ قال
عبدالله: بلى، قال: «فذلك لك»^(١).

* ومن الطريف أن أبا أحمد بن جحش، قد سجل هجرة
بني جحش في قصيدة له يصور فيها عوامل الهجرة، وأذى
قريش، ويذكر إيمان قومه برسول الله ﷺ واتباعهم طريق
الهدى والصواب^(١).



رَضِيْتَهُ لَكَ:

* قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾
[الحجرات: آية ١٣].

(١) انظر في هذا السيرة النبوية لابن هشام (٤٧٢/٢)، والبداية والنهاية
(١٧٠/٤ و ١٧١ و ١٧٢).

الفوارق بين الناس، تلك الفوارق التي تقوم على العصبية
 وحمية الجاهلية، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى،
 فالتقوى ميزان الإسلام، وأراد النبي الكريم أن يحقق هذا
 الميزان، ويحقق المساواة بين الناس عملياً، وذلك بتزويج
 زينب بنت جحش - رضي الله عنها - وهي قريبة، لمولاه
 سيدنا زيد بن حارثة - رضي الله عنه -، حتى تسقط تلك
 الفوارق الطبقيّة الواهية، وعرض عليه الصلاة والسلام ذلك
 على زينب وخطبها لزيد بن حارثته، ولكن زينب دارت بذهنها
 خواطر مضطربة، وتساؤلات متضاربة، كيف ستقبل هذا
 الزواج غير المتكافئ من أحد الموالى وهي السيدة الشريفة
 ذات الحسب والنسب والشرف؟! وقالت للنبي الكريم ﷺ:
 يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم^(١) قريش، قال ﷺ:
 «فإني قد رضيت لك»^(٢)، ونزل قوله تعالى على رسوله
 الكريم ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله
 أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله
 فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: آية ٣٦].

* وهنا لم يتسع زينب أن تخالف أمر الله ورسوله،

(١) الأيم: من لا زوج لها بكراً أو ثيباً. انظر القاموس المحيط مادة
 أيم.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (١٠١/٨).

فامتثلت - رضي الله عنها -، وتزوجها زيد بن حارثة - رضي
الله عنه -، والتزمت زينب بالمبدأ الذي لا يتفاضل فيه الناس
إلا بالتقوى.

* ثم إن زيدا هذا أميرٌ من أمراء الجهاد، وكان النبي
الكريم قد تبناه وهو صغيرٌ إلى أن صار رجلاً وأصبح يُدعى
زيد بن محمد^(١)، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ ادعوهم لأبائهم
هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين
ومواليكم ﴾ [الأحزاب: آية ٥]. عند ذلك ألغيت عادة التبني
التي كانت متفشية في الجاهلية، وشرع الإسلام في تنظيم
المجتمع وإحكام الروابط الأسرية، وردّ علاقة النسب إلى
أصولها الحقيقية.

* * *

زينب وزيد - رضي الله عنهما -:

* استمرت الحياة الزوجية بين زينب وزيد قرابة سنة، ثم
بدأت جذور الخلاف تنشا بينهما، وخاصة بعد أن أبطل
الإسلام التبني، وراحت زينب - رضي الله عنها - تترقع على
زيد - رضي الله عنه -، مما جعل هذا الزواج يسوء يوماً بعد
يوم ويتعد عن الصفاء، وتزداد الغيوم الداكنة في سمائه،
وهذا لحكمة يريد بها الله سبحانه.

(١) اقرأ سيرة زيد بن حارثة في كتابنا «رجال مشرورون بالحنّة الجزء
الأول».

عليه، وكان النبي الكريم ﷺ يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، فكان عليه الصلاة والسلام ينصح زيدا بإمسакها.

* ولكن حياة زيد وزينب لم يُكْتَبَ لها الصِّفَاءُ والْوَفَاقُ، وكان الجفاء هو طابع زواجهما الذي تمَّ بأمر الله سبحانه، لحكمة يريد بها الله عزَّ وجلَّ لإبطال عادة التَّبَنِي وما يتعلَّق بهذه العادة من أحكام وتوابع في الجاهلية.

* كان حَيِّدًا زَيْدٌ - رضي الله عنه - يشعر بصعوبة التَّعَايشِ مع زينب حتى عافتها نفسه، وضجر منها، وذهب إلى رسول الله ﷺ شاكيًا وطالبًا الإذن بطلاقها، والرسول الكريم ﷺ يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» وهو يعلم تمامًا أن لا بدَّ مِنَ الطَّلَاقِ، وأنَّ الله سبحانه سيأمره بالتزوُّجِ بها بعد زيدٍ إبطالاً لبدعة التَّبَنِي، فقد كان جبريل عليه السَّلَامُ أخبر رسول الله ﷺ بأنَّ زينب ستكون من أزواجه، وسيبطل الله بزواجه منها هذه العادة الجاهلية، غير أنَّ النبي الكريم وجد غَضاضَةً على نفسه بهذا الأمر، فيصيرُ غَرَضَةً لِلْقِيلِ وَالْقَالَ وإرجاف المرجفين بأنَّ محمدًا تزوج حليَّةَ مَتَبَّيْنَةَ، فُشِعِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحِجْلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخَشِيَ مِنْ مِشَاغِبَةِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ

سبحانه على هذا ونزّهه عن الالتفات إلى المرجفين فيما أحله الله له، وقد صدع الوحي بالسبب الباعث على زواج النبي الكريم ﷺ من زينب فقال عز وجل:

* * * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (٢)
 أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
 وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
 زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
 أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣﴾

* وهكذا فقد تم أمر الله سبحانه، ونفذ الرسول الكريم ما أمره الله به في غير حرج، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

* * *

من فوق سبع سموات:

* نالت السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - شرفاً عظيماً من الله سبحانه وتعالى، إذ جعلها من أمهات المؤمنين، وأصحت إحدى زوجات النبي الطاهرات.

* روى الإمام مسلم والإمام أحمد بسندهما عن سيدنا

(١) يعني بالإسلام وهو زيد.

(٢) يعني بالعتق.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧، وانظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

أثابها وهي تُحَمَّرُ عَجِينَهَا، قال: فَلَمَّا رَأَيْتَهَا عَظُمْتُ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي وَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَيْسَرِي أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئاً حَتَّى أُوامرَ رَبِّي عَزُّ وَجَلُّ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ^(٢).

* وهكذا زَوْجَ اللَّهِ سبحانه وتعالى زَيْنَبُ مِنْ نَبِيِّهِ ﷺ بِنَصِّ كِتَابِهِ بِلَا وِلِيِّ وَلَا شَاهِدٍ، حَتَّى كَانَتْ تَفْخَرُ بِذَلِكَ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِنَ - وَتَقُولُ: «زَوْجَكُنْ أَهْلِيكُنْ وَزَوْجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٣).

* وَفِي رِوَايَاتٍ أُخْرَى كَانَتْ زَيْنَبُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَقُولُ: «أَنَا أَكْرَمُكُنْ وَلِيًّا وَأَكْرَمُكُنْ سَفِيرًا، زَوْجَكُنْ أَهْلَكُنْ وَزَوْجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٤).

(١) أَيِ احْطَبَهَا لِي مِنْ نَفْسِهَا.

(٢) انظر صحيح الإمام مسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٢٨)، وأخرجه الإمام أحمد (٣/١٩٥)، والنسائي أيضاً (٦/٧٩) في النكاح وغيرهم.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء.

(٤) انظر طبقات ابن سعد (٨/١٠٣)، والاستيعاب (٤/٣٠٧)، وأسد

* وذكر ابن عباس - رضي الله عنها قال: لما أُخبرَتْ زَيْنَبُ بتزويج رسول الله ﷺ لها سجدت^(١) - وفي رواية أنها لما بُشِرت بتزويج الله نبيه إياها ونزول الآية في ذلك جعلت على نفسها صوم شهرين شكراً لله، وأعطت من بشرها حلياً كان عليها^(٢).

* وقد روي أن رسول الله ﷺ لما دخل بها قال لها: «ما اسمك؟» قالت: برة. فسمّاها رسول الله ﷺ زَيْنَبَ^(٣). وذكر ابن سعد وابن الأثير أن رسول الله ﷺ قد أطعمَ عليَ زَيْنَبَ حنظلًا ولحمًا.



والله يقول الحق:

* نزل تشريعُ الله سبحانه بإبطال النسيء، وتزويج النبي الكريم من زَيْنَبَ بأمر من الله، وما كاد يتمُّ هذا الحدث السعيد حتى جعل المرجفون والمنافقون وأتباعهم يقولون: كيف ينهانا محمد عن زوجات الأبناء وتزويج هو زوجة ابنه زيد، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى وهو الكبير المتعال ردَّ علي

= الغابة ترجمة رقم (٦٩٤٧).

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٥).

(٢) انظر أنساب الأشراف (١/٤٣٦).

(٣) رواه الإمام مسلم، وانظر أسد الغابة ترجمة رقم (٦٩٤٧).

خرج فيما فرص الله له ستة الله في الذين حلوا من قبل وكان
 أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
 ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴿ [الأحزاب: ٣٨
 و٣٩].

* ثم بين الله سبحانه وتعالى بطلان التَّيْبِي وبطلان ما
 يترتب عليه من حقوق وذكر أن محمداً خاتم الأنبياء فقال:
 ﴿ ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
 النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا ﴿ [الأحزاب: ٤٠].

* كما أن الله سبحانه قد نظم الأسرة على أساس محكم
 صريح، ورد علاقة النسب إلى علاقات الدم والأبوة، وبين
 سبحانه أنه لا يستقيم في منطق العقل أن يكون الولد دعياً
 وابناً فقال سبحانه: ﴿ وما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلكم قولكم
 بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴿ [الأحزاب: ٤].

* * *

الحجَاب:

* من بركات زينب أم المؤمنين - رضي الله عنها - ومن
 فضائلها نزول آية الحجاب بسببها، وذلك في صبيحة
 عرسها، وذلك أنه لما دخل بها النبي ﷺ أولم عليها ما لم
 يؤلم على غيرها، وكان ذلك سبباً في نزول آية الحجاب.

* روى البخاري ومسلم وغيرهما قصة نزول الحجاب وسببه، وسنورده رواية البخاري عن سيدنا أنس بن مالك، ففيها شفاء للصدور وفيها حكمة وعظة، فقد روى البخاري - رحمه الله - بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

* بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرْنِيَّةٌ بِنْتُ جَحْشٍ بَخِيزٍ وَلِحْمٌ، فَأَرْسَلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيَاءَ، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَحَدٌ أَحَدًا أَدْعُو. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَحَدٌ أَحَدًا أَدْعُوهُ قَالَ: «فَارْفَعُوا طَعَامَكُمْ» وَيَقِي ثَلَاثَةَ رَهَطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتِ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ؟ فَتَقَرَّرَى حُجْرَتَهُ نَسَاكَهُ كُلَّهُنَّ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ.

* ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهَطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مَنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَمَا أَدْرِي أَحْبَبْتَهُ أَوْ أَحْبَبْتَهُ أَنْ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَسْكِنَةِ^(١) الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرَخَى السُّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَنْزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ^(٢).

(١) الأسكنة: عمية الباب السفلى التي يوطأ عليها.

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الأحزاب (٦/١٤٩)، وصحيح =

ناظرين إناه^(١) ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴿ [الأحزاب: ٥٣].

* نعم نزلت آية الحجاب تعليماً وإرشاداً للناس ألا يدخلوا بيوت النبي ﷺ بغير إذن، فإذا ما دُعوا إلى طعام دخلوا ثم إذا طعموا خرجوا فلا سمر ولا حديث.

* وكان نزول الحجاب من موافقات سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقد روى البخاري في صحيحه عن سيدنا أنس قال: قال عمر - رضي الله عنه -: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب^(٢).

* وفي الطبقات الكبرى ذكر ابن سعد عن أنس قال:

= مسلم حديث رقم (١٤٢٨). وانظر تفسير الطاوري وابن كثير والقرطبي للملاية (٥٣) من سورة الأحزاب.

(١) إناه: أي نضجه.

(٢) رواء البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب.

كان أول ما نزل من الحجاب مُبْتَنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنْتِ
 جَحْشٍ^(١)، وكان ذلك سنة خمس من الهجرة، وحجبت رسول
 الله ﷺ ثيابه يومئذ، وكان زواج زينب بنت جحش - رضي
 الله عنها - بركةً على المسلمات إلى قيام الساعة، حيث فرض
 الحجاب على بنات حواء ليكون هدية الشرف والطهارة
 والنقاء^(٢).

* * *

مع الرسول في الغزوة والحج :

* لما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف كان معه امرأتان
 من نسائه وهما: أم سلمة وزينب - رضي الله عنهما - وكان
 عليه الصلاة والسلام قد ضرب لزوجتيه قبطين، ثم كان يصلي
 بين القبطين حصار الطائف كله.

(١) طبقات ابن سعد (١٧٣/٨)، وانظر القصول في سيرة الرسول
 (ص ٢٤٦).

(٢) حديث سيدنا أنس بن مالك - رضوان الله عليه - في البناء بأم
 المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - في زهاء عشرة
 مواضع في صحيح الإمام البخاري وحده، فهو في تفسير قوله
 تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ...﴾ سورة الأحزاب
 (١٤٩/٦)، وفي خمسة أبواب أخرى من كتاب النكاح في الجزء
 السابع صفحة (٢٧ و ٢٨ و ٣٠ و ٣١ و ١٠٧). وفي الاستئذان آية
 الحجاب (٦٥/٨) ثم في (٧٥/٨). وفي كتاب التوحيد
 (١٥٢/٩)، وكلها بالبيان وفيها مقنع.

لنسائه في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصْرِ» (١).

* وكانت نساء النبي ﷺ يحججن كلهن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش قالتا: لا تحركنا دابةً بعد رسول الله ﷺ (٢).

* وذكر ابن سعد في الطبقات بسنده قال: لم تحج زينب بنت جحش بعد حجة رسول الله ﷺ التي حجتها معه حتى توفيت في خلافة عمر سنة عشرين، وكانت زينب - رضي الله عنها - قد عملت بوصية رسول الله حينما قال لأزواجه: «أبكن انقبت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت ظهر حصيرها فهي زوجتي في الآخرة» (٣).

* * *

(١) أي لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمين الحصر، والحصر جمع

حصير.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢٠٨/٨) والمغازي (١١١٥/٣) وأنساب الأشراف (٤٦٥/١).

(٣) طبقات ابن سعد (٢٠٨/٨).

زَيْنَبُ وَعَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا :-

* لِلصُّدِيقَةِ بِنْتِ الصِّدِّيقِ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - شَهَادَةٌ مِبَارَكَةٌ فِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْ نَوْعِ خَاصٍّ، فَهِيَ تُحْمَلُ فِي طِبَاتِهَا الصُّدِّيقِ وَالْإِعْجَابِ، وَتَشْهَدُ لَزَيْنَبَ بِالطَّيِّبِ وَالطَّهْرِ وَالْعَفَّةِ وَالخَلْقِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهُ قَالَتْ:

* كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ تَسَامِينِي^(١) فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَنْقَى لَهَا، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحْمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا^(٢) - .

* وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنْ عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ شَهَادَةً لَهَا بِزَيْنَبَ حَيْثُ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً خَيْرًا مِنْهَا وَأَكْثَرَ صَدَقَةً، وَأَوْصَلَ لِلرَّحْمِ، وَأَبْدَلَ لِنَفْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ زَيْنَبَ .

* وَشَهَادَةُ عَائِشَةَ لَزَيْنَبَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بِالْخَيْرِ إِنَّمَا مَرَدُّ ذَلِكَ لِشَهَادَةِ زَيْنَبَ مِنْ قَبْلِ فِي عَائِشَةَ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَدِيثِ

(١) تَسَامِينِي: تَسَاوِينِي وَتَضَاهِينِي .

(٢) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَانظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٢/٢١٣)

روى لنا العبد البعاري لبي سليمان بن سليمان الطويل في حديث الإفك، وسقطف منه فقرة كاشفة، فقال:

«... قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع، ووظفت أختها حمزة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك» (١).

* رضي الله عن أم المؤمنين زينب التي كانت تمتت الفتنة، وتسال الله أن يبعدها عن المفسدين والحاسدين، وكانت تستطيع أن تدرس في هذه النهضة ما تشاء، ولكنها ما قالت إلا خيراً ولا شهدت إلا صدقاً وبراً وعدلاً.

* ولوؤد هنا - عزيزي القاريء - أن أشير إشارة هامة إلى أن الروايات في الصحيحين وغيرها قد بينت أن الذين حاضروا في هذا الحديث الأثم هم: عبدالله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وحمزة بنت جحش أخت زينب، ومسطح بن

(١) انظر تفسير سورة النور في صحيح البخاري، وانظر تفسير ابن كثير للسورة نفسها، وأسباب النزول للواحدي.

أثاته، وحسان بن ثابت، وأنّ الذي تولّى معظم الحديث والإرجاف به زعيم المنافقين ابن أبي وتلاة الباقون، وقد تاب هؤلاء توبةً نصوحاً - ما عدا ابن أبي - وقد اعتذر حسان بن ثابت عما كان، وامتدح الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات بما هي له أهل فقال:

خَصَانُ رِزَانِ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ
 وَتَصْبِحُ غُرَثِي مِنْ لِحُومِ الْغَوَافِلِ
 عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لَرَيِّ بْنِ عَالِبٍ
 كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدَهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
 مَهْدِيَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ حَبْمَهَا
 وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَيَاطِلُ (٢)

* * *

مَكَائِثُهَا وَفَضْلُهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - :

* لَزِينَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَكَائِثُهَا عَالِيَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَتْ أَثِيرَةً لَدَيْهِ، وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ آثَرَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ عَائِشَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ (١)، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِ زَيْنَبَ وَهَذِهِ مَتَقِيَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا وَبِرَكَّةٍ مِنْ بَرَكَاتِهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا - .

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت، طبعة دار المعارف.

الله ﷺ، وذلك أن النبي الكريم لما دعا لسيء العسر دار
 على نسائه يلاطفهن ويؤانسهن بالمحادثة، وربما يطيل
 المكث عند بعضهن، فتأخذ الغيرة بنفوس بعضهن، فدخل
 ذات يوم على أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله
 عنها -، فمكث عندها وشرب عسلاً، فأخذت الغيرة بنفس
 عائشة وحفصة - رضي الله عنهما -، ولتترك أم المؤمنين
 عائشة تروي لنا نأ هذه الحادثة، فقد أخرج الإمام البخاري
 - رحمه الله - بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

«كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة
 جحش وبمكث عندها، فواطيت أنا وحفصة عن أيتنا دخل
 عليها فلتقل له أكلت مغاير^(١)، إني أجد منك ريح مغاير،
 قال: «لا ولكني كنتُ أشربُ عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن
 أعدُ وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»^(٢). فنزل قوله تعالى:
 ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة
 أزواجك والله غفورٌ رحيم﴾ [التحريم: ١]. فكفر رسول
 الله ﷺ عن يمينه، وقاب نساؤه إلى الله ورسوله.

(١) الرائحة الكريهة.

(٢) انظر صحيح البخاري تفسير سورة التحريم، وانظر صحيح الإمام
 مسلم حديث رقم (١٤٧٤)، وانظر سير أعلام النبلاء (٢/٢١٤)،
 وتفسير القرطبي لأول سورة التحريم.

❖ ومن فضل زينب - رضي الله عنها - ما شهد به رسول الله ﷺ لها بالخشوع، وشهادة النبي الكريم هذه رفعت زينب مكاناً علياً في مقام العبادة، روى عبد الله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «إِنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَوْاهَةٌ» قيل: يا رسول الله ما الأواهة؟ قال: «الخاصة المتضرعة» و﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] (١).

❖ ولهذا فقد كانت زينب - رضوان الله عليها - تعرف مكانتها وحظوتها عند النبي الكريم ﷺ، فكانت تفتخر على نساءه بثلاث حصال، فعن الشعبي - رحمه الله - قال: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: «إِنِّي لَأَدُلُّ عَلَيْكَ بِثَلَاثٍ مَا مِنْ نِسَائِكَ امْرَأَةٌ تَدُلُّ بِهِنَّ، إِنْ جَدَيْ وَجَدْتُكَ وَاحِدًا، وَإِنِّي أَنْكَحْنِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّ السَّفِيرَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (٢).

❖ وفي موضع الفخر الذي يُحمَدُ، كانت زينب - رضوان الله عليها - تعتز بشرف القرابة من رسول الله ﷺ، وتباهي أزواجه بأن الله هو الذي زوّجها فكانت تقول لهن: «أَنَا أَكْرَمُكُمْ وَلِيًّا وَأَكْرَمُكُمْ سَفِيرًا، زَوَّجَكُمْ أَهْلَكُمْ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ».

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢١٧) والاستيعاب (٤/٣٩) وعميون الأثر

(٢/٣٨٣).

(٢) انظر البداية والنهاية (٤/١٤٦)، وأنساب الأشراف (١/٤٣٥).

لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت امرأة
صالحة صوامة قوامة^(١).

الثناء عليها:

* كانت أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - قد جمعت
صفات الخير كلها من دين وخير وكرم وما شابه ذلك، ولهذا
فقد انتزعت الثناء من صرائرها، فهذه أم المؤمنين عائشة
تقول عندما بلغها نعي زينب: لقد ذهبت حميدة متعبدة،
مفزع اليتامى والأرامل.

* وفي موضع آخر ذكرت زينب أمام عائشة ففاضت
عليها بالثناء وقالت: يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت
في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله عز وجل
زوجه نبيه ﷺ في الدنيا ونطق به القرآن^(٢).

* وشاركت أم المؤمنين أم سلمة بالثناء عليها بما هي
أهل لذلك وامتدحت تقواها وعبادتها فقالت: كانت امرأة
صالحة صوامة قوامة^(٣).

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٥).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٥).

* وقد أثنى العظماء والعلماء والمؤرخون العدول على أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها -، فالإمام الذهبي - رحمه الله - يقول عنها: كانت ذينة كثيرة البر والصدقة^(١). وفي مكان آخر يثني عليها الذهبي أيضاً بقوله: كانت من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً - رضي الله عنها^(٢) -.

* وفي تاريخه ذكرها ابن كثير وأثنى عليها ثناءً عطرأ فقال: كانت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - من المهاجرات الأول، وكانت كثيرة الخير والصدقة^(٣).

* ونقل الذهبي عن الواقدي هذا الثناء الذي يشهد بفضل أم المؤمنين زينب فيقول: وكانت امرأة صالحة صوامة قوامة صناعاً تتصدق بذلك كله على المساكين.

* * *

من كراماتها وزهدها - رضي الله عنها -:

* لم تكن أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - تحفل بالمال أو بشيء من زخرف الدنيا، بل كانت تعمل بيدها، فكانت تدبغ وتحرز وتبيع ما تصنعه، وتتصدق به في سبيل

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٢١٢).

(٢) سر أعلام النبلاء (٢/٢١٢).

(٣) انظر البداية والنهاية (٤/١٤٨).

وسير أيضاً إلى زهدنا في المال مهما كثر ما رونه شاهدنا
عيان عن ذلك، نستمتع من برزة بنت رافع تحدثنا عن هذا
فتقول:

لما خرج العطاء، أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله
عنه - إلى زينب بنت جحش - رضي الله عنها - بالذي لها،
فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أحواتي
كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك، قالت:
سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صوه واطرحوا عليه
ثوباً، ثم قالت لي: ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها
إلى بني فلان وبني فلان - من أهل رحمها وأيتامها - حتى
يقبض بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله
لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت:
فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً. ثم
رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر
بعد عامي هذا. قال: فماتت^(١).

وروى ابن سعد أنه لما حمل إلى زينب المال جعلت تقول:
اللهم لا يدركني قابل هذا المال فإنه فتنه، ثم قسمته في أهل

(١) انظر في هذا طبقات ابن سعد (١/١٠٩ و ١١٠)، وصفة الصفوة
(٢/٤٨ و ٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢١٢)، وفتح البلدان
للبلاذري (ص ٥٥٥).

رحمها وفي أهل الحاجة حتى أتت عليه، فبلغ ذلك عمر - رضي الله عنه - فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف على بابها وأرسل بالسَّلام وقال: قد بلغني ما فرقت، فأرسل إليها بألف درهم تستبقيها، فسلكت بها طريق ذلك المال - رضي الله عنها وأرضاها^(١) - .

ومما يُضاف إلى زهدنا في الدنيا ما رواه ابن سعد في طبقاته قال: ما تركت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - درهماً ولا ديناراً، كانت تصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت مأوى المساكين .

* * *

وفاتها - رضي الله عنها - :

في سنة عشرين من الهجرة التي توافقت (٦٤١) من الميلاد، شعرت أم المؤمنين زينب - رضوان الله عليها - بقرب اللقاء مع الله، وكانت على استعداد دائم لهذا اللقاء المبارك، وقالت حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددتُ كفي، ولعلَّ عمر سيبحث إليَّ بكفن، فإنَّ بعث بكفن فتصدَّقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا دليتموني أن تصدَّقوا بحضوري - إزاري - فافعلوا^(٢) .

(١) عن حياة الصحابة (٢/٢٣٥ و ٢٣٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٠٩).

الموت، ما أشد كرم أم المؤمنين زينب! حقاً إنها أم
المساكين؛ رضي الله عنها وأرضاها.

* وفي اللحظات الأخيرة أوصت أن تُحْمَل على سرير
رسول الله ﷺ، وماتت - رضي الله عنها -، فكانت أول نساء
النبي لحوقاً به.

* ولما وصل نباؤها إلى سيدنا عمر بن الخطاب أمر
منادياً فنادى: ألا لا يخرج علي زينب إلا ذو رحمٍ من أهلها،
وكان عمر - رضوان الله عليه - يطلع إلى شيء يسترها، فقالت
أسماء بنت عميس - رضي الله عنها -: قد رأيتُ بالحِشَّة
يجعلون نعوشاً لموتاهم، فعملتُ نعشاً لزينب - رضي الله
عنها - وعظمتُه بثوب، فاستحسن هذا سيدنا عمر وقال: بَعَمَ
الْحَبَاءُ الظُّعِينَةَ^(١)، وأمر بعد ذلك منادياً فنادى أن اخرجوا
على أمكم، وخرج المسلمون يشيعون أم المؤمنين زينب،
وخرج أخوها أبو أحمد بن جحش - رضي الله عنه - يحملُ
سرير أخته وهو مكفوف - أعمى - وكان يبكي بكاءً شديداً،
فقال له سيدنا عمر - رضي الله عنه -: يا أبا أحمد تنح عن
السَّيرِ لا يعتك الناس - يشقون عليك - وكان يوماً صائفاً
شديداً الحرِّ، وازدحم المسلمون على سريرها، فقال أبو

(١) عن المعارف لابن قتيبة.

أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن البكاء يبرؤ حراً
ما أجد، فقال عمر: الزم الزم^(١).

* وذكر الإمام النووي - رحمه الله - أنها دُفنت بالقيع،
وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ونزل
في قبرها أسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش،
وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن
عبد الله وهو ابن أختها حمته، فكلهم محارم - رضي الله
عنها^(٢) -.

* وكانت زينب يوم توفيت ابنة ثلاث وخمسين سنة،
وذكر النووي والعسكري - رحمهما الله - وغيرهما أن زينب
- رضي الله عنها - هي أول امرأة جعل عليها النعش^(٣)،
أشارت به أسماء بنت عميس - رضي الله عنها -.

* * *

(١) عن حياة الصحابة (٥٩٦/٢) وأنساب الأشراف (٤٣٦/١) بتصرف
يسير. ومن الجدير والجميل ذكره هنا ما ذكره حماد بن زيد عن
عاصم الأحول أن رجلاً من بني أسد فليح رجلاً فقال الأسدي: هلي
منكم امرأة زوجها الله من فوق سبع سموات؟ يعني زينب بنت
جحش. انظر طبقات ابن سعد (١٠٣/٨).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٥/٢ و ٣٤٦).

(٣) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٦/٢)، والأوائل للعسكري
(ص ٢٧٢) ودلائل النبوة لليهقي (٢٨٥/٧) وغيرها.

* قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

* عاشت أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله
عنها - حياةً بعيدةً عن الرِّخارف الدُّنيوية، فقد أثرت الحياةُ
الآخرة، وجعلت الدنيا مزرعةً للآخرة، وعرفت أن هذه الدنيا
لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فانصرفت إلى حياة العباداة
والتبذل وخاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

* وأم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - قد حظيت
ببشارة رسول الله بالجنة، وأنها ستكون أول زوجاته موتاً
بعده، ففي الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت
طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ:
«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»^(١). قالت: فكئن يتناولن
أيتهن أطول يداً... قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها
كانت تعمل بيدها وتتصدق.

* مرة أخرى تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -
بشارة زينب أم المؤمنين بالجنة وتذكر مناقبها وفضلها فتقول:

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة
برقم (٢٤٥٣).

يرحمُ الله زينبَ بنتَ جحشٍ لقد نالتُ في هذه الدُّنيا الشُّرفَ الذي لا يبلغه شرفٌ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ وُجِّهَ نبيُّه ﷺ في الدُّنيا ونطقَ به القرآن، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال لنا ونحنُ حوله: «أسرِعْكَ بِي لِحَوْقًا أَطُولُكَنْ بَاعًا»، فبشَّرَها رسولُ الله ﷺ بِسُرْعَةٍ لِحَوْقِهَا بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ زَوْجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ^(١).

* وتروى عائشة - رضي الله عنها - اجتماع أمهات المؤمنين لمعرفة مَنْ أطول يداً منهن فتقول: فكنا إذا اجتمعنا في بيتٍ إحدانا بعد رسول الله ﷺ نمُدُّ أيدينا في الجدار نتطاوُلُ، فلم نزلْ نفعلُ ذلك حتى توفيت زينبُ بنتَ جحشٍ، وكانت امرأةً قصيرةً رحمها الله تعالى، ولم تكنْ أطولنا، فعرفنا حينئذٍ أنَّ النبيَّ ﷺ إنما أرادَ بطولِ اليدِ الصدِّقةَ، وكانت زينبُ امرأةً صنَّاعَ اليدِ فكانت تديع وتخرزُ وتتصدَّقُ به في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ^(٢).

* وقبل أن تُودَّعَ سيرةُ أمنا أمِّ المؤمنين زينب - رضوان الله عليها -، لا بدُّ أن نعرفَ أنَّها منْ راوياتِ الحديثِ، روت عن رسول الله ﷺ أحدَ عشرَ حديثاً، أخرج لها منها في الصَّحيحينَ حديثانِ متفقَ عليهما، وذكرَ الذهبي - رحمه الله - أنَّ حديثها في الكُتُبِ السُّنة، وقد روى عنها: ابنُ أخيها

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٥).

(٢) انظر في هذا صفة الصنعة (٢/٤٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي

(٣/٢١٤)، والإصابة (٤/٣٠٧)، والاستيعاب (٤/٣٠٨).

* وفي ختام رحلتنا المعطار في حياة أمنا زينب - رضي
الله عنها - وأرضاها نقراً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهْرٍ ﴾ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ﴿ [القمر: ٥٤
و ٥٥].

* * *

والحمد لله رب العالمين

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢١٢ و ٢١٨).

سَيِّدُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

1412 هـ

كَبِشَّةُ بِنْتُ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

«يَا أُمَّ سَعْدٍ أُبَشِّرِي وَبَشْرِي أَهْلِيهِمْ أَنْ قَتَلَهُمْ
قَدْ تَرَأَفُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعاً وَقَدْ شَفَعُوا فِي أَهْلِيهِمْ»

حديث شريف

«كُلُّ بَاكِيَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ»

حديث شريف

تجدد عددًا من القصص والمسير
في مواقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

كَبْشَةُ بِنْتُ رَافِعِ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ الْأَيْطَالِ:

* صاحبةُ هذه السِّيرة العظيمة، واحدةٌ مِنَ المسلماتِ المجاهداتِ اللاتي رافقن الرِّسالةَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، منذَ أَنْ أشرقت أنوارها في المدينة المنورة.

* وهذه الصُّحابةُ الجليلةُ قامتْ بخدماتٍ عظيمةٍ، وأدَّتْ واجباتٍ مباركةٍ نحو الإسلامِ والمسلمين، ففي بيتها ترعرعت نواةُ الإسلامِ، ومن ثنابا دارها قاحت روائح الطيب في المدينة المنورة كلها، فانتشر فيها الإسلامُ، فكانت بركةٍ وخيراً على الدُّنيا كلها.

* وضيفتُ هذه الصَّفحاتِ مِنَ النِّساءِ الفاضلاتِ اللاتي قدمن الخيرَ في جميع المجالاتِ، وهي واحدةٌ ممَّنْ شهد لها رسولُ الله ﷺ بالصُّدُقِ، ودعا لها بالبركةِ والأجرِ.

وبهت من معين الإسلام الصافي، فاعطى الخير، ولدت
أماً لتشهيد عظيمين، وبطلين مباركين من أبطال الإسلام.

* فهي أم من اهتز عرش الرحمن لموتها.

* وأم من حكم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة

- سماوات -.

* أتريد مزيداً عن كرامة هذه الصحابة؟

* فابنها حارس رسول الله ﷺ في يوم بدر، وحامل راية

الأنصار أيضاً، وواحد من مجلس شورى الرسول ﷺ

يومئذ.

* وابنها هذا الصديق الثاني بعد سيدنا أبي بكر الصديق

رضي الله عنه.

* ثم هو خليفة رسول الله على المدينة في غزوة بواط.

* لا شك - عزيزي القارئ - أنك في شوق لمعرفة هذه

الصحابة الكبيرة؛ إنها إحدى نساء الأنصار المباركات وهي:

كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبيجر الأنصارية

الحدرية أم سعد بن معاذ الأشهلي^(١).

(١) انظر طيفات ابن سعد (٣٧/٨)، والاستيعاب (٣٨٣/٤)، وأسد

الغابة ترجمة رقم (٧٢٣٠)، وانظر كذلك الاستيعاب في نسب

الصحابة من الأنصار (ص ١٢٩).

* كانت زوجة لمعاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل، وقد ولدت له سعد بن معاذ وعمرو بن معاذ وإياساً وأوساً وعقرب وأم حزام.

* أسلمت كيشة وبايعت رسول الله ﷺ، وكان لها كبير الأثر في تاريخ نساء الإسلام، وقد أثرت التاريخ بمواقف رائعة جعلتها من الأوائل في عالم نساء الصحابة، فما أن سطعت شمس الهداية، وأشرقت المدينة بنور الإسلام، حتى سارعت أم سعد لتساهم بدورها في نصرة الإسلام بكل ما تستطيع إليه من سبيل.

* * *

إسلامها:

* ها هي المدينة تستضيف شياً وسيماً من مكة هو مُصعبُ بن عمير - رضي الله عنه -، سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة، ليعلم أهلها القرآن، وليفقههم في أمور الدين، وبدأ مُصعب - رضي الله عنه - يقوم بسفارته أحسن قيام، وبدأ الإسلام يفتش في دور الأنصار حتى وصلت دعوة الإسلام إلى دار بني عبد الأشهل، وأسلم سيِّدا الأوس أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ^(١)، ولقصة إسلامهما حادثة طريفة رويت في

(١) انظر سيرة سيدنا سعد بن معاذ في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» =

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيّدنا وأفضلنا.

قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة^(٢).

* وسارعت أم سعد إلى إعلان إسلامها، وسعدت بنعمة الإيمان سعادة عظيمة، بل ازدادت سعادة عندما أضحت دارها مقراً ومكاناً لسفير رسول الله ﷺ، ومنها انبعثت سمات الإيمان تعطر أرجاء المدينة والدنيا كلها.

* وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - أنّ أول دار أسلمت من دور الأنصار دار بني عبد الأشهل^(٣). فأكرم بهذه الدار من دار!

الجزء الأول. طبعة دار ابن كثير.

(١) انظر مثلاً: البداية والنهاية (٣/١٥٢ و ١٥٣)، والاستبصار (ص ٢٠٦ و ٢٠٧).

(٢) انظر في هذا البداية والنهاية (٣/١٥٣)، وانظر السيرة الحلبية (٢/١٧١).

(٣) انظر صفة الصفوة (١/٤٥٥).

* وتمد ذلك اليوم المبارك أصبحت أم سعد واحدة من
أعلام النساء المسلمات اللاتي تركن لِمَسَاتِ بارزة في
التاريخ.

* ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن أختي أم سعد بن
معاذ، قد أسلمت وياعتا رسول الله ﷺ وهما: الفريضة أو
القارعة بنت رافع، وسعاد بنت رافع وهي أم أسعد بن زرارة
أحد النقباء الأخيار وهو ابن خالة سعد بن معاذ رضي الله
عنهم جميعاً.

* * *

الفرحة الكبرى:

* ها هي المدينة تتلقى الإسلام والدعوة المحمدية
بقلوب متفتحة للإيمان، ونفوس راغبة في الخير، وها هم
أهلها من الأوس والخزرج يستقبلون رسول الله ﷺ في
ديارهم الطيبة حيث المنعة والقوة والثروة، وكانت أم سعد بن
معاذ من أوائل النساء اللاتي خرجن لاستقبال النبي
الكريم ﷺ.

* روى سيدنا أنس بن مالك حسن استقبال الأنصار
للنبي الكريم فقال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين،

* وكم تمنّت أمّ سعد لو ينزل النبي الكريم في دارها كما
نزل سفيّره، ولكنّ الله سبحانه وتعالى قد اختار للنبي دار بني
مالك بن النجار، وقد حصّن رسول الله ﷺ بني الأشهل
والأنصار كلهم بالخير والبركة فقال:

«خيرُ دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل،
ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور
الأنصار خير»^(٢).

* وبدأ الخيرُ يفيض من النساء الأنصاريات، وكانت أمّ
سعد - رضي الله عنها - من السابقات في مضممار الخير، فقد
ذكر ابن سعد منقبة رائعة لأمّ سعد فقال: أول من بايع
النبي ﷺ أمّ سعد بن معاذ كبشة بنت رافع بن عبيد، وأمّ عامر
بنت يزيد بن السكّن، وحواء بنت يزيد بن السكّن^(٣)

* وهكذا فقد سجّل التاريخ مكرمة السبق إلى المبايعه
لرسول الله وكانت أمّ سعد الأولى في هذا المجال.

* * *

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٢٠٠). «مستلأ»: مثل الرجل عثولاً: إذا
انتصب قائماً.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم، وانظر البداية والنهاية (٣/٢٠٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/١٢).

الأم المؤمنة الخيرة:

* إنَّ شمائل هذه الصُّحابة الجليَّة، لا يمكن أن تُحصَر في بضعة صفحات، ولكننا نستطيع أن نقتطف بعض المكارم والفضائل التي كانت تتحلَّى بها، كالشُّجاعة، والصُّدق والخير وحفُّظ الجوار، وكانت أمُّ سعد - رضوان الله عليها - بالإضافة إلى تلك الصِّفات المباركة؛ ذات مواقف إيمانية تشير إلى مكانة النبي الكريم في نفسها.

* وقد سجَّلت لها كُتُب التُّراجم والسِّير بعض الوقفات الإيمانية القيَّضة بالشُّجاعة والصُّبر، والدِّفاع عن النبي الكريم، وتقديم الأبناء شهداء في سبيل الله سبحانه وتعالى.

* ففي غزوة بدر، خرج ولداها سعد بن معاذ، وأخوه عمرو بن معاذ - رضي الله عنهما -، وجاهدا في الله حقَّ جهاده، وأبلى كل واحد منهما بلاءً حسنًا، وعادا مع المسلمين إلى المدينة يحملون بشارات النصر، وفرحت الأمُّ المؤمنة بنصر الله.

* أمَّا في غزوة أحد، فقد خرجت أمُّ سعد - رضي الله عنها - مع من خرج من النساء يتظننَّ إلى سلامة رسول الله ﷺ بعد أن وردت الأخبار إلى المدينة باستشهاد عدد من المسلمين، وكان من بين الشهداء ابنها عمرو بن معاذ^(١).

(١) انظر أنساب الأشراف (١/٣٢٨).

حمدت الله وقالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوت - هانت -
المصيبة . فعزّأها رسول الله ﷺ بابنها عمرو .

* وكان عمرو بن معاذ - رضي الله عنه - يجالذ في
صفوف المشركين حتى لقيه ضرار بن الخطاب^(١) - وكان
يومذاك ما يزال على شركه - فقتله .

* ومن الجدير بالذكر أنه قد استشهد من بني عبد الأشهل
اثنا عشر رجلاً، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحفظوا برضوانه
ونعيمه، كما كان فيهم ثلاثون جريحاً .

* وأقبل رسول الله ﷺ حتى طلع على بني عبد الأشهل،
وكانوا يبكون على قتلاهم، فقال ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي
له»، ولما سمع سيدنا سعد بن معاذ مقالة رسول الله عن عمه
حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -، مضى إلى بيته ثم

(١) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري، كان من فرسان
قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين، حتى قالوا:
ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم، وهو أحد الأربعة الذين
وثبوا الخندق. كان ضرار بن الخطاب من مسلمة الفتح، وقال
ضرار يوماً لسيدنا أبي بكر الصديق: لقريش خيراً منكم أدخلناهم
الحية وأوردتهم النار، ولضرار أخبار لطيفة وجميلة، وقد ذكر أنه
قُتل باليمامة شهيداً - رضي الله عنه - . عن الاستيعاب والإصابة
بتصرف .

رجع إلى نسائه وساقهنَّ إلى بيت رسول الله ﷺ ليبيكين حمزة، ولم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت النبي الكريم، وكانت أمه كبشة مع اللواتي أتين بيكين عم رسول الله طلباً لمرضاة الله ومرضاة رسوله. ولما سمع عليه الصلاة والسلام البكاء قال: «ما هذا؟».

فقيل له: نساء الأنصار يبكين على حمزة.

وهنا قال رسول الله ﷺ: «رضي الله عنكنَّ وعن أولادكنَّ».

* وأمر النساء أن يرجعن إلى المنازل، وكان سرور أم سعد عظيماً بقدر ما كان حزنها عظيماً عندما سمعت رضاء رسول الله عليها وعلى النساء اللاتي شاركنها البكاء.

* وتروي لنا أم سعد نفسها خبر عودة النساء بعد أن أمرهن رسول الله بذلك فقالت: فرجعنا إلى بيوتنا بعد ليل، معنا رجالنا فما يكت منا امرأة قط إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا^(١).

* أكرم بها، وأعظم بموقفها ومواقف نساء الأنصار اللاتي دعا لهن رسول الله ﷺ بالرحمة والخير فقال: «ارجعن رحمكن الله، لقد واسين معي، رحم الله الأنصار؛ فإن المواسة فيهم كما علمت قديمة».

* * *

(١) عن المغازي للواقدي (١/٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦) بتصرف يسير.

* هذه الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ، حَصَلَتْ عَلَى شَهَادَةِ عَالِيَةٍ فِي الصُّدُقِ مَوْقِعَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ ذَاتُ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ قَدْ رَفَعَتْهَا مَكَانًا عَلِيًّا فِي مَقَامِ الضَّرِّ وَالْجِهَادِ، وَلَكِنَّ كَيْفَ حَظِيَّتِ أُمُّ سَعْدٍ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الْفَرِيدَةِ؟ فِي السُّطُورِ التَّالِيَةِ نَعْرِفُ نَبَأَ ذَلِكَ.

* ذَكَرَ الْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ الدَّهْلِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ النَّفِيسِ «تَارِيخَ الْإِسْلَامِ»، وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ «دَلَائِلَ النَّبَوَّةِ» أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ يَوْمَ الْخَنْدُقِ، وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ مَعَهَا فِي الْحِصْنِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حِينَ خَرَجُوا إِلَى الْخَنْدُقِ، قَدْ رَفَعُوا الدَّرَازِي وَالنِّسَاءَ فِي الْحِصْنِ مَخَافَةَ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: فَمَرَّ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَعَلَيْهِ دَرَعٌ مَقْلُصَةٌ - قَصِيرَةٌ - قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا ذِرَاعُهُ كُلُّهَا، وَفِي يَدِهِ حَرَبَةٌ بِرَفْلِ - يَتْبَخْتَرُ - بِهَا، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ لِحَمَلِ بْنِ سَعْدَانَةَ الْكَلْبِيِّ وَيَقُولُ:

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ
لَا يَأْسُ بِالمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ
فَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: الْحَقُّ يَا بَنِي فَقَدْ وَاللَّهِ أَخْرَجْتَ. وَقَدْ

أرادت - رضي الله عنها - أن لا تقوته لحظة دون أن يحظى
بمعية رسول الله ﷺ .

* فقالت عائشة - رضوان الله عليها - : يا أم سعد لوددتُ
أن درع سعد كانت أسبغ - أكمل - مما هي . فرمى سعدُ
- رضي الله عنه - بسهم قطع منه الأكل (١) ، رماه به جبانُ بن
العرقعة ، فلما أصابه قال : خذها سي وأنا ابن العرقعة .
فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار .

* ثم توجه إلى الله ودعا قائلاً : اللهم إن كنت أبقيت من
حرب قريش شيئاً فأبقيتها لها ، فإنه لا قوم أحب إلي من أن
أجاهدكم فيك من قوم آذوا نبيك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم إن
كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا
تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة (٢) .

* واستجاب الله سبحانه دعاء سيدتنا سعد - رضي الله
عنه - ، وضرب له رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من
قريب ، وكان جرحه قد تحجر للبرء ، ونقض يهود بني قريظة
العهد مع رسول الله ﷺ ، وعندها نزل بنو قريظة على حكم
سعد بن معاذ الذي حكم بأن يقتل الرجال ، وتُسى النساء

(١) الأكل : عرق في الذراع يسمى عرق الحياة .

(٢) انظر تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩١ و ٢٩٢) ، وسير أعلام النبلاء

(١/ ٢٨١ و ٢٨٢) ، ودلائل النبوة لليهيقي (٣/ ٤٤٠ و ٤٤١)

* وهنا ظهرت الصحابة الجليلة أم سعد للمرة الثانية بموقف جديد مشرق وضاء، وهي تحمل شهادة الصدق من رسول الله ﷺ، فقد كانت تذرف الدمع سخياً على ابنها وهو يغسل، وكانت تقول:

وَيْلٌ لِّأُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا حَرَامَةً وَجَدًا

* وفي هذه اللحظات شهد لها رسول الله بالصدق فقال:
«كُلُّ بَاكِئَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ»^(١).

* وَحَمِلَ سَعْدٌ - رضوان الله عليه -، ودُفِنَ بالبقيع، ولكن أمه ظلت تتحَبُّ وتبكي، ويرفُّ إليها رسول الله بشارة مباركة عبقَّة، وهذه البشارة ترويه «أسماء بنت يزيد بن السكن» - رضي الله عنها - حيث قالت: لما توفي سعد بن معاذ، صاحت أمه، فقال النبي ﷺ: «ألا يرقأ دمعك ويذهب حزئك؟ فإن ابنك أول من ضحكك الله إليه واهتز له العرش»^(٢).

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢٨٧/١) وانظر كذلك أسد الغابة ترجمة رقم (٧٢٣٠).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٩٣/١)، وانظر طبقات ابن سعد (٤٣٤/٣)، ومجمع الزوائد (٣٠٩/٩).

* وصدعت الصَّحَابِيَّةُ الصَّابِرَةُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
واحتسبت ابنها الثاني شهيداً عند الله سبحانه وتعالى، لعلمها
بمكانة الشهيد، وللبشرى التي بشرها بها النبي الكريم ﷺ.

* ولما فتح الله للمسلمين حصون بني قريظة وغنمها
المسلمون؛ جعل الرسول الكريم للنساء اللاتي حضرن
القتال نصيباً من الغنيمة، وكان قد حضر معه في هذه الغزوة
من النساء، صفية عمته ﷺ، وأم عمارة، وأم سليط، وأم
العلاء، والسَّمِراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ رضي الله
عنهن (١).

* وعاشت أم سعد - رضي الله عنها - بعد استشهاد ابنها
سعد راضية قانعة، وكانت مكان احترام الرسول الكريم ﷺ،
ومكان احترام الصحابة أيضاً رضوان الله عليهم، وظلت قانئة
عابدة إلى أن لقيت ربها - رضي الله عنها -.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى في جزاء الصَّابِرِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ: ﴿وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ

(١) انظر معازي الواقدي (٢/٥٢٢)، وانظر كذلك السيرة الحلبية
(٢/٦٦٦).

وعلى ربهم يتوكلون ﴿ سورة العنكبوت: ٥٨ و ٥٩ ﴾ .

* هذه الصُّحَابِيَّةُ الْفَاضِلَةُ الطَّيِّبَةُ، وَاحِدَةٌ مِنْ كَرَامِ الْمَنَاءِ
الْمَلَوَاتِي ضَرَبْنَ أَرْوَاحَ آيَاتِ الصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ فِي تَارِيخِ الْمَنَاءِ،
وَكَانَتْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ تَحْرُصُ كُلَّ الْحَرَصِ عَلَيَّ مَرْضَاةَ اللَّهِ
وَمَرْضَاةَ رَسُولِهِ، وَتَوْثُرُ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيَّ كُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ
مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ، وَهَلْ هُنَاكَ غَايَةَ أَسْمَى مِنْ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا
رَسُولِهِ عَنْهَا؟! لِذَلِكَ نَالَتْ الْبَشَرِيَّ بِالْحِجَّةِ لِقَاءَ هَذِهِ الصَّفَاتِ،
فَقَدْ صَبِرَتْ عِنْدَمَا اسْتَشْهَدَ وَلَدُهَا عَمْرُو وَأَخُوهُ سَعْدٌ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا -، وَفِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَطْهُرَةِ إِشَارَاتٌ كَثِيرَةٌ،
وَدَلَالٌ وَأَصْحَابَةٌ بِبَشَرٍ بِالْحِجَّةِ لِمَنْ صَبَرَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَمَنْ
سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «مَنْ أَحْتَسَبَ ثَلَاثَةَ مِنْ صَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ
فَقَالَتْ: أَوْ اثْنَانِ؟ فَقَالَ: «أَوْ اثْنَانِ» فَقَالَتْ: يَا لَيْتَنِي قُلْتُ
وَاحِدَةً^(١).

* وَأُمُّ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِمَّنْ أَحْتَسَبَتْ وَلَدِيهَا عِنْدَ
اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ.

* وَقَدْ نَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ بِشَارَةَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِالْحِجَّةِ فِي
غَزْوَةِ أَحَدٍ، فَقَدْ جَاءَتْ تَعْدُو نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَيَّ

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ.

فرسه، وسعد بن معاذ - رضي الله عنه - أخذ بعنان فرسه، فقال له سعد: يا رسول الله، أمني، فقال رسول الله ﷺ: «مرحبا بها» فوقف لها، فذنت، فعزاها بابنها عمرو بن معاذ ثم قال:

«يا أم سعد أبشري وبشري أهلكهم أن قتلهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهلكهم»^(١).

قالت: رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله، ادع لمن خلفوا، فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا»^(٢).

* وهكذا نالت أم سعد - رضي الله عنها - البشارة بالجنة، وشملت هذه البشارة أيضاً أمهات وأخوات وزوجات الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله ببركة دعائه ﷺ.

* وبعد، فهذه نفحات ندية من سيرة صحابية جليّة،

(١) كانوا اثني عشر شهيداً، وكلهم من بني عبد الأشهل، انظر أسماءهم في المغازي (٣٠١/٢) والدرر (ص ١٦٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٠١/٢).

(٢) انظر المغازي (٣١٥/١ و ٣١٦)، والسيرة الحلبية (٥٤٥/٢ و ٥٤٦).

* رضي الله عن كبشة أم سعد، الأم المؤمنة الصابرة
الصادقة، ونحن في وداع أم الأبطال نقرأ قوله تعالى:
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ
مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر: الآيتان ٥٤ و ٥٥].

* * *

سَيِّدَةُ نَبِيِّنَا الْحَبِيبَةِ

٥١٤١١

أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها

* جاء جبريل عليه السلام بصورة عائشة في خرقه خضراء إلى النبي
ﷺ وقال: وهذه زوجتك في الدنيا والآخرة.
* فإنه ليهون عليّ أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة.

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ:

* سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :
أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قَالَ:
فَمِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا».

* وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ لَا يَحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا، فَقَدْ أَحَبَّ أَفْضَلَ
رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلَ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ حَبِيبِي
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ حَبِيبًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

* وَحَبِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ،
خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ.....
الْقُرَشِيَّةُ التَّمِيمِيَّةُ الْمَكِّيَّةُ النَّبَوِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ (١).

* وَأُمُّ عَائِشَةَ هِيَ أُمُّ رُومَانَ بِنْتِ عَامِرِ بْنِ عُوَيْمِرِ الْكِنَانِيَّةِ.

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥).

وهي من أهل الجنة.

* وأخوها الشقيق عبد الرحمن، واحد من أبطال الإسلام.

* وأخواتها لأبيها عبد الله ومحمد، من فرسان مدرسة النبوة

ونجاتها.

* في هذا البيت البكري الطيب، بيت الصديق والإيمان،

ولدت عائشة بمكة قبل الهجرة بسبع سنوات، فهي ممن

وُلد في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما

يدينان الدين.

* من هذه الشجرة الزكية أنبت الله عائشة نباتاً حسناً،

وكان لها شأن عظيم بين نساء الإسلام.

الصَّديقان:

* كان الإمام مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي

التابعي الحليل إذا حدّث عن عائشة قال: حدّثني الصّديقة

بنت الصّديق، حبيبة حبيب الله، المبرأة في كتاب الله^(١).

* هذه الصّديقة رضعت لبان الصّديق من أبيها، وتعدّت

على مائدة النبوة المحمدية، فلا عجب أن تكون فريدة بين

النساء، وأن تحظى بحبّ رسول الله ﷺ لها؛ إذ جمعت كل

(١) انظر خلية الأولياء (٢/٤٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٥١).

صفات الخير من جميع أطرافه، ولذلك حظيت بلقب
الصديقة.

* والله در أبي نعيم عندما وصفها بقوله: الصديقة بنت
الصديق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة
القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المرأة من
العيوب، المعرفة من ارتباب القلوب، لرؤيتها جبريل رسول
علام الغيوب، عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

* وجمعت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من العلم
والفضل ما جعلها مثلاً طيباً في هذا المصمار، إذ تركت في
الدنيا أثراً مباركاً ما تزال قائمة إلى ما شاء الله.

الصديقة أم المؤمنين:

* هذا اللقب العظيم - أم المؤمنين - حظيت به عائشة من
الله سبحانه، حيث كان تزويج النبي ﷺ بها بوحى من الله؛
إثر وفاة الطاهرة خديجة - رضي الله عنها وأرضاها -.

وقد تحدت النبي ﷺ عن هذا حينما قال لأمتنا عائشة:
«أرأيتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة
من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا
أنت هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضيه»^(١).

(١) الحديث متفق عليه، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده.

لنبينا ﷺ، ورفعها بذلك مكاناً علياً، وأضحى النبي الكريم ﷺ يوصي بها أمها قائلاً: «يا أمّ رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها».

* ولما حان الوقت المناسب، جاء رسول الله ﷺ، وعقد علي عائشة، وأصدقها أربعمئة درهم، وسعد الصديق بهذا النسب الذي زاده طيباً إلى طيب.

* ورحل الصديق عن مكة إلى المدينة مهاجراً بصحبة رسول الله ﷺ، ولم يعلم بهذه الهجرة المباركة إلا سيدنا علي بن أبي طالب وآل الصديق رضي الله عنهم، وعندما وصل الرسول ﷺ أرسل في طلب أهله، وبعث أبو بكر في طلب أسرته أيضاً، وقدمت الأسرتان، وكانت العناية الإلهية تحيط بهما.

* وقد أكرم الله سبحانه عروس النبي ﷺ بمكرمة مباركة، إذ نقر جمل عائشة فجعلت أمها تقول: وابنته واعروساه، وفجأة هدأ العجل وسلم الله سبحانه، وتابعت القافلة المسير حتى دخلت المدينة، ونزلت عائشة مع عيال أبيها في دار بني الحارث بن الخزرج.

الْحَدِيثُ السَّعِيدُ:

* في رمضان من السنة الثانية للهجرة، نصر الله المؤمنين

في بَدْر، وسرى الفرح في أرجاء المدينة بهذا النصر العظيم، وفي شهر شوال من السنة نفسها، انتقلت عائشة من روضة أبيها إلى بيت الزوجية، بيت النبوة ومهبط الوحي، وسكنت في حجرة ملاصقة للمسجد النبوي الشريف، وكنّاها رسول الله ﷺ أم عبد الله (١).

* كانت عائشة - رضي الله عنها - عندما زُفّت إلى النبي ﷺ حديثه السن، وكان عليه الصلاة والسلام يقدر ذلك، فكانت تلعب باللعب مع صويحباتها، وكان النبي الكريم ﷺ يرسلهن إليها ليلعن معها.

* روت عائشة - رضي الله عنها - سرور النبي ﷺ لسرورها فقالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعّب بالبنات - اللعب - فقال: «ما هذا يا عائشة؟» .

فقلت: خيل سليمان ولها أجنحة. فضحك (٢).

حَبِيْبَةُ الْحَبِيْبِ ﷺ:

* كانت أمّ المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - امرأة بيضاء جميلة، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرةً غيرها، ولا أحبّ امرأة حبّها، قال الإمام الذهبي - رحمه الله - :

(١) انظر الفتح الرباني (٢٢/١١ و ١٢).

(٢) الطبقات (١/٦٢).

امراة اعلم منها ونشهد انها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والاخرة، فهل فوق ذلك مفخر^(١)؟

* ومن بركات حبيبة الحبيب ﷺ، أن حجرتها الشريفة أصبحت مهبط الوحي، لكثرة الوحي الذي هبط على النبي ﷺ فيها، فأكرم بالحبيبة وبحجرتها!

* احتلت أمنا عائشة - رضي الله عنها - في قلب النبي الكريم منزلة عظيمة في المحبة لم تسبقها إليه إلا أمنا خديجة بنت خويلد - رضوان الله عليها - ، وقد عرف الصحابة الكرام لعائشة هذه المنزلة المباركة، فأكبروا ذلك لها، أضف إلى هذا، أن أمهات المؤمنين قد اعترفن لعائشة بهذه المكانة، وفي مقدمتهن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - .

مِنْ مَكَارِمِهَا:

* حظيت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بفضائل باهرة لم تحظ بها امرأة من نساء المسلمين قط، وكل فضيلة من هذه الفضائل جديرة بأن تجعل أي امرأة تطاول عنان السماء.

* لنستمع إلى أمنا تروي ما رُزقت به من مكارم حسان

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٠).

فتقول: لقد أعطيتُ تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت
عمران؟

* لقد نزل جبريلُ بصورتِي في راحته؛ حتى أمرَ رسول
الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرةً، وما تزوج بكرةً
غيري.

* ولقد قبضَ رأسه في حجري.

* ولقد قبرته في بيتي.

* ولقد حفتِ الملائكةُ بيتي؛ وإن كان الوحي لينزل عليه
وإنني لمعه في لحافه.

* وإنني لابنة خليفته وصديقه.

* ولقد نزل عذري من السماء.

* ولقد خلقت طيبةً عند طيب.

* ولقد وعدتُ مغفرةً ورزقاً كريماً^(١).

* وما أجمل ما قاله الشيخ عبد القادر الجيلاني، على
لسان أمنا عائشة من قصيدة لطيفة:

إنني خصصتُ علي لسانِ محمدٍ

بصفاتٍ برّ تحتهن معاني

وسبقتهن إلى الفضائل كلها

فالسُّبْقُ سبقي والعنان عثاني

(١) انظر مجمع الزوائد (٢٤١/٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤١/٢)،
وتفسير الكشاف (٣٢٥/٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥١/٢).

وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي
فَأُحِبُّنِي الْمَخْتَارُ حِينَ رَأَانِي
وَأَنَا ابْنَةُ الصُّدِيقِ صَاحِبِ أَحْمَدِ
وَحَبِيبَةُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

* وَمِنْ مَكَارِمِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا
حُبًّا مُسْتَفِيزًا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا تَقَرُّبًا إِلَى
مَرْضَاتِهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يَرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهَا لَهُ
أَخْرَجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمَ نِسَاءَ النَّبِيِّ وَقُلْنَ لِأُمِّ سَلْمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ
يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ أَنْ يَهْدُوا لَهُ أَيْنَمَا كَانَ، فَذَكَرَتْ أُمَّ
سَلْمَةَ لَهُ ذَلِكَ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا، فَعَادَتْ الثَّانِيَةَ فَلَمْ يَرُدَّ
عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّلَاثَةَ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلْمَةَ لَا تُؤْذِنِي فِي
عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيِ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ
مِنْكُمْ غَيْرَهَا» (١).

* وَكَانَتْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَعْرِفُ مَكَانَتَهَا الْأَثِيرَةَ
فِي قَلْبِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَتَعْتَبِرُ هَذَا مِنَ الْمَكَارِمِ النَّبَوِيِّ
حُبَّهَا لِلَّهِ بِهَا، وَكَانَتْ تَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ النَّعْمَةِ قَتَقُولُ: إِنَّ مِنْ

(١) أخرجه البخاري ومسلم، وانظر صفة الصفوة (٢/١٩).

نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وبين سحري
ونحري^(١).

مِنْ فَضَائِلِهَا:

* لأمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فضائل ومزايا
خصّها الله بها، فنالت بذلك المنزلة الرفيعة عند رسول
الله ﷺ، ولذا قال عنها مشيراً إلى فضلها «إنها ابنة أبي
بكر»^(٢).

ومَنْ كأبي بكر رضي الله عنه؟ أليس هو الصديق الأكبر
صفياً النبي ﷺ؟ ومَنْ لو اتخذ خليلاً لا اتخذ خليلاً؟ أليس
الصديق كالغيث أينما حلّ نفع؟ - ورحم الله من قال:

لا تفضّل عليّ العتيق^(٣) صديقاً
فهو صديق أحمد المختار
وإن ارتبت في الأحاديث فاقراً
«ثاني اثنين إذ هما في الغار»
* أولاً يكفي هذا الفضل عائشة - رضي الله عنها - ؟.

(١) الحديث متفق عليه، والمعنى أن رسول الله ﷺ مات وهو مستند
إلى صدرها - رضي الله عنها -.

(٢) رواه الإمام مسلم.

(٣) العتيق: من ألقاب سيدنا أبي بكر رضوان الله عليه.

* ومن فضائل أمنا عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني قريظة، وأن جبريل أهداها السلام، روت هذا فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشُ هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام» قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا ترى يا رسول الله (١).

* وفضائل أم المؤمنين عائشة ليس لها حصر، ويكفيها فضلاً أن القرآن نزل بسببها خاصة، فهل فوق هذا من فضل؟

صَوْرٌ مِنْ جِهَادِهَا:

* مِنَ الْبِرَكَاتِ الَّتِي تُضَمُّ إِلَى سِيرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ؛ تِلْكَ الصَّفْحَاتِ ذَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَعْطَارِ الَّتِي خَطَّتْهَا فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

* وَمِمَّا يَدْعُو إِلَى الْوُقُوفِ وَقِفَةٌ إِعْجَابٌ، أَنَّ أُمَّنَا عَائِشَةَ كَانَتْ تَشَارِكُ فِي الْجِهَادِ كَأَيِّ امْرَأَةٍ دُونَ تَمِيِيزٍ، وَذَلِكَ ضَمْنِ

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) الحديث رواه البخاري في بضعة حواشيه من صحيحه، ورواه الإمام مسلم والترمذي وأبو داود، وانظر الدر المشور للسيوطي (١٧٠/٦).

الحدود التي وضعها الشرع من سقاية الماء، وتمريض الجرحى، وإعداد الطعام...

* فني أخذت كانت عائشة - رضي الله عنها - تشارك في حمل الماء على عاتقها لسقاية المجاهدين، وكانت ما تزال صغيرة السن، ولكنها شاركت للمرة الأولى في هذه الغزوة؛ روى سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - مهمة أم المؤمنين في هذه الغزوة فقال:

ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وإنيهما لمشمرتان؛ أرى خدماً - خلخال - سوقهما، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم، ثم ترجعان فتملأتهما، ثم تحيطان تفرغانه في أفواه القوم^(١).

* وفي غزوة الخندق، كانت لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - شجاعة نادرة وجرأة مشهورة، حتى إن سيدنا عمر ابن الخطاب أنكر جرأتها لما رآها تقترب من الصُفوف الأولى للمجاهدين، وقد تحدثت عائشة عن هذا فقالت: خرجت يوم الخندق أفقوا الناس، فسمعتُ وثيذ الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّه، فجلستُ إلى الأرض، فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوفُ على أطرافِ سعد، وكان

(١) الحديث متفق عليه، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٧٦/٢).

لَيْتَ قَلِيلاً بِدُرِّكَ الْهَيْجَا حَمَلٌ
مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فَقَمْتُ فَاتَّحَمْتُ حَدِيقَةً فَإِذَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا فِيهَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَبْعَةٌ لَهُ - تَعْنِي الْمَغْفِرَ - فَقَالَ عَمْرٌ: مَا جَاءَ بِكَ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَرِيئَةٌ وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَكُونَ بِلَاءٌ أَوْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ، فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمْتَيْتُ أَنَّ الْأَرْضَ فَتَحَتْ سَاعَتَهُذِ فَدَخَلْتُ فِيهَا، فَرَفَعَ الرَّجُلُ السَّبْعَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا عَمْرُ وَيْحَكَ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوْ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (١)!

* وعندما خرج النبي ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، كانت عائشة ممن خرج سهمها، فخرجت لتؤدي واجبها، وفي هذه الغزوة امتحنت أمنا عائشة محنة من أشد وأقسى المحن، ولكن الله سبحانه أدرَكها بعنايته، وخرجت من المحنة بشهادة ربانية مباركة، تُتلى إلى يوم الدين في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه، وفي كل مكان وبيت علم على وجه الأرض.

(١) انظر في هذا البداية والنهاية (٤/١٢٣)، وتفسير ابن كثير للآية (٢٧) من سورة الأحزاب، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/٣٢١ و٣٢٢)، والطبقات الكبرى (٣/٤٢٢).

عائشةُ والمحنةُ الكبرى:

* لم تسترح نفوسُ المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يوماً بعد يوم ، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم ، فأرادوا - بزعمهم - أن يوجهوا ضربةً قاصمةً إلى النبي الكريم ﷺ ، فرموا أمنا الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم .

* وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام ، وطفق يكيّد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى ، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد ، فكانت تلجمهم وتكبّتهم .

* وكان لحديث الإفك وقعٌ أليمٌ على قلب أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، ومزّت عليها وعلى البيت النبوي الطاهر والبيت البكري الصادق أوقاتٌ قاسية حرجة ، امتدت إلى شهر من الزمن ، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصديقة بنت الصديق ، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذي رُمي بالحديث الآثم ، كما وسّمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذي ظلّ يلاحقهم إلى النهاية .

وفي السطور التالية نعيش مع البيت النبوي ، ومع أمنا

* وأود هنا - عزيزي القاريء - أن أقفَ وقفات تربية مع حادث الإفك؛ نتعرف من خلاله التربية القرآنية والتربية النبوية للمرأة والمجتمع.

لُؤْمُ الْمُنَافِقِينَ:

* نصر الله سبحانه رسوله والذين معه على بني المصطلق نصراً مؤزراً، وقد ملا هذا النصر المبارك نفوس المنافقين غيظاً وحقدًا، وجعل في قلوبهم غصة كادت تكتم أنفاسهم، فاخترعوا الإفك في مصنع نفاقهم على أم المؤمنين عائشة حبيبة الحبيب ﷺ.

* وكان الذي أشاع الإفك وتولى كبره، الخبيث الفاجر زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وكانت فتنة عمياء كادت تصيب المجتمع المسلم بهزة أليمة، روجها المنافقون والذين في قلوبهم مرض ممن لم يعمر الإيمان قلوبهم، وممن لا ينكرون ما سمعوه من الحديث الأثم لضعف إيمانهم، ووصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

* ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل من هذه الحادثة درساً بليغاً فيه التأديب، وفيه التكال للنفق والمنافقين والمرجفين، كما جعل الله من هذه الحادثة كرامة عظيمة

ليرفع من شأن أمنا عائشة - رضوان الله عليها - ، وأن يُظهر مكانتها في أهل البيت الذي أذهب عنه الرجس وطهره تطهيراً .

«كَيْفَ تَبَيَّنَ» :

* حديث الإفك - عزيزي القاري - . قد روي في الصحيحين وكتب السنة وكتب السيرة ، كما روي في التفسير جميعها لسورة النور ، وأمنا عائشة - رضي الله عنها - هي التي روتها ، وسقطت من حديثها فقرات كاشفة ، وذلك من حديثها الطويل - وسنعمد رواية البخاري - قالت - رضي الله عنها - تصف حالتها :

(... ..) فقدمنا المدينة ، فاشتكت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكتي ، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ ثم يقول : «كيف تبكم» . ثم ينصرف)

«كيف تبكم» ؟ كلمة خالية من دفء الحب الذي كانت تعهده عائشة - رضي الله عنها - ! وخالية من حرارة الشوق التي كانت تغعم قلبها الطاهر بالسرور ، ماذا جرى ؟ يا لها من مصيبة ، الأيام تمر ، والرسول الكريم لا يزيد على قوله وسؤاله : «كيف تبكم» ؟ ولكن لا بد لسحابة الحزن القائمة

الخبر الأليم :

* كانت عائشة - رضي الله عنها - لا تدري عن أمر الإفك شيئاً، بيد أنها لاحظت أن الأحواء حولها قد توجهت بعد عودتها من غزوة بني المصطلق، فذهبت إلى بيت أبيها، ولما خرجت إلى الخلاء، أخبرتها أم مسطح بن أثانة بن عباد القرشي المطلي بقول أهل الإفك؛ فكاد أن يغمي عليها، وبكت ليلتين ويوماً، ولم تنم حتى كاد البكاء يفتت كبدها، ولنتابع معها بقية الحديث فتقول:

(.) فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول

الله ﷺ، فسلم ثم جلس - ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل قبلها - وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرنك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه» .

* الله أكبر ما أعظم هذا الكلام! ولكن

عسى الكرب الذي أمسيت فيه

يكون وراءه فرج قريب

* * *

«قَصِيرٌ جَمِيلٌ»:

* كانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تصغي بكل جارحة فيها لقول الحبيب المصطفى ﷺ، وكانت الدموع تنحدر من عينيها، ولما قضى النبي الكريم ﷺ حديثه، خيم الصمت على المجلس، وقلص دمعها، ودبت فيها الجراءة فقالت:

(... ..) فقلت لأبي: أحب رسول الله ﷺ فيما قال.

قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت لأمي: أحبي رسول الله ﷺ فيما قال.

قالت: فوالله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني منه بريئة - لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف^(١) قال: «قَصِيرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» (... ..) [يوسف: ١٨].

* * *

(١) يعقوب عليه السلام.

* أَنْ لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَظْهَرَ وَتُجَابَ ظَلَمَاتُ الْفِتْنَةِ، فَمَا أَتَمَّتْ عَائِشَةُ حَدِيثَهَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْفَعَةٍ، وَهَذَا الْبَرَاءَةُ مَخْتُومَةٌ بِخَاتَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ... قَالَتْ عَائِشَةُ:

(... ..) فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْجَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِثْلَ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ - وَهُوَ فِي يَوْمِ شَابٍ - مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أُولَى كَلِمَةٍ تَكَلَّمَتْ بِهَا: «يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكَ».

فَقَالَتْ أَسِي: قَوْمِي إِلَيْهِ.

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا

تَحْسِبُوهُ﴾... الْعِشْرَ الْآيَاتِ كُلِّهَا... (١)

* وَهَكَذَا كَانَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ الرَّبَّانِيَّةُ لِأَمْنِ عَائِشَةَ تَنْزِيهَاً

لِسَاحَتِهَا، وَإِعْزَازًا لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَتَكْرِيمًا لِأَبِي بَكْرٍ

الَّذِينَ بَلَغَتْ مِنْهُمْ الْمُحَنَّةُ شِدَّةَ هَزَّتْ كَيْبَانَهُمْ، وَزَلَزَلَتْ

(١) انظر الحديث كاملاً في صحيح البخاري (١٢٧/٦) وما بعدها،

وانظر أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٥) وما بعدها، والدر المنثور

للسيوطي (١٤٠/٦) وما بعدها.

أقدامهم، ووصفتهم عائشة بقولها: والله ما أعلم أهل بيتٍ
دخل عليهم ما دخل علي آل أبي بكر في تلك الأيام.

* وهكذا أكرم الله سبحانه المؤمنين بفضله، وردَّ كيد
المنافقين إلى نحورهم، والله درُّ الشيخ عبد القادر الجيلاني إذ
يقول علي لسان عائشة في هذا المقام:

وتكلم الله العظيم بحجتي
وبراءتي في مُحكم القرآن
والله في القرآن قد لعن الذي
بعد البراءة بالقبيح رماني
والله فضّلني وعظّم حُرمتي
وعلى لسان نبيّه برّاني
والله ونّح من أراد تنقّصي
إفكاً وسبّح نفسه في شائي^(١)

* تلك هي فتنة الإفك الخرساء التي أشارها زعيم
المنافقين ورأس النفاق ابن سلول، فخاب سعيه وسعي من
انضوى تحت جناحه المهيبض، وحفظ الله أم المؤمنين عائشة

(١) انظر كتاب المحاسن المجتمعة، ص (٩٣). وقيل: إن هذه
الفصيحة لأبي عمر بن موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي
الواعظ في مدح عائشة - رضي الله عنها -.

شَهَادَاتُ مُبَارَكَةٍ:

* شَهِدَ اللهُ سِجْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَمْنًا عَائِشَةَ بِالْبِرَاءَةِ وَالطَّيِّبِ، وَأَنْزَلَ بِطَهْرِهَا شَهَادَةَ لَا تَمْحُوهَا الْأَيَّامُ، وَأَعْلَى مِنْ مَقَامِهَا فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

* وَقَدْ شَهِدَ لَهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ بِالْفَضْلِ وَالْخَيْرِ، وَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ إِلَّا أَوْلُو الْفَضْلِ، وَمَنْ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَدْ قَالَ عَنْهَا: «وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا».

* وَأَدَلَّتْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ شَهَادَاتٍ ظَاهِرَةً لِعَائِشَةَ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَنَّهَا قَالَتْ كَلِمَةً سَوْءَ فِيهَا، وَلَا مِ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مَوْقِفَ نَبِيلٍ فَوَاحٍ بِالْبُرْكَهٖ، وَذَلِكَ حِينَمَا سَأَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ قَبْلَ نَزْوِلِ الْوَحْيِ بِبِرَائَتِهَا فَقَالَ لَهَا: «مَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا^(٢).

(١) انظر الفصول لابن كثير ص (١٨٢).

(٢) اقرأ هذا الخبر مفصلاً في سيرة أم المؤمنين زينب بنت جحش في =

* ومدح سيدنا حسان بن ثابت أم المؤمنين عائشة بقصيدة
طيبة ذكر فيها طهرها وبعض فضائلها فقال:

حِصَانُ رِزَانٍ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ
وَتَصِيحُ غَرْتِي مِنْ لِحُومِ الْغَوَافِلِ
مَهْدِيَةٌ قَدْ طَهَّرَ اللَّهُ حَيْمَهَا (١)
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ بَغْيٍ وَبَاطِلٍ

وقالت كَبْشَةُ بنتُ رَافِعٍ (١) وهي أمُّ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ سَعْدِ
ابْنِ مَعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، تَمْدَحُ عَائِشَةَ وَتَشْهَدُ بِفَضْلِهَا
وَطَيْبِ عَنَصَرِهَا :

تَتَّقِي اللَّهَ فِي الْمَغِيبِ عَلَيْهَا
نِعْمَةَ اللَّهِ سِرُّهَا مَا يَرِيْمُ
خَيْرٌ هَدَى النِّسَاءَ حَالًا وَنَفْسًا
وَأَبًا لِلْعُلَا نَمَاهَا كَرِيْمُ
لِلْمَوَالِي إِذَا رَمَوْهَا بِإِفْكٍ
أَخَذْتَهُمْ مَقَامِعُ وَجَحِيْمُ

= هذا الكتاب فقيه ما يبر النفس .

(١) حيمها: طبعها .

(٢) اقرأ سيرة الصحابية الجليلة كبشة بنت رافع - أم سعد بن معاذ - في
هذا الكتاب .

في حطام حصى يسون السليم

وقال عروة بن الزبير يشهد بفضل عائشة - رضي الله عنها - : لو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلوً مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة^(١).

* * *

مَعَ الْقُرْآنِ مَرَّةً أُخْرَى:

* من بركاتِ أمنا عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ، نزول آية التيمم بسببها تيسيراً على المسلمين، فقد أخرج البخاري رحمه الله عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبنداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام بالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلي أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام.

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيتمي (٢٣٥/٩).

(٢) انظر: أسد الغابة ترجمة رقم (٧٠٨٥).

قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم (١).

* وذكر الذهبي - رحمه الله - أن الله لما أنزل الرخصة للمسلمين بالتيمم جاء سيدنا أبو بكر وقال لعائشة - رضي الله عنها - : والله ما علمت يا بنية إنك لمباركة! ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر (٢).

* وما أجمل قول الصحابي الجليل سيدنا أنس بن الحضير في آل أبي بكر عندما نزلت آية التيمم: لقد بارك الله للناس فيكم، يا آل أبي بكر ما أتم إلا بركة لهم (٣).

* ولما نزلت آية التخيير كان لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - موقف يفيض بركة وقناعة وطهرًا، فقد بدأ رسول الله ﷺ بسؤالها - وذلك لمكانتها وكرامتها عنده - فقال: «إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأسري أبويك»، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه.

قالت: ثم قال: إن الله قال: ﴿يا أيها النبي قل

(١) صحيح البخاري (٦٤/٦)، وانظر تفسير ابن كثير (٣١/٢)، وسير

أعلام النبلاء (١٧٠/٢)، وانظر كذلك الفتوح الرباني (١٢٣/٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧١/٢).

(٣) الحديث رواه البخاري (٦٤/٦)، وانظر المسيرة الحلبية (٦٢٧/٢).

استامر ابوي! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

* * *

فَسَرَّاقُ الْحَبِيبِ ﷺ:

* البركةُ تلاحقُ أمَّ المؤمنين عائشةَ في جميع أطوار حياتها، وخاصة حياتها مع النبي الكريم ﷺ، فقد حظيت بشرفٍ عظيمٍ وهو خدمة النبي ﷺ وتمريضه في بيتها، بعد أن استأذن أزواجه الطاهرات في ذلك، فأذن له أن يكون حيث أحب.

ومات ﷺ في حجرتها الشريفة، وروت أم المؤمنين عائشة وفاة النبي ﷺ فقالت:

إِنَّ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَفَّى فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السُّوَّكُ، وَأَنَا مُسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَحِبُّ

(١) الحديث متفق عليه، واللفظ للبخاري، انظر صحيح البخاري (١٤٦/٦)، وتفسير ابن كثير (٤٨٨/٣ و٤٨٩)، والدر المنثور (٥٩٦/٦). والآيتان هما ٢٨ - ٢٩ من سورة الأحزاب.

السَّوَاكُ. فَقُلْتُ: أَخَذَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْبَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْبَتُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْحَلُ يَدُهُ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَضَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدَهُ (١).

* كَانَ مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ حَدَثًا أَذْهَلَ الْعُقُولَ، وَفَزَعَ الْقُلُوبَ، وَرَوَعَ الْأَنْفُسَ، وَبَدَا النَّاسُ فِي شَأْنِهِ حَيَارَى، وَلَكِنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- ظَلَّتْ ثَابِتَةً الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ، كَمَا كَانَ سَيِّدِنَا أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ثَابِتَ الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ أَيْضًا، وَلِلَّهِ دُرُّ الصُّدِيقِينَ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ!

* وَدُفِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ الصُّدِيقَةِ عَائِشَةَ فَتَالَتَ بِذَلِكَ شَرَفَ الدَّارَيْنِ، وَظَلَّتْ حَجْرَتَهَا قِبْلَةَ الْقُصَادِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِيَلْقُوا السَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

* وَمَنْ الْمَكَارِمُ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِهَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ أَنْهَا رَأَتْ فِي نَوْمِهَا كَأَنَّ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطْنَ فِي حَجْرَتِهَا، فَقَالَ لَهَا سَيِّدِنَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ دُفِنَ فِي بَيْتِكَ حَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ.

(١) الحديث رواه البخاري، وانظر البداية والنهاية (٢٣٩/٥ و ٢٤٠)،

ودلائل النبوة للسيهقي (٢٠٦/٧ و ٢٠٧).

عنه - لقد اُخذ المارء وهو خيرها ، لم تكن لي بيها أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وضُمَّتْ بِذَلِكَ الأَقْمَارُ الثَّلَاثَةُ .

* ومن البركاتِ التي تُضَمُّ إلى بركاتِ أمنا عائشة في هذا المجال حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ بيئها وحجرتها، وفي ذلك قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يُقْبِضُ النَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ الأَمَكْنَةِ إِلَيْهِ»^(١)، وهكذا كان .

* * *

عائشةٌ وحديثُ الرَّسُولِ ﷺ :

* أمُّ الْمُؤْمِنِينَ عائشةُ ذاتُ فضائلٍ لا تُحصى ، فهي من السَّبْعَةِ الَّذِينَ أَكثَرُوا رِوَايَةَ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وقد نَلَقَتْ الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مباشرةً، ولها فضلٌ كبيرٌ في نَقْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الفَعْلِيَّةِ، وتعليمها النَّاسَ .

* كما تُعْتَمَرُ حجرتها الشَّرِيفَةُ المَدْرَسَةُ الأُولَى في الدُّنْيَا التي يُؤخَذُ مِنْهَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ، وذكرُ الذَّهَبِيِّ - رحمه الله - رِوَايَتَهَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: فَرَوَتْ عَنْهُ - ﷺ - عِلْمًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ، وَعَنْ أَبِيهَا وَعَنْ عَمْرِو وَفَاطِمَةَ وَسَعْدَ وَحَمْرَةَ بْنِ عَمْرٍو

(١) عن أنساب الأشراف (٥٧٢/١) بتصرف يسير .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١٣٥/٢) حتى (١٣٩) .

الأسلمي وجدامة بنت وهب، وروى عنها خلق كثير لا يُحصون، وأورد الذهبي عدداً من الرواة أخذوا عن عائشة وهم من الصحابة والتابعين وأهل بيتها ومواليها، وعدد من النساء، واستغرق في ذلك قرابة مئة راوٍ.

* ويبلغ مسند أم المؤمنين عائشة الفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين (١).

* ولعله من الفائدة ذكر أسماء الصحابة المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ، الذين بلغت مروياتهم عنه أكثر من ألف حديث، وهم:

* سيدنا أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي - رضي الله عنه - ، روي له عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً.

* سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، روي له عن النبي ﷺ (٢٦٣٠) حديثاً.

* سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، روي له عن النبي ﷺ (٢٢٨٦) حديثاً.

* أمنا عائشة الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - ، روي لها عن النبي ﷺ (٢٢١٠) أحاديث.

(١) انظر المعجمي لابن الجوزي ص (٩٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥١/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٩/٢).

الحسن السبي (١١١١) حديثاً.

* سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - ،
رُوي له عن النبي ﷺ (١٥٤٠) حديثاً.

* سيدنا سعد بن مالك - أبو سعيد الخدري - رضي الله
عنهما، رُوي له عن النبي ﷺ (١٥٤٠) حديثاً^(١).

وقد نظم أسماء هؤلاء السبعة بعض الفضلاء؛ فقال:

سَبْعٌ مِنَ الصَّحْبِ فَوْقَ الْأَلْفِ قَدْ نَقَلُوا
مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الْمَخْتَارِ حَيْرَ مُضَرِّ
أَبُو هُرَيْرَةَ سَعْدُ جَابِرٌ أَنَسُ
صَدِيقَةُ وَإِبْنُ عَبَّاسٍ كَذَا ابْنُ عُمَرَ^(٢)

فَقَّهَهَا وَعَلَّمَهَا:

* قال الإمام الذهبي - رحمه الله - عن أمنا عائشة - رضي
الله عنها - : أفقه نساء الأمة على الإطلاق -

* وهذه حقيقة، فقد نشأت أمنا عائشة - رضي الله عنها -
في بيت الصديق، وعاشت في بيت النبوة، ونهلت من المعين

(١) شذرات الذهب (١/ ٢٦١ و ٢٦٢) طبعة دار ابن كثير.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٦٤ و ٢٦٥).

النَّبِيُّ الصَّافِي، وشهدت أسباب نزول القرآن؛ ناهيك بأن حجرتها مهبط الوحي، فلا عجب أن تكون أفقه نساء الأمة، ولذلك شاع علمها، وانتشر فضلها في الأمصار، وفاقَتْ غيرها في معرفة الفرائض والسُّنن والفقه.

* استَقَلَّتْ عائشةُ - رضي الله عنها - بالفتوى في الخلافة الرَّاشِدة وبعدها إلى أن ماتت، وكان سَيِّدنا عمر وسَيِّدنا عثمان يرسلان إليها فيسألانها عن السُّنن.

* وسُئِلَ الإمامُ مسروق - رحمه الله - فقيل له:

هل كانت عائشة تحسنُ الفرائض؟

قال: إي والذي نفسي بيده، لقد رأيتُ مشيخة أصحاب رسولِ الله ﷺ الأَكابر يسألونها عن الفرائض.

* وقد غَطَّتْ عروةُ بن الزبير - ابن أختها - عندما قال عنه قُبيصةُ بن ذؤيب: كان عروةُ بن الزبير يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشةُ أعلم الناس^(١).

* * *

زُهدُها وكرمُها:

* بلغت أم المؤمنين عائشةُ - رضي الله عنها - أعلى درجات الزُّهد بإعراضها عن الدُّنيا، وإقبالها على الله سبحانه

(١) انظر تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٥).

قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليقها باكية.

* وكانت - رضي الله عنها - مضرب المثل في الزهد، كما ضرب المثل في جودها، فلا يكاد المال يثبت بيدها لحظات إلا يكون من نصيب الفقراء، وبلغ من كرمها أن ورّعت مئة ألف درهم في يوم واحد وهي صائمة، ولم تترك درهماً واحداً حتى قالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً، فقالت: لو قلت قبل أن أفرقها لفعلت.

أوليست ابنة الصديق الكريمة ابنة الكريم الذي أنفق ماله كله في سبيل مرضاة الله؟! .

* ورحم الله الإمام الذهبي إذ قال عنها: كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها ولها في السخاء أخبار^(١).
* وذكر عروة بن الزبير كرمها وسخاءها وزهدا فقال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها.

* * *

عبادتها وورعها:

* لا شك أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كانت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٩٨).

أَلْصَقَ النَّاسَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتُعْتَبَرُ عِبَادَتُهَا صَوْرَةً وَضِيئَةً عَنِ
عِبَادَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَقَدْ كَانَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَكْثِيرٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَخُصُوصًا
صَلَاةَ اللَّيْلِ مُتَأَسِّيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ.

* أَمَّا صَوْمُهَا، فَكَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرَ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ
الْجَوْزِيِّ (١).

وَأَمَّا الْوَرَعُ فَقَدْ احْتَلَتْ فِيهِ مَكَانًا عَلِيًّا، وَاتَّصَفَتْ فِيهِ
بِحَمِيعِ أَعْمَالِهَا، وَمِنْ وَرَعِهَا الْفَقْهِيُّ الْعَمَلِيُّ احْتِجَابُهَا عَنِ
الْأَعْمَى، فَقَدْ ذَكَرَ إِسْحَاقُ الْأَعْمَى قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَاحْتَجَبَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ: تَحْتَجِبِينَ مِنِّي
وَلَسْتُ أَرَاكَ؟

قَالَتْ: إِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَانِي فَإِنِّي أَرَاكَ (٢).

* * *

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّعْر:

* قَالَ مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ.
نَعَمْ، كَانَتْ بَلِيغَةً فَصِيحَةً حَكِيمَةً؛ تَلَقَّتْ حِكْمَتَهَا وَبَلَغَتْهَا
مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَرَفَدَتْهُ بِأَدَبِ النُّبُوَّةِ، وَنَشَأَتْ فِي بَيْتِ أَبِي

(١) انظر صفة الصفوة (٢/٣١). أي تصوم يوماً وتفطر يوماً.

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٦٩).

للناس بالسلام والناس بالسلب العرب وإياهم .

ومما يتوافق مع هذا ما روي أن شاعر الرسول ﷺ حسان
ابن ثابت، لما أراد أن يهجو مشركي قريش قال له رسول
الله ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم، وكيف تهجو أبا سفيان
ابن عمي» (١) .

فقال له حسان: والله لأسلنك منهم كما تسأل الشعرة من
العجين .

فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أبا بكر فإنه أعلم بأنسَابِ
القوم منك» .

فكان حسان يجيء إلى أبي بكر ليوقفه على أنسابهم،
فجعل يهجوهم، فلما سمعوا هجوه قالوا: إن هذا الشعر ما
غاب عنه ابن أبي قحافة (٢) .

* كانت أم المؤمنين رضوان الله عليها توصي بتعليم
الأولاد والنأشئة القرآن ثم الشعر والأدب، لتعذب ألسنتهم،
وترق طباعهم، وتهذب نفوسهم، ومن الطريف أنها كانت
تروي ألف بيت للبيد بن أبي ربيعة وحده، وكانت تقدر شعر
حسان بن ثابت وتدافع عنه .

(١) اقرأ سيرة الصحابي الجليل «أبو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب» في كتابنا رجال مشرون بالجنة الجزء الثاني .

(٢) انظر السيرة الحلبية (٢/٦٢٠) .

وقد شهد لعائشة بخُسن الحفظ عددٌ من الصحابة والتابعين حتى قيل: ربما روت عائشة القصيدة ستم بيتاً والمثمة بيتاً^(١).

وقلما كان يحدث لها من أمرٍ إلا وأنشدت فيه شعراً يلائم ذلك المقام، ومن أمثلة ذلك ما رواه الأصبهاني في الحلية أنها رأت رسول الله ﷺ مرةً يعرفُ جبينه، ثم جعل عرفه يقولُ نوراً، فتمثلت بقول أبي كبير الهذلي:

وإذا نظرتُ إلى أسرةٍ وجهه
برقتُ بروقِ العارضِ المتهللِ
* وكانت رضي الله عنها كثيراً ما تمثل بقول الشاعر:

بجزيك أو يشني عليك وإن من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى^(٢)

ومن أروع وقفاتها ما قالته عندما حضرت والدها الوفاة إذ تمثلت بقول حاتم:

لعمرك ما يغني الشراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال: لا تقولي هكذا يا بنية، ولكن قولِي: ﴿وجاءت

(١) انظر في هذا طبقات ابن سعد (٧٣/٨).

(٢) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١٦٢/٣).

* ولما توفي أخوها عبد الرحمن بمكة، قدمت إليها وزارته وتمثلت بشعر مُتمم بن نوبرة في أخيه مالك فقالت:

وكنّا كندمانِي جديمة برهة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً^(١)

* ونختم هذا الفصل بكلام طيب، فقد سمع النبي الكريم ﷺ عائشة وهي تشد شعر زهير بن حباب:

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه
يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك وإن من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي ﷺ: «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس»^(٢).

* ورحم الله الإمام الجليل عامر الشعبي الذي كان

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/٨٩)، وأعلام النساء (٣/١٢٠).

(٢) أعلام النساء (٣/١٢٠).

يَتَعَجَّبُ مِنْ فَهْمِهِ وَعِلْمِهِ وَأَدَبِ عَائِشَةَ وَيَقُولُ: مَا ظَنَنْكُمْ بِأَدَبِ
النَّبِيِّ (١)؟

* * *

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالطَّبِّ:

* أثارَ عن أُمِّنا عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَعْرِفَتُهَا الطَّبِّ،
حَتَّى أَثَارَ هَذَا الْعَجَبُ ابْنَ أُخْتِهَا عَمْرَةَ بِنَ الزَّبِيرِ وَقَالَ لَهَا: يَا
أُمَّتَاهُ لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكَ، أَقُولُ زَوْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتَ أَبِي
بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالشَّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ ابْنَةَ
أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ! وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ
بِالطَّبِّ كَيْفَ هُوَ وَمَنْ أَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: فَضَرَبْتِ عَلَيَّ مِنْكَ وَقَالَتْ: أَيُّ عَرِيَّةٍ - تَصْغِيرِ
عَمْرَةَ - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْقُمُ عِنْدَ آخِرِ عَمْرِهِ، فَكَانَتْ
تَقْدِمُ عَلَيْهِ وَفَوْدُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَتَنَعَتْ - تَصِفُ - لَهُ
الْأَنْعَاتِ، وَكُنْتُ أَعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ (٢).

* وَلِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَقْوَالٌ تُشِيرُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا
الطَّبِّ، وَحَسَنَ تَعْلِيلِهَا لِلْأُمُورِ، وَقُوَّةَ مَلاحِظَتِهَا، نَاهِيكَ بِنِعْمَةِ
الذِّكَاةِ الَّتِي حَيَّاهَا اللَّهُ.

(١) انظر: أنساب الأشراف (٤١٦/١).

(٢) انظر الحلية (٥٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٨٢/٢)، ومجمع

الزوائد (٢٤٢/٩)، والفتح الرباني (١٢٤/٢٢).

وقولها أيضاً: لا سَهَر إلا لثلاثة: مُصَلٌّ، أو عروس، أو مسافر^(٢).

وهذا التحليل يدل على معرفتها بضرر السهر وعواقبه الوخيمة على الصحة.

* * *

من غرر أقوالها:

* ذكر الأعمش - رحمه الله - عائشة فقال: كان يُقال إن عائشة رجلة الرأي^(٣).

* نعم فكلُّ ما أُثِرَ عن أمنا عائشة من أقوال مباركة تدلُّ على فهمها وعقلها الناضج الذي تأثر بالقرآن وفيض النبوة؛ ولأم المؤمنين عائشة أقوال رائعة لو كتبت بماء الذهب لكان قليلاً، اسمع إلى قولها عن المرأة: المِعْرَلُ بيد المرأة، أحسن من الرُمح بيد المجاهد في سبيل الله^(٤).

(١) عيون الأخبار (٢٠٢/٣).

(٢) المصدر السابق (١٤١/١).

(٣) أنساب الأشراف (٤١٧/١).

(٤) أعلام النساء (١١٨/٣).

* ومن نفائس أقوالها المباركة: التمسوا الرزقَ في حيايا الأرض.

* وفي التماس مرضاة الله كانت تقول: مَنْ عَمِلَ بِمَا يَسَخِطُ اللَّهَ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًا.

* ومن أجمل أقوالها وأنصعها في هذا المجال قولها: إنكم لن تلقوا الله بشيءٍ خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الذائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب.

* وسئلت - رضي الله عنها - : متى يكون الرجل مسيئاً؟ فقالت: إذا ظن أنه محسن^(١).

* وكانت عائشة - رضي الله عنها - أفقه الناس وأعلم الناس رأياً في العامة، ولها في هذا رأي في الأنصار وحسن الثقة بهم قالت: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين ألا تنزل من أوبئها^(٢).

* * *

عائشة في ظل الخلفاء:

* حظيت أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - بالمكانة اللائقة في حياة الخلفاء الراشدين، وكانت مرجعاً من أهم

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦/٣).

(٢) عيون الأخبار (٣/٢٣)، وصفة الصفوة (٢/٣٢)، والزهدي للإمام

أحمد بن حنبل (٢٠٦).

ولم تكن بمنأى عن الأحداث التي مرّت بالمسلمين خلال حياتها التي اقتربت من السبعين إلا قليلاً، وكان لها مواقف مشهورة، وأثار معروفة في الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرّت بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

وقد سجلت لنا كتب التاريخ كثيراً من الأحداث التي تركت فيها أم المؤمنين عائشة لمسات بارزة تشير إلى صورة العصر آنذاك (١).

* * *

وَدَاعَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ:

* شعرت عائشة - رضي الله عنها - بقرب اللقاء مع الله سبحانه، واشتاقته إلى الدين سبقوها إلى الدار الآخرة، وكان المرض قد اشتدّ عليها فلزمت فراشها، وجاء سيّدنا عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - يستأذن عليها، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فأذنت له، ولما دخل قال لها:

(١) من أراد الاستزادة في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب أعلام النساء (٣٠/٣) وما بعدها، ففيه تفصيل كثير.

أشري فما بينك وبين أن تلقى محمداً ﷺ والأحبة إلا أن
تخرج الروح من الجسد.

ثم جعل ابن عباس يذكر فضائلها، ولما أنهى حديثه قالت له:

دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لو ددت أتي
كنت نسياً منسياً^(١).

* وتوفيت أم المؤمنين عائشة ليلة الثلاثاء (١٧) رمضان
سنة (٥٨) من الهجرة، التي توافقت عام (٦٧٨) من الميلاد،
وهي ابنة ست وستين سنة، ودُفنت بالبقيع من ليلتها بعد
صلاة الوتر، واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل
العوالي، وقالوا: لم نر ليلة أكثر ناساً منها، وصلى عليها أبو
هريرة - رضي الله عنه -، ونزل في قبرها خمسة من
محارمها^(٢).

* وكان لوفاتها كبير الأثر في حياة المسلمين، وحزنوا
عليها أشد الحزن حتى إن الإمام مسروق - رحمه الله - قال:
لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين^(٣) - رضي
الله عنها -!

(١) عن طبقات ابن سعد (٧٥/٨)، وصفة الصفوة (٣٧/٢ و٣٨)
بتصرف.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٧٧/٨)، وتهذيب الأسماء واللغات
(٣٥٢/٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (١٨٥/٢).

المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - لما سمعت الصرخة
على عائشة قالت: والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول
الله ﷺ إلا أباهما.

وذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» أن أم سلمة جعلت
تقول: رحمك الله وغفر لك، وعرفنيك في الجنة.

* ويكفي أم المؤمنين عائشة فخراً أن العلماء والفقهاء
والمؤرخين والكتّاب قد تسابقوا إلى نشر فضائلها، وما زالوا
يشيرون هذه الفضائل إلى ما شاء الله.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ
رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ * دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحْتَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
وَأَخْرَجَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس:
٩ و ١٠].

* أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضاهما - من أشهر
نساء الإسلام إن لم تكن أشهرهن، كانت بركة على الإسلام
والمسلمين في أطوار حياتها، وخصوصاً في العهد النبوي،

فقد صُنِعَتْ عَلَى عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَعْدُوَ فِيهَا بَعْدَ الْمَرْأَةِ
الْمِثَالِيَّةَ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ .

* وَقَدِمَتْ أَمْنَا عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كُلَّ خَيْرٍ لِلرَّسُولِ
الْكَرِيمِ ﷺ ، وَوَفَّرَتْ لَهُ سُبُلَ الرَّاحَةِ وَوَسَائِلَهَا ، فَنَالَتْ الْبَشِيرَةَ
بِالْجَنَّةِ مِرَاراً وَفِي مَوَاقِفَ مُتَعَدِّدَةٍ .

* مِنْ ذَلِكَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بِصُورَةَ عَائِشَةَ فِي
خُرْقَةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ فَقَالَ : « هَذِهِ
زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (١) .

* وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ تَرَوِيهِ أَمْنَا عَائِشَةَ يَكشِفُ عَنْ بَشَارَتِهَا
بِالْجَنَّةِ قَالَتْ :

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي الْجَنَّةِ ؟ .

قَالَ : « أَمَا إِنَّكَ مِنْهُنَّ » .

قَالَتْ : فَخَيْلٌ إِلَيَّ أَنْ ذَاكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرَأْ غَيْرِي (٢) .

* وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ
الطَّاهِرَاتِ كُلَّهُنَّ مَبْشُرَاتٌ بِالْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ أَنَّ أَمْنَا عَائِشَةَ
حَظِيَّتْ بِتَكْرِيمِ اللَّهِ وَالْبَشِيرَةِ الْعَظِيمِ فِي الْجَنَّةِ ، فَهَذَا سَيِّدُنَا
عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ عَلَى الْمَشِيرِ : إِنَّهَا لَزَوْجَةٌ

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْمُنَاقِبِ بِرَقْمِ (٣٦٤٣) .

(٢) انظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبِيَاءِ (٢/١٤٥) .

الجنة .

* وروى الإمام أحمد - رحمه الله - بشارة عائشة - رضي الله عنها - بالجنة فذكر أن النبي ﷺ قال: «إنه ليهون عليّ أني رأيتُ بياض كف عائشة في الجنة»^(١).

* وبعد، فهذه لمحات مباركة من حياة الصديقة عائشة، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها، رضي الله عنها وأرضاهما، ونضر قبرها، وقبل أن نقول وداعاً أمنا الصديقة نقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مُلْكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) الحديث أخرجه البخاري في الفتن، والترمذي في المناقب، وانظر طبقات ابن سعد (٦٤/٨)، والحلية (٤٤/٢).

(٢) انظر الفتح الرباني (١١١/٢٢)، والبداية والنهاية (٩٢/٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيِّدَاتُ الْمَلَأِ الْكَبِيرَاتِ

41-411

فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال النبي ﷺ لابنته فاطمة:

• وَأَمَّا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي مَبْدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

• وَأَنْزَلَ مَلِكٌ فَيُشْرِنِي أَنْ فَاطِمَةَ مَبْدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

حديث شريف

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رضي الله عنها

آل النَّبِيِّ:

مَدِيحُ آلِ النَّبِيِّ عِنْدِي
﴿خَيْرٌ مِنَ الْلُحُومِ وَمِنَ التُّجَارَةِ﴾^(١)
أَنْجُو بِهِمْ مِنْ عَذَابِ نَارٍ
﴿وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢)

* ولقائنا اليوم مع واحدة من آل النبي ﷺ، وسيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، أم أبيها، فاطمة بنت سيد الخلق، سيدنا رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وأمّ الحسين.

* ولدت فاطمة في أم القرى؛ وقريش تجدد بناء الكعبة

(١) اقتباس من سورة الجمعة من الآية (١١).

(٢) اقتباس من سورة التحريم من الآية (٦).

تسترضع لها خديجة، بل أرضعتها هي - رضي الله عنها - .
 * نشأت فاطمة في بيت الطَّهْرِ، وُضِعَتْ على عيني
 أبيها، ومن ثمَّ نهلت من معين النبوة الصَّافي، حيث فتحت
 عينها على أمر الرِّسالة التي خصَّ الله سبحانه بها سيِّدنا
 محمداً ﷺ؛ ليحملها إلى البشرية.

* * *

في رحاب السِّيادة:

* قبل أنْ نظوي الصَّفحات في قراءة حياة فاطمة، دعونا
 نقف لحظاتٍ عند الأصل الزَّكي الذي تكلم بالسِّيادة، وأشرق
 بالمجد من أطرافه.

* قابوها سيِّدٌ وُلِدَ آدم، ورحمةٌ للعالمين، نبينا محمداً
 ﷺ.

* وأُمها سيِّدة نساء العالمين، وأولُ النَّاسِ إسلاماً، أُمنا
 خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها وأرضاها - .

* وفاطمة نفسها سيِّدة نساء أهل زمانها، وأفضل بنات
 النبي الكريم ﷺ.

* وزوجها سيِّد في الدُّنيا والآخرة، أمير المؤمنين عليُّ بن
 أبي طالب - رضي الله عنه - .

* وولداها سيّدا شبابِ أهل الجنّة، وريحاننا رسول الله
الحسن والحسين - رضي الله عنهما - .
* وعمّها سيّد الشهداء، وأسّد الرّحمن وأسّد رسوله،
حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - .
* وعمّها الآخر سيّد بني هاشم، كان يمنع الجار، ويبدل
المال، ويعطي في النّوائب، ويكسو العاري، ويطعم
الجائع، العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - .
* وابن عمّها السيّد الشهيد الكبير الشّأن، علّم
المجاهدين، جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - .
* والآن قلّ لي برّبك من يداني فاطمة الزّهراء في
الفخار؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل؟ يكتفيها من الفخر
أنّها تكنى أم أيها.

* * *

طليعة السّابقات:

* لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بالرّسالة من ربّه،
كانت أمّ المؤمنين خديجة أول من آمن وصدق بالرّسالة،
وكانت بنات النبي الطّاهرات زينب، ورقية، وأمّ كلثوم،
وفاطمة؛ في طليعة السّابقات إلى الإيمان بأبيهن ﷺ نبياً
ورسولاً.

* وذكر ابن إسحاق - رحمه الله - عن أمنا عائشة أنّها

* فبنات النبي الكريم ﷺ في عقد واحد مع أمهن في
السبق إلى ساحة الإسلام، والتصديق برسالة أبيهن ﷺ؛
الذي تميز بصفات مباركة قبل الرسالة، وكُن يعرفن هذا،
فكيف بعد الإسلام؟.

* يقول الإمام الزرقاني - رحمه الله - في شرح المواهب
عن أسبقية فاطمة وأخواتها إلى الإسلام: ولم تُذكر بناته ﷺ؛
لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديه وسيرته ﷺ.

* وفي موضع آخر يبين الزرقاني سبق بنات النبي ﷺ
فيقول: والحاصل أنه لا يحتاج للنص على سبقهن إلى
الإسلام؛ لنشأتهن بين أحضان أصدق وأكرم أبوة، وأفضل
وأحلى أمومة، يأخذن عن أبيهن أكرم المكارم، وعن أمهن
حصائل العقل الذي لا يُوزن به عقل امرأة في السابقين ولا
في اللاحقين.

* كان إسلام أسرة النبي ﷺ زوجته وبناته، إسلام الفطرة
النقية التي عُديت بالإيمان والنبوة، ونشأت على الفضيلة
ومكارم الأخلاق، فلهذا هذه الأسرة المباركة!

* * *

فاطمة الزهراء وأجلاف قريش:
* مضى رسول الله ﷺ في النهوض بدعوته، وتبليغ رسالة

رَبِّهِ، لَا يَبَالِي بِمَا يَلْقَى مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَاءٍ، أَوْ سَفَهٍ وَإِذَاءٍ، أَوْ تَكْذِيبٍ وَافْتِرَاءٍ؛ فَقَدَ وَقَفَ قَرِيشٌ مَوْقِفَ الْعِنَادِ وَالتَّعَنُّبِ مِنْ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، فَكَانَتْ تَسْلُكُ سُبُلَ الْغَوَايَةِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِأَحْقَادِهَا لِتَقْفَ سِنْدًا مَتِينًا أَمَامَ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَنْارَ الْوُجُودَ، وَكَانَتْ الزُّهْرَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي بَدَايَةِ طُفُولَتِهَا تَلْمَسُ مَا يَحِيطُ بِوَالِدِهَا مِنْ مِصَاعِبٍ، فَكَانَتْ تَرِافِقُهُ أحيانًا فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، وَذَاتَ مَرَّةٍ رَأَتْ مِنْ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيظٍ - أَحَدِ لُصَقَاءِ قَرِيشٍ وَأَجْلَافِهِمْ - حَادِثَةً لَا تَكَادُ تَغِيبُ عَنْ ذَاكِرَتِهَا مَطْلَقًا، فَقَدَ كَانَ عَقْبَةُ هَذَا قَاجِرًا خَبِيثًا مَغْمُورَ النَّسَبِ فِي قَرِيشٍ، لِذَلِكَ كَانَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ بِأَعْمَالِ السُّوءِ لِتَنْفِيزِ سَارِبِهِمْ حَتَّى يُعْطِي عَنْ أَصْلِهِ الْخَنَسِيسَ.

فَقِي إِحْدَى الْمَحَالِسِ الْوَثْنِيَّةِ الْفَاجِرَةِ سَمِعَ عَقْبَةَ نَفْرًا مِنْ أَجْلَافِ قَرِيشٍ قَالُوا: مَنْ يَقُومُ إِلَى هَذَا السَّلَا (١) قِيلَقِيهِ عَلَيَّ ظَهْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ؟

وَتَبَرَّعَ عَقْبَةُ - أَخْزَاهُ اللَّهُ - بِتَنْفِيزِ رَغْبَتِهِمُ الدَّنِيئَةَ وَقَالَ: أَنَا، وَأَسْرَعَ إِلَى السَّلَا وَحَمَلَهُ، ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَيَّ ظَهْرَ الْحَبِيبِ الْمِصْطَفَى ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَعُصْبَةُ الشَّرِّ يَنْظُرُونَ مَتَسَافِهِينَ، يَمِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ مِنْ شِدَّةِ الضَّحْكَ وَالْإِسْتِهْزَاءِ، وَيَقِي سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ فِي سَجُودِهِ، حَتَّى وَصَلَ الْخَيْرُ إِلَى سَيِّدَةِ نِسَاءِ

(١) السلا: هو ما يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة، ويكون به قدر ودماء.

عنها - وأخذت الأقدار عن ظهر أبيها، وغسلت ما لحق به من
أذى، ومن ثم أقبلت على العصابة الفاجرة، فسبّتهم
وشتمتهم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه ودعا عليهم
فقال: «اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل
ابن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك
بأمية بن خلف.» ولما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك،
وخافوا دعوته.

ومن فضل الله على نبيه أنه استجاب دعوته فقتلوا جميعاً
يوم بدر^(١).

* ومن الجدير بالذكر أن عقبة بن أبي معيط قد أسرف في
غزوة بدر، ولما أمر النبي الكريم ﷺ بقتله، قال: فمن
للصبيبة يا محمد؟..
قال: «النار».

ثم قال: أتقتلني من بين قريش؟
فقال النبي ﷺ: «نعم».

ثم التفت إلى أصحابه وقال: «أتدرون ما صنع بي هذا؟»

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠)، والبداية
والنهاية (٤٤/٣) بتصريف.

جاء وأنا ساجدٌ خلف المقام، فوضع رجله على عنقي
 وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران^(٢)، وجاء
 مرةً بسلا شاةً فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة
 ففسلته عن رأسي».

وهكذا حلت القارعة بعقبة - الخبيث - فقتل بأيدي
 المسلمين.

* * *

الزُهراء ومحنة الحصار:

* لجأت فريش إلى طريقة جديدة في إيدائها رسول
 الله ﷺ، وفي هذه المرة تعدت إلى إيداء بني هاشم وبني
 عبد المطلب، وأجمع المشركون أمرهم أن يقاطعوهم مقاطعةً
 كاملة، فلا يبيع، ولا شراء، ولا كلام، ولا مخالطة؛ حتى
 يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وانحاز بنو هاشم وبنو عبد
 المطلب - إلا أبا لهب - وحبسوا في شعب أبي طالب، واشتد
 عليهم الحصار حتى أجهدهم، وكان يُسمع من وراء الشعب
 أصوات الصبيان والنساء يتألمون من شدة الجوع، وكانت
 فاطمة - رضي الله عنها - مع المحاصرين، وقد أثر الحصارُ
 في صحتها تأثيراً بالغاً ظل يصاحبها إلى أن لقيت ربها.

(٢) تندران: تخرجان من مكانهما.

المسلمون وعلامات الثبات ترسم على وجوههم المشرقة
بنور الإيمان، وقد استقرت في قلوبهم محبة الله سبحانه
ومحبة رسوله ﷺ.

* * *

السِّدَّتَانِ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ - رضي الله عنهما - :

* لم تكد فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - تنسى مآسي
الحصار، حتى جاء اليوم الأليم في حياتها، ذلك اليوم الذي
فقدت فيه أمها خديجة - رضي الله عنها - ، وبوفاتها فقدت
قلبها الكبير الذي احتوى كل أعباء الحياة، كما فقدت يدها
الحانية المعطاء؛ التي تركت بصمات مباركة في بناء بيت
النبوّة، وأصحت أعباء الحياة ملقاةً على عاتق الزهراء، ولكن
هذا زادها إيماناً وتسليماً، ومن ثم تعلّقت بآبيها ﷺ؛ الذي
وجدت في قلبه الكبير العطف والرحمة والحنان، وتابعت معه
رحلة الحياة وشاركته أعباء الدعوة، إلى أن أذن الله بالهجرة
إلى المدينة المنورة.

وكانت فاطمة الزهراء في عداد المهاجرات، وفي المدينة
بدأت حياة جديدة بين قوم كرام يحبون من هاجر إليهم،
ناهيك بأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

* * *

«إِنَّ عَلِيًّا يَذُكُرُكَ»

* فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، تَزَوَّجَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاطِمَةَ ابْنَةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنِي بِهَا، وَذَلِكَ عَقِبَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكَبِيرِ.

وَلِخُطْبَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِصَّةٌ مَبَارَكَةٌ اِكْتَفَيْتُهَا الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَلِتُرِكَ الْخَاطِبُ نَفْسَهُ سَيِّدَنَا عَلِيًّا يَحْدِثُنَا عَنْ خَطَوَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ الْمَبَارَكِ قَالَ:

خُطِبْتُ فَاطِمَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ مَوْلَاةٌ لِي: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ فَاطِمَةَ خُطِبَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَتْ: فَقَدْ خُطِبْتُ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَزَوِّجَكَ بِهَا؟

قُلْتُ: أَوْ عِنْدِي شَيْءٌ أَتَزَوَّجُ بِهِ؟

فَقَالَتْ: إِنَّكَ إِنْ جِئْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَكَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تُرَجِّبُنِي حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَنْ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَفْحَمْتُ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ جَلَالَتهُ وَهَيْبَةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟»

قَالَ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فَسَكَتُ.

فَقَالَ ﷺ: «لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ؟»

فَقَالَ: «وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ؟»

فَقُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: «مَا فَعَلْتُ بِالذَّرْعِ الَّتِي سَلَّحْتُكَهَا؟»

فَقُلْتُ: عِنْدِي، فَوَالَّذِي تَقْسُ عَلَيَّ بِيَدِهِ إِنَّهَا لِحُطْمَةٍ^(١)،

مَا ثَمَنُهَا أَرْبَعَةُ دِرَاهِمٍ.

فَقَالَ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا، فَابْعَثْ إِلَيْهَا بِهَا فَاسْتَحِلَّهَا بِهَا».

قَالَ: فَإِنِهَا كَانَتْ لَصَدَاقِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

وَأَقْبَلَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَيَّ ابْنَتَهُ قَائِلًا لَهَا: «إِنَّ

عَلِيًّا يَذْكُرُكَ» فَسَكَتَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَزَوَّجَهَا^(٢).

وَكَانَ عُمُرُ فَاطِمَةَ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَبُرُهَا عَلَيًّا

بِأَرْبَعِ سِنِينَ.

* * *

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا»:

* لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ زَفَافِ الزُّهْرَاءِ، طَلَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاءً

(١) الحُطْمِيَّةُ: نَسَبَةٌ إِلَى حِطْمِ بْنِ مِحَارِبٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، اشتهروا

بِصَنْعِ الدَّرْعِ، أَوْ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْطُمُ السُّيُوفَ.

(٢) عَنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لِلسَّيْهَقِيِّ (٣/١٦٠)، وَأَسَدِ الْغَابَةِ تَرْجُمَةً رَقْمَ

(٧١٧٥)، وَالْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةَ (٣/٣٤٦) بِتَصْرِيفٍ يَسِيرٍ.

(٣) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ (٨/٢٠).

فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي، وقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في نسلهما» (١).

* واحتفل بنو عبد المطلب والصُّحابة الكرام بهذا الحدث السعيد، ونَحَرَ حمزةُ بن عبد المطلب بعض إبله وأطعم النَّاس، وانتقلت الزَّهراءُ إلى بيت الزوجية، ذلك البيت الذي لم يُفْرش بالشُّرر المرفوعة، والأكواب الموضوعة، ولا النِّمَارِق المصفوفة أو الزَّرابي المبوثة، وإنما كان في غاية البساطة والتواضع، فيه جلد كَبَش، ووسادة حشوها من الليف، وسقاء وجرتان ورحى للطحن، وكان بعيداً عن منازل النبي ﷺ.

* وبعد فترة جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة فقال لها: «إني أريد أن أحولك إلي».

فقالت: كَلِمَ حارثةُ بن النُّعمان يتحول عن بعض منازلها. فقال: «قد تحول حارثةُ عنا حتى قد استحييتُ منه».

* وبلغ ذلك سيدنا حارثة رضي الله عنه، فجاء مسرعاً وقال: يا رسول الله، بلغني أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلِي وهي أسقُب - أقرب - بيوت بني النُّجار بك، وإنما أنا ومالي لله ورسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب من الذي تدع.

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧١٧٥).

لمحولهما رسول الله ﷺ إلى بيت حارثه بن النعمان،
وسكنه علي وفاطمة - رضوان الله عليهما - (١).

* * *

الصَّابِرَةُ التَّقِيَّةُ:

* لم يعرف التاريخ امرأة جمعت الصبر والتقوى كفاطمة
الزَّهراء ابنة رسول الله ﷺ، فمنذ الأيام الأولى من زواجها
بدأت تمارس أعمال البيت المرهقة وقتذاك، فكانت تطحن
وتعجن حتى تلامس خصلات شعرها جفنة العجين وأحياناً
تلامس الأرض، ثم تقوم بعملية خبز العجين، ولم يستطع
زوجها الزاهد المجاهد أن يستأجر لها خادماً تعينها في أعمال
البيت، بل قال لأمه فاطمة بنت أسد - رضوان الله عليها - :
اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ الخدمة خارجاً، وتكفيك
هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحن.

* وكان سيدنا علي يرى زوجه الطاهرة التقية وقد أثر فيها
التعب، غير أنه استشير بوصول غنائم وسبايا من إحدى
الغزوات، ووجد ذلك فرصة مناسبة فقال لفاطمة: والله لقد

(١) انظر هذه القصة بتوسع في سيرة الصحابي الجليل المضيف سيدنا
حارثة بن النعمان في كتابنا رجال مشرون بالجنة جزء (٢)، ففيه ما
يسر النفس والقلب.

تعبتُ مِنْ سقايةِ الماءِ مِنَ البئرِ حتى اشتكيتُ صدري، وقد جاء اللهُ أباك بسبي فاذهبي فاطلبي خادماً.

فقلتُ: وأنا والله لقد طحنتُ حتى أثر ذلك في يدي.

ثم أتت النبي ﷺ، فقال: «ما جاء بك وما حاجتك أي بنية؟»

قالت: جئتُ لأسلم عليك، وأرخي عليها الحياءُ ستاراً فلم تطلبْ منه شيئاً وعادتُ، فقال لها عليٌّ: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أن أسأله فرجعتُ.

فقام عليٌّ وفاطمةٌ وانطلقا في تهيّبٍ وتردّدٍ وحياءٍ حتى أتيا رسولَ اللهِ ﷺ، وشكيا له حالهما وطلباً أن يهبَ لهما خادماً. فقال لهما النبي ﷺ: «والله لا أعطيكما، وأدع أهلَ الصّفةِ تطوي بطونهم لا أجدُ ما أنفقَ عليهم، ولكني أبيعهم وأنفقُ عليهم أثمانهم».

فرجعا وأتاها النبي ﷺ وقد دخلا في قظيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفتْ أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفتْ رؤوسهما، فثارا - قاما لاستقباله - فقال: «مكانكما».

ثم قال: «ألا أخبركما بخيرٍ ممّا سألتماني؟»

قالا: بلى.

قال: «كلمات علمنيهن جبريل، تُسبّحان الله في دبر كلِّ صلاةٍ عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما

وقنعت الزهراء وعلي - رضي الله عنهما - بهذه الكلمات المباركات، وبهذا الزاد الرباني الذي أزمأه إلى نهاية حياتهما.

* * *

الزاهدة الورعة:

* وصف أبو نعيم في حليته الزهراء فقال: ومن ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء فاطمة - رضي الله تعالى عنها - كانت عن الدنيا ومتعتها عازقة، وبغوامض عيوب الدنيا وأفاتها عارفة.

* في حياة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مواقف وضيئة تفيض بالبركة والنور، وتشير إلى زهدا وورعها وخوفها من الله سبحانه، والعمل المتواصل على مرضاته.

وقد ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - قصة تشير إلى ذلك فقال:

(١) الحديث صحيح رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي، ومسلم في الذكر والدعاء، والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الخراج والإحارة، وانظر القصة بأساليب متقارنة في الطبقات (٢٥/٨)، وصفة الصغوة (١٠/٢ و ١١)، والإصابة (٤/٣٦٨).

دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب، فقالت: هذه أهداها لي أبو حسن - زوجها - فقال: «يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس هذه فاطمة بنت محمد وفي يدها سلسلة من نار؟»

ثم خرج، فاشترت بالسلسلة غلاماً فأعتقته، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار»^(١).

* إنه زهدٌ وورعٌ وحبٌ لله، أوليست الزهراء ابنة سيد الزهاد وسيد الورعين رسول الله ﷺ؟ لقد سمعته عندما قال:
«... .. ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أعني عنك من الله شيئاً»^(٢) فكيف تركن بعد هذا إلى الدنيا؟

لذا فقد شمرت عن ساعد الجد والعبادة، وزهدت في كل شيء، إلا في مرضاة الله ومرضاة رسوله، فكانت ممن قال الله عنهم: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

* وقد بلغت الزهراء - رضي الله عنها - في الفضل والزهد مكانة لم تسبق إليها في نساء عصرها، واقتعدت في الصديق مقعداً مباركاً زكياً، وتشبهت بوالدها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى إن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - شهدت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٢٣).

(٢) الحديث متفق عليه.

أصلق لهجة من فاطمة؛ إلا أن يكون الذي ولدها ﷺ .

* وحسبك هذه الشهادة المباركة لتجعل فاطمة الزهراء في منازل الصديقين، وحسن أولئك رفيقاً.

* * *

المُجاهدةُ الوُفِيَّةُ:

* لفاطمة الزهراء مواقف وضيئة في الجهاد، وأثرت التاريخ بما قدمته من فضائل فواحة بالأريج في مختلف المجالات المباركة.

* ففي غزوة أحد - تلك الموقعة الفيضة بالدروس والتضحيات - أصيب النبي الحبيب ﷺ في بطنه ووجهه، وتدفق الدم الشريف منه، وما استمسك حتى أحرقت قطعة من حصار فألصقت به (٢).

* ولكن أين كانت الزهراء عند هذا الحادث؟ وفي هذه الظروف؟

* الإمام البيهقي - رحمه الله - يدلنا في دلائله على مكان فاطمة - رضوان الله عليها - فيقول:

(١) انظر: الاستيعاب (٤/٣٦٦).

(٢) انظر: أنساب الأشراف (١/٣٢٤).

... وخرج نساءً من المهاجرات والأنصار، فحملن الماء والطعام على ظهورهن، وخرجت فيهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أبصرت أباهما والذي به من الدماء اعتنفته، وجعلت تمسح الدماء عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: «اشتد غضبُ الله على قوم دموا وجهَ رسولِ الله ﷺ»^(١).

* وعن دورِ فاطمة - رضي الله عنها - في أحدٍ روى الصحابي الجليل سهل بن سعد فقال:

جرح رسول الله ﷺ وكسرت ربايعته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وعليها يسكب الماء عليه بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصيرٍ أحرقها حتى إذا صارت رماداً ألصقتها بالجرح؛ فاستمسك الدم^(٢).

* وفي هذه الغزوة استشهد سيدنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد الرسول، وكانت فاطمة وهي الوفية ابنة سيد الأوفياء تذكر عمها المطعم يوم زفافها، فكانت تزور قبره وتبكي عنده وتدعو له^(٣).

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢٨٣/٣).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المغازي ومسلم في كتاب الجهاد والسير، وانظر الطبقات (٤٨/٢)، والبداية والنهاية (٢٩/٤).

(٣) انظر: المغازي للواقدي (٣١٣/٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٠٩/٣).

هذه الغزوة قَسَمَ لها النبي ﷺ خمسةً وثمانين وسقاً من قمح
خبير.

* وشهدت فاطمة كذلك غزوة الفتح ، وكان لها موقفٌ
مشرقٌ مشرفٌ، فقد رفضت أن تجير أبا سفيان بن حرب
عندما طلب أن تشفع له عند رسول الله ﷺ وقال لها: هل
لك أن تجيري بين الناس؟

فقالت: إنما أنا امرأة. وأبت عليه.

فقال لها: مري ابنك الحسن.

فقالت: ما بلغ أن يجير.

* ودخل النبي ﷺ والمسلمون مكة، ولما اغتسل كانت
فاطمة - رضي الله عنها - تستره بثوبه، ثم صلى ثماني
ركعات.

* وعندما بعث رسول الله ﷺ الأمراء الثلاثة^(١) إلى مؤتة
على رأس جيش لتطهيرها من المشركين، استشهدوا واحداً
إثر الآخر، هناك بكت فاطمة ابن عمها جعفر بن أبي طالب
بكاءً مرّاً، ودخل عليها رسول الله ﷺ وهي تقول: واعمّاه،
فقال رسول الله ﷺ: «عليّ مثل جعفر فلتبك الباكية» وأمر

(١) الأمراء الثلاثة هم: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، وعبد الله
ابن رواحة - رضي الله عنهم جميعاً - .

بأن يُصنَعَ لآلِ جعفر طعاماً؛ حيث شُغِلوا عن أنفسهم
بمصائبهم.

* * *

الْحَيَّةُ النَّبَوِيَّةُ:

* سئل الحبيب المصطفى ﷺ: أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟
قال: «فاطمة»^(١).

* وقال الإمام الذهبي - رحمه الله - : كان أحبَّ النَّساءِ
إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال عليّ.

* ولفاطمة - رضي الله عنها - مكانةٌ في قلب النبي ﷺ لا
تساويها مكانة، وحبُّ لا يعدله حبُّ، يكفيها من الشرف أن
رسول الله ﷺ كان يقوم لاستقبالها ويُجلِّسها مكانه، ذكر هذا
الإمام البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

ما رأيتُ أحداً من النَّاسِ كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا
حديثاً ولا جلسةً من فاطمة - رضي الله عنها - . وكان النبيُّ
ﷺ إذا رآها أقبلت رَحَبَ بهاء، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ
بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكان إذا أتاها النبيُّ
ﷺ رَحَبَ به، ثم قامت إليه فقبلته^(٢).

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٢) عن حياة الصحابة (٢/٤٩٩).

ويرى ذلك على وجه الشريف، فقد لاحظ ﷺ ذات مرة أن سوء تفاهم قد حصل بين فاطمة وزوجها، فدخل وأصلح بينهما ثم خرج، فقيل له: يا رسول الله دخلت وأنت على حالٍ وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك؟ فقال ﷺ: «وما يمنعني؟ وقد أصلحت بين أحبّ اثنين إليّ»^(١).

* وكما كان النبي ﷺ يسرُّ لسرور فاطمة، كان يغضب كذلك لغضبها، ويهتم بمشاعرهما اهتماماً بالغاً.

وحدث أن عليّاً - رضي الله عنه - همّ بما رآه سائغاً من خطبة ابنة أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة - رضي الله عنها - ، فأثت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل.

فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد»^(٢).

وترك عليّ الخطبة رعاية لفاطمة، وأسرع إليها يطلب العفو الذي جادت به فوراً، وتلاشت عوامل الحزن من

(١) عن طبقات ابن سعد (٢٦/٨)، والإصابة (٣٦٨/٤) بتصرف

يسير.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

حياتها، وعادت حياة السعادة لتغمر أحب بيت إلى قلب
رسول الله ﷺ.

* وقد وصف الذهبى - رحمه الله - فاطمة فقال: وكانت
صابرة، دينة، حيرة، صينة، قاعة، شاكرة لله، وكان النبي
ﷺ يكرمها.

* وروي عن سيدنا علي رضي الله عنه قال:
سألت رسول الله ﷺ فقلت: أينا أحب إليك أنا أو فاطمة؟
قال: «فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز علي منها».

* ونلمس من خلال هذه الإجابة النبوية الشافية مدى حب
رسول الله ﷺ لابنته فاطمة، واحترامه وإكرامه صهره علياً
- رضي الله عنه - .

* * *

أمّ الحسنيين:

* مضت الأيام هائلة تحمل في طياتها بذور السعادة
التمثلة بحمل فاطمة - رضي الله عنها - ، ولما وضعت
مولودها الأول في شعبان من السنة الثالثة للهجرة، جاء البشير
إلى النبي ﷺ فألقى الخبر، وسرّ النبي ﷺ بهذا النبأ
المبارك، وسرّ المسلمون كذلك بمولد سبط النبي ﷺ، وفي
اليوم السابع لمولده عتق عنه رسوله الله ﷺ بكبش، وحلق

ليرى المولود المبارك، ثم سماه حسناً، وأذن في أذنه اليمنى .
 وفي شعبان أيضاً من السنة الرابعة للهجرة ولد الحسين
 - رضي الله عنه - ، وفعل معه كما فعل مع أخيه الحسن ،
 وأضحى هذان الطفلان السعيدان حبيبي رسول الله ﷺ ، فقال
 عنهما: «هما ريحانتي من الدنيا»^(١)، وهما أيضاً: «سيدا
 شباب أهل الجنة»، وثبت أن النبي الكريم ﷺ قد سماهما
 بالحسن والحسين .

* وبلغ حب النبي الكريم لسبطيه شيئاً مباركاً يشير إلى
 رحمته ﷺ ، روى سيدنا أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال:
 خرج رسول الله ﷺ ليلة وهو مشتمل على شيء ، قلت:
 ما هذا؟ فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال:
 «هذان ابنتي وابنا بنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من
 يحبهما»^(٢) .

* وفضائل الحسنين ليس لها حصر - رضي الله عنهما^(٣)
 وأرضاهما - ، وقد أكرم الله عز وجل فاطمة الزهراء في نسلها
 الطيب الطاهر فاختصها بذرية سيدنا محمد ﷺ ، ولم يكن له

(١) الحديث رواه الإمام البخاري والترمذي وأحمد .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي ، وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢٥١) .

(٣) انظر ترجمة الحسن والحسين في سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٥) .

عقب من سواها، وكفى بالحسنين السبطين اللذين كانا قرة
 عين الحبيب المصطفى ﷺ، وأحب الناس إليه وأشبه الناس
 به، والله در محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي الضرير^(١)
 نزيل حلب حيث يقول:

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عِلَامَةً
 إِنَّ الْعِلَامَةَ شَأْنٌ مَنْ لَمْ يُشْهَرِ
 نُورُ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمِ وَجْهِهِمْ
 تَغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطَّرَازِ الْأَخْضَرِ

* وذكر ابن منظور أنه يقال للحسن والحسين أبناء
 الفواطم، فاطمة الزهراء أمهما، وفاطمة بنت أسد جدتهما،
 وفاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدة
 النبي ﷺ لأبيه^(٢).

* أما بنات فاطمة الزهراء فهما زينب وقد ولدت في السنة
 الخامسة من الهجرة، وأم كلثوم وقد ولدت في السنة السابعة
 من الهجرة، وقد سماهما رسول الله ﷺ بهذا الاسم.

* ومن الجدير بالذكر أن زينب بنت علي قد تزوجت
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وأم كلثوم
 تزوجت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وولدت له زيدا
 ورقية.

(١) انظر ترجمته في كتاب نكت الهميان لصالح الصفدي ص (٢٤٤).

(٢) انظر لسان العرب مادة - فطم - .

قالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟

قال: بأُمِّ كلثوم بنتِ علي، وحدثهم بأنه سمع من رسول الله ﷺ قال: «كل سبٍ ونسبٍ وصهرٍ يقطع يوم القيامة إلا سبِّي ونسبي وصهري»، وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والنسب، فأردت أن أجمع إليه الصهر. فبارك له الصحابة الكرام وهنوه على هذه المكرمة الخيرة.

* ومن الخير أن تُقال كلمة الخير في كل خير، والخير هنا أن نشير إلى أن ابن عابدين - رحمه الله - قد أُلِّفَ رسالة تُسمى «العلمُ الظاهرُ في نفعِ النسبِ الطاهر»^(١) ذكر فيها النسب النبوي الشريف والشفاعة النبوية يوم القيامة.

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال:

آل النبي ذريعتي
وهم إليهم وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً
بيدي اليمين صحتي

(١) انظر رسائل ابن عابدين (٢/١) وما بعدها.

وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً:

* كان الإمام أحمد - رحمه الله - إذا سُئِلَ عن عليٍّ وأهل بيته قال: أهل بيت لا يُقاسُ بهم أحدٌ.

* والآن تعالوا نَقِفْ مع القرآن الكريم وقِفْةً مباركةً نرى أهل البيت الذي باركهُ الله وأذهب عنه الإثم والشرك والشيطان والمعاصي والشك والأقدار^(١). ومن بركات هذا البيت الطاهر السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ.

* روى سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يمرُّ بباب فاطمة - رضي الله عنها - ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلاة يا أهل البيت الصلاة» وإنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً^(٢).

* وتروي أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ جلَّلَ عليَّ الحسَنَ والحُسَيْنَ وعليَّ وفاطمةَ كساءً ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : وأنا معهم يا رسول الله؟

(١) النظر تفسير الحاوردي (٣/٣٢٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير للآية (٣٣) من سورة الأحزاب، وانظر الدر المنثور (٦/٦٠٥)، وأسد الغاية ترجمة رقم (٧١٧٥).

﴿ والله در الشافعي حيث قال :

يا أهل بيت رسول الله حيّكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

* وفي البيت النبوي الطاهر يقول النبي الكريم ﷺ : « لا
يغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار »^(١).

* وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه -
قال : نظر النبي ﷺ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين
فقال : « أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم »^(٢).

* ومن الأخبار الشافية في هذا المجال ما رواه سيدنا سعد
ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : لما نزلت آية
المباهلة^(٣) دعا النبي ﷺ علياً وحسناً والحسين وفاطمة وقال :
« اللهم هؤلاء أهلي ».

* * *

(١) رواه الترمذي في المنقب، وانظر الدر المشور (٦/٦٠٤).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٢٣).

(٣) المصدر السابق (٢/١٢٢).

(٤) المباهلة: الملاعبة، وقد نزلت في شأن وفد نصارى نجران
ودعوتهم للمباهلة وذلك سنة (٩) من الهجرة. والآية قوله تعالى : =

مِنْ مَنَابِقِهَا وَفَضَائِلِهَا:

* فضائل سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ كَثِيرَةً، وَقَدْ جَمَعَهَا الإِمَامُ السِّيُوطِيُّ فِي كِتَابِ سَمَاءِ «التُّغُورِ البَاسِمَةِ» فِي مَنَابِقِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ، وَقَبْلَهُ جَمَعَ مَنَابِقِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحِينَ.

* وَمَنْ أَنْصَعَ مَنَابِقِ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - يَرْضَى لِرِضَاكِ وَيَغْضَبُ لِعُضْبِكَ» (١).

* وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البرِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُنْقِبَةً عَظِيمَةً لِفَاطِمَةَ تُشِيرُ إِلَى فَضْلِهَا وَبِرْكَتِهَا فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ سَفَرٍ، بَدَأَ المُسْجِدَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَأْتِي فَاطِمَةَ، ثُمَّ يَأْتِي أَزْوَاجَهُ.

* وَمِنْ الفَضَائِلِ المُبَارَكَةِ الَّتِي حَقَّقَتْ بِهَا فَاطِمَةُ؛ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ أَكْرَمَهَا بِتَكْثِيرِ الطَّعَامِ فِي بَيْتِهَا، وَذَلِكَ بِبِرْكَةِ صَدَقَتِهَا وَكِرْمِهَا وَنِقَاءِ نَفْسِهَا، فَقَدْ ذَكَرَتْ المِصَادِرُ أَنَّ جَارَةً لَهَا بَعَثَتْ

= ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعِ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِنَعْتِ اللَّهِ عَلَى الكَادِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، وَانظُرِ الدَّرَجَةَ المُشَوَّرَ (٢/٢٣١)، وَالشِّفَاءَ لِلقَاضِي عِيَاضِ (٢/٦٠٦)، وَأَسْبَابَ النُّزُولِ لِلوَاحِدِيِّ ص (٨٩).

(١) انظُرِ تَهذِيبَ التَهذِيبِ (١٢/٤٤٢)، وَالإِصَابَةَ (٤/٣٦٦).

وارسلت إليها إلى رسول الله ﷺ لتطعمه فجاء واحصرت
الجفنة، ولتركت الزهراء نفسها تروي بقية الحديث فتقول:

فكشفتُ عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحمًا، فلما
نظرتُ إليها بهتُ، وعرفتُ أنها بركةٌ من الله، فحمدتُ الله
وصليتُ على نبيه، وقدمته إلى رسول الله ﷺ.

فلما رآه حمد الله، وقال: «من أين لك هذا يا بنية؟»
فقلتُ: يا أبتِ هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب.

فحمد الله، وقال: «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة
بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً
- وسئلت عنه - قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب».

وأكل النبي الكريم ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين،
وجميع أزواج الرسول ﷺ حتى شبعوا جميعاً، وبقيت الجفنة
كما هي، ثم وزعت فاطمة منها على الجيران، وجعل الله
فيها بركةً وخيراً كثيراً^(١).

* ومن الشفا ما رواه القاضي عياض في الشفا أن النبي

(١) عن البداية والنهاية (١١١/٦)، وحياة الصحابة (٦٢٨/٣)
بتصرف.

ﷺ دعا الله سبحانه ألا يجيع فاطمة، قالت فاطمة: فما جعت أبداً^(١).

* ولفاطمة الزهراء فضيلة باهرة لا يشاركها فيها أحد، فعن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ عاد فاطمة - رضي الله عنها - وهي مريضة فقال:

«كيف تجدينك يا بنية؟»

قالت: إني لوجعة، وإنه ليزيدني أنني مالي طعام آكله.

قال: «يا بنية أما ترضين أنك سيّدة نساء العالمين؟»

قالت: يا أبت فأين مريم بنت عمران؟

قال: «تلك سيّدة نساء عالمها، وأنت سيّدة نساء عالمك،

أما والله لقد زوجتك سيّداً في الدنيا والآخرة»^(٢).

* * *

الزّهراء وفراق الحبيب ﷺ:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة فقال لها: إنه قد نُعيت إليه نفسه، فبكت، فقال: «لا تبكين فإنك أول أهلي لاحقاً بي» فضحكت^(٣).

(١) الشفا (١/٤٥٩)، وانظر مجمع الزوائد (٩/٢٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٢٦).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٢).

- رضي الله عنها - : واكرب أباه، فقال: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم».

* وتوفي رسول الله ﷺ، ولحق بالرفيق الأعلى، فحزنت عليه فاطمة، وبكته، وقالت: يا أبتاه إلى جبريل تنعاه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه.

* وعندما دُفن ﷺ بالمكان الذي قبض فيه؛ قالت لأنس ابن مالك: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ؟!.

* وذكر ابن سيد الناس - رحمه الله - أنه لما دُفن رسول الله ﷺ قالت فاطمة - رضي الله عنها - :

اعبرُ آفاقَ السَّماءِ وكُورَتِ
شَمْسِ النَّهارِ وأظلمِ العَصْرانِ
الأرضِ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ
أسفاً عليه كثيرة الرجفان^(١)

* ومما يُنسبُ إلى فاطمة - رضي الله عنها - في رثاء رسول الله ﷺ قولها:

ماذا على مَنْ شَمُّ تربةِ أَحْمَدَ
ألا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ عَوالِيا

(١) انظر كتاب منح المدح لابن سيد الناس ص (٣٥٨).

صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا
صَبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدُنَ لَيْالِيَا (١)

* وذكر أنها - رضي الله عنها - قالت على قبره أيضاً:

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضُ وَإِلَهَا
وَعَابَ مَذْغِبَتْ عَنَّا السُّوحَى وَالْكَتَبُ

فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادِفَنَا
لَمَا نُعِمْتَ وَحَالَتْ دُونَكَ الْكُتُبُ

* وأورد ابن الأثير - رحمه الله - في كتابه «أسد الغابة» أن

فاطمة - رضي الله عنها - ما رويت ضاحكة بعد وفاة رسول
الله ﷺ حتى لحقت بالله عز وجل، ووجدت - حزنت - عليه
وجداً عظيماً - رضي الله عنها وأرضاها - .

* * *

الزَّهْرَاءُ وَالصَّدِيقُ - رضي الله عنهما - :

* لما توفي رسول الله ﷺ تعلقَتْ آمَالُ الزَّهْرَاءِ بِمِيرَاتِ

أبيها، فجاءت تطلبه من سيدتنا أبي بكر الصديق - رضي الله
عنه وأرضاها - ، فحدثها أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا نُورُثُ
مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً»، فلم تعد تكلمه في الميراث، وشغلت
- رضي الله عنها - عن كل شيء لفقدها أكرم الخلق

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٤)، وأعلام النساء (٤/١١٣).

الماصون مثل محمد ﷺ، ولا مثله حتى القيامه يعقد، كما
 شُغِلَتْ - رضي الله عنها - بالمرض الذي لآزمها، وجعلت
 تستعدُّ إلى اللقاء القريب مع الله سبحانه، إذ كانت تعلم
 يقرب لحوقها بأبيها ﷺ، واشتدَّت عليها وطأة المرض،
 وعادها سيِّدنا أبو بكر - رضي الله عنه - .

ذكر الإمام الشعبي هذا فقال:

لما مرضت فاطمة - رضي الله عنها - أتى أبو بكر
 فاستأذن .

فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك .

فقالت: أتحب أن آذن له؟

قال: نعم .

قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال:

والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء

مرضاة الله ورسوله، ومرضايتكم أهل البيت .

قال: ثم ترضاها حتى رضيت^(١) .

* ويعلوُّ الذهبي - رحمه الله - على هذا الخبر تعليقا

مباركا يرفع من مكانة الزهراء عالياً في سماء العلم والأدب

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٢١) . ومما يشير إلى رضاه فاطمة عن

الصديق - رضي الله عنهما - أنها أوصت زوجة الصديق أن تغسلها

إذا ماتت .

فيقول: عَمِلْتَ السُّنَةَ - رضي الله عنها - ، فلم تأذَنْ في بيت زوجها إلا بأمره (١) .

* أوليست الزَّهْرَاءُ البَضْعَةُ النَّبَوِيَّةُ البَتُولُ، الشَّبِيهَةُ بِأَبِيهَا الرسول؟ الفَصِيحَةُ العَاقِلَةُ الَّتِي تَأْدِبُ بِأَدَبِ أَبِيهَا ﷺ؟

* * *

رَحْلَةُ الخُلُودِ:

* حَدَّثَتْ أَمَّنَا عَائِشَةُ - رضي الله عنها - قالت:

كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ، لَمْ يَغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تَخْطِيءُ مَسْتَبِيهَا مَشِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحِبَ بِهَا قَالَ: «مَرْحَبًا بِأَبْتِي» ثُمَّ أَقْعَدَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكْتُ، فَلَمَّا قَامَ قُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ بِالسَّرِّ وَأَنْتِ تَبْكِينَ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ حَقِّي لَمَّا أَخْبَرْتَنِي سَمَّ ضَحِكْتِ وَمِمَّ بَكَيْتِ؟ .

قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
فَلَمَّا تَوَفَّى قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ حَقِّي لَمَّا أَخْبَرْتَنِي .

قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى حَدَّثْتَنِي «أَنَّ

(١) النظر سير أعلام النبلاء (٢/١٢١) .

في هذه السنة مرتين وأنني لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب
أجلي فاتقني الله واصبري فنعم السلف لك أنا» فبكيت، فلما
رأى جزعي قال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين
أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالت: فضحكت^(١).

* وكانت فاطمة - رضي الله عنها - قد ثقل عليها المرض
بعد وفاة أبيها عليه السلام، ونحل جسمها من شدة الحزن، وشعرت
بدنو الأجل، وشككت إلى أسماء بنت عميس - زوج أبي بكر -
رضي الله عنها - ما يدور في نفسها قالت:

يا أسماء إنني أستقيح ما يَضَعُ بالنساء يطرح على المرأة
الثوب فيصنها.

فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا أريك شيئاً رأيته
بالحيثنة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً،
فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله.

* وتوفيت الزهراء - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لثلاث
خَلَوْنَ من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة.
وذكر عروة بن الزبير أن فاطمة توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة
أشهر وهي ابنة تسع وعشرين سنة، وتحققت نبوءة رسول

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٠)، واسباب الأشراف (١/٥٥٢)،
والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

الله ﷺ فكانت أول أهله لحوقاً به، وغسلها زوجها وأسماء بنت عميس، وأشارت على زوجها أن يدفنها ليلاً، وصلى عليها العباس، وقيل إن علياً صلى عليها وقيل أبو بكر، ونزل في حفرتها عليٌّ والعباسُ والفضلُ بن العباس - رضي الله عنهم جميعاً - (١).

* ولعلي بن أبي طالب بعد موت زوجته فاطمة - رضي الله عنها - :

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

(١) عن الاستيعاب (٤/٣٦٧ و ٣٦٨)، وأنساب الأشراف (١/٤٠٢ و ٤٠٥).

لجري من تحتها الأنهار خالد بن فيها بدأ رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك النور العظيم ﴿ [المائدة: ١١٩] .

* ولفاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مكانة متميزة بين نساء
الإسلام، وخصوصاً في مجال العبادة، وقد سُميت بتولاً
لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً ودينًا وحسبًا.

وكانت - رضي الله عنها - بعيدة عن زخارف الدنيا وآفاتهما،
مقبلة على الله سبحانه إقبالاً شديداً رفعها إلى طبقات
الأصفياء، وجعلها سيّدة النساء في زمانها.

* والزهراء إحدى بنات النبي ﷺ اللاتي ستقر بهن عينه
- إن شاء الله - في الجنة، فقد كانت - رضوان الله عليها -
تريد الآخرة وتسعى لها سعيها، فنالت بذلك الرضوان،
وأحاديثُ بشارتها بالجنة كثيرة مروية في الصحاح، من ذلك
ما روي عن سيّدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

قال: حَطَّ رسولُ الله ﷺ في الأرض أربعةَ خطوطٍ.

قال: «هل تدرون ما هذا»؟.

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: «أفضلُ نساءِ أهل الجنة خديجة بنت خويلد،

وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران»^(١).

* وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ لفاطمة: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين»^(٢)؟

* ومن الأحاديث التي بُشِّرَتْ بها فاطمة - رضوان الله عليها - ما رواه سيدنا حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «نزل ملك فبشّرني أن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة»^(٣).

* وبعد، ففي حياة الزهراء الكثير الكثير، وأذكرك - عزيزي القارئ - أنها كانت إحدى راويات الحديث النبوي الشريف، قال ابن الجوزي - رحمه الله - : ولا نعلم أحداً من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة - رضي الله عنها - .

* روت عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً، وروايتها في الكتب الستة، وقد أخرج لها منها في الصحيحين حديث

(١) الحديث رواه الإمام أحمد (٢٩٣/١)، والحاكم (١٦٠/٣) -

(٢) رواه الإمام البخاري في علامات النبوة، ومسلم في الفضائل

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٣/٢) -

* رضي الله عن فاطمة ابنة سيدتنا رسول الله ﷺ مثال
الابنة البارة.

* ورضي الله عنها أمّاً مباركة، ويكفيها من البركة أن
الذرية التوبة انحصرت فيها.

* ورضي الله عنها زوجاً صابرة، وعابدة قانتة، وحامدة
شاكرة.

* ومع وداع سيرتها المعطار تمتع الأسماع، ونطمئن
القلوب بذكر الله، ونقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:
٥٤ و٥٥].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَسْمَا مَدِينَتِكَ بِالْحَبْتِ

1411 هـ

الْفُرَيْعَةُ بِنْتُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

• لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدًا، الَّذِينَ
يَأْتُوا تَحْتَهَا

حديث شريف

• قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْفُرَيْعَةِ:
«أَمْكُنِّي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»

حديث شريف

تجد عذبا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

الْقُرَيْعَةُ بِنْتُ مَالِكٍ

رضي الله عنها

في رحاب المُفْلِحِينَ :

* صحابيةٌ هذه الصَّفحات سَمُنَ كُتِبَتْ لها السَّعادة في الدَّارين ، حظيت بشرف الصُّحبة النَّبوية ، وصدقت ما عاهدت الله عليه .

* تتسبُّ هذه الصَّحابةُ إلى قومٍ يحبون مَنْ هاجر إليهم ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةً ، إنهم أهل المدينة المنورة الذين تَوَجَّههم الله بِلَقَبٍ حبيبٍ إلى قلوبهم - الأنصار - حين أن نبؤوا الإيمان ، فنالوا الفلاح بإيثارهم المهاجرين على أنفسهم ، وأنزلوهم في منازلهم منزلاً يرشحُ بالكرم ويفيضُ بالإعظام ، حتى ضربوا بذلك أنصع الأمثلة العملية في تاريخ الكرم والإيثار ، وعرف المهاجرون لهم هذا الفضل ، وقَدَّروا لهم صنيعهم الطَّيب ، فعن سيدنا أنس ابن مالك - رضي الله عنه - قال :

قال المهاجرون :

في قليل ولا أحسن بدلاً من كثير، كفونا المؤونة، واشركونا
في المهنة؛ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.

فقال رسول الله ﷺ: «كلّما ما أنتم عليهم ودعوتهم الله عزّ
وجلّ لهم»^(١).

* إذن فالله سبحانه هو الذي يتولى جزاء الأنصار معدن
الخير والكرم، كما أن الله سبحانه يُعظّم الأجر للمهاجرين ما
داموا يشنون على الأنصار ويدعون لهم.

* والآن، لندخل هذه الأجواء العيقة، ونقف عند إحدى
الدور المباركة من دور الأنصار نتعرف صيغة هذه الصفحات.

* * *

النسب الطيب:

* في دار بني الحارث بن الخزرج نلتقي صحابة اليوم،
إنها الفريضة بنت مالك بن سنان الأنصارية المخدرية، إحدى
النساء القاضيات الكريمات اللواتي سعين للخير وعمِلن
للجنة.

* عاشت الفريضة في أسرة من أشهر الأسر التي قدّمت كل
خير في جميع المجالات، وأثرت التاريخ بمواقفها الفياضة

(١) انظر الفتح الرباني (١٠/٢١).

بالبركات، وذلك من أول يوم لامس نور الإيمان شغاف
قلوبها.

* فأبوها سيدنا مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري
الخزرجي الخُدري، الصحابي الجليل الذي نال البشارة
بالجنة، وقال عنه النبي الحبيب ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى
رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» وأشار إلى مالك بن
سنان^(١).

* وأخوها الشقيق، الإمام المجاهد، مفتي المدينة سعد
ابن مالك بن سنان أبو سعيد الخُدري - رضي الله عنه - ،
أحد أبطال غزوة الخندق، وأحد الأعلام في بيعة الرضوان.
حدّث عن النبي الكريم ﷺ فأكثر وأطاب، وكان أحد
الفُتُهاء المجتهدين، وأحد الرواة السبعة المكثرين الذين
تجاوزت مروياتهم أكثر من ألف حديث، روى عن النبي ﷺ
(١١٧٠) حديثاً.

قال عنه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير في أسد
الغاية: كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء
العقلاء.

(١) اقرأ سيرة الصحابي الجليل سيدنا مالك بن سنان - رضي الله عنه -
في كتابنا رجال مبشرون بالجنة جزء (٢) ففيه ما يدخل السرور إلى
النفس.

بدر، وأحد الذين أبدعوا يوم أحد، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة المعدودين، وهو الذي وقعت عينه على خده يوم أحد، فأتى بها النبي ﷺ، فغمزها رسول الله بيده الشريفة فردّها فكانت أصح عينيه وأحدهما نظراً.

* وأختها لأمها، أم سهل بنت النعمان الأنصارية الظفريّة، أسلمت أم سهل، وبايعت رسول الله ﷺ.

* بين هذه الفئة الخيرة النيرة، نشأت الفريرة بنت مالك - رضي الله عنها - ، تنهل المكارم والفضائل، لتترك لمسات مباركة في تاريخ نساء الإسلام.

* * *

الذكري العطرة:

* كان سيدنا مالك بن سنان - رضي الله عنه - يحدث أسرته عن النبي الكريم ﷺ قبل مقدمه المدينة المنورة؛ لأنه سمع من اليهود عن ظهوره، وظلت صفات النبي ﷺ مرتسمة في أذهان أسرته وخاصة في ذهن اجتهت الفريرة.

* وعندما أقبل النبي ﷺ مهاجراً، سارع سيدنا مالك بن سنان - رضي الله عنه - إلى لقائه وبصحبته أسرته وفي

مقدمتهم الفريضة، وذلك لاستقبال النبي ﷺ ومبايعته.

* وحظيت هذه الأسرة بمكانة رفيعة عند رسول الله ﷺ،
وضحيته أحسن ضحية، وقدمت كل ما تستطيع في سبيل
مرضاة الله ومرضاة رسوله، فقدمت الشهيد المجاهد، وقدمت
المحدث والعابد، فكتب لها الخلود، وفازت بالنعيم المقيم
عند الله سبحانه وتعالى.

* * *

ابنة الشهيد:

* كان سيدنا مالك بن سنان - رضي الله عنه - ممن لم
يحضر غزوة بدر، لأنه ظن أن لا يكون هناك قتال، ولما
كانت غزاة أحد، أحب أن يحظى بالشرف الأوفى، ويكسب
أجر الجهاد، وكان له رأي في الخروج لملاقاة المشركين،
وتقدم وقال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسينين، إما أن
يظفرنا الله بهم فهذا الذي نريد، فيدلهم الله لنا؛ فتكون هذه
وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد، والأخرى يا
رسول الله، يرزقنا الله الشهادة.

والله يا رسول الله ما أبالي أيهما كان إن كلاً لفيه
الخير^(١).

(١) انظر المعازي للواقدي (١/٢١١).

الأحر سرف الجهاد، لكن أبو سعيد لم يسمح له بدخول
المعركة، وردّه النبي الكريم مع ثلثة من الأولاد لصغر سنّهم،
وعاد أبو سعيد إلى بيته وعينه تفيض من الدّم حزناً لعدم
مشاركته في الجهاد.

* وكانت أخته الصّريفة - رضي الله عنها - ترى كلّ هذا،
وأخذت تمسح دمعاً أخيها، وتغرس في نفسه الأمل بحضور
مشاهد أخرى، ثم راحت ترقب المعركة، وتستقط أخبارها،
وكان والدها واحداً من الأبطال المتألقين الذين ثبتوا حول
النبي الكريم ﷺ ساعة اشتدادها.

وفي هذه المعركة، جرح رسول الله ﷺ، فنظر مالك بن
سنان - رضي الله عنه - إلى وجهه الشريف فرأى الدّم يسيل
منه، فتقدّم وامتنصّ الدّم من وجنته الشريفة وابتلعه، فقال له
ﷺ: «مُجِّه» فقال: والله لا أمجّه أبداً، وخالط دم رسول الله
دم سيدنا مالك، فتحظّر يحظار من النار وفاز بالرضوان، ثم
ظلّ يجاهد ويجالد حتى نال الشهادة وعلى وجهه بسمة
الرضا، فقد كانت آخر لحظاته من الدنيا ملاسمة وجه رسول
الله ﷺ، وذلك ما كان يرغب فيه - رضي الله عنه -.

* * *

«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»:

* نال سيدنا مالك بن سنان الشهادة، ومضى إلى ربه

راضياً مرضياً، وخُلِّفَ أسرته وقد غرسَ فيها مجموعةً من الفضائل؛ وفي مقدمتها محبةُ الله سبحانه ومحبةُ رسوله الكريم ﷺ، فأثرتْ غراسُه أكلها ونالت الأجرَ من الله، فقد وردَ الخبرُ إلى المدينة بعودةِ رسولِ الله ﷺ من أحد، فخرج أبو سعيد الخُدري يتلقى رسولَ الله ﷺ، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ وقال: «سعدُ بن مالك؟».

قال: نعم بأبي وأمي أنت.

قال أبو سعيد: فدنوتُ منه؛ فقبلتُ ركبتيه.

فقال النبيُّ ﷺ: «أجرك الله في أهلك»^(١).

* وكانتِ الفُرعيةُ - رضي الله عنها - تنتظر بفارغِ الصبر عودة رسولِ الله ﷺ من أحدٍ سالماً، بعد أن تناثرتِ الأخبارُ بإصابته عليه الصلاة والسلام، وبسقوطِ عددٍ كبيرٍ من الشهداء، وها هو أبو سعيد يعودُ إلى أخته الفُرعيةِ وإلى أهلِهِ يبشرهم بسلامةِ النبيِّ الكريمِ ﷺ وعودته ثم أخبرهم أن الله سبحانه قد اتخذَ شهداءَ ومتهماً والده، فحمدوا الله على سلامة رسولِ الله ﷺ فكلُّ مصيبةٍ بعده جَلَلٌ^(٢).

* وقد ضربتِ الفُرعيةُ بنتُ مالك - رضي الله عنها - مع أسرتهَا أروعَ الأمثلةِ في الصبرِ، والرِّضا والتَّسليمِ لله، فقد

(١) عن صفة الصَّوْمَةِ (٧١٤/١) بتصريف يسير.

(٢) «جلل»: أي هبّة.

واستغنوا، فأغناهم الله وأكرمهم حتى غدوا من أكثر الأنصار
أموالاً ببركة صبرهم واتباعهم هدي رسول الله ﷺ؛ عندما
قال:

«مَنْ يَسْتَعِينُ بِعَيْنِهِ اللَّهَ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفُ بِعَفْوِ اللَّهِ، وَمَنْ يَتَصَبَّرَ
يَصْبِرْهُ اللَّهُ»^(١).

* * *

«كَيْفَ قُلْتِ؟»

* كانت الفريرة - رضي الله عنها - قد تزوجت من سهل
ابن رافع بن بشير الخزرجي، وعاشت معه مدة، وخرج مرة
في طلب عبيد له فغدروا به وقتلوه قرب المدينة المنورة، ولما
بلغها مقتل زوجها حزنت عليه حزناً شديداً، واحتسبته عند
الله، وأحبت أن ترجع لبيت أهلها لأنه أجمع لها في أمرها،
وتكون بقرب أخيها أبي سعيد، غير أنها وجدت في الأمر
شيئاً، فأحبت أن تسأل رسول الله ﷺ عن هذا، وتروي
الفريرة خير اللقاء المبارك مع النبي ﷺ وحكمه.

* فقد أخرج الإمام مالك - رحمه الله - في الموطأ بسنده

(١) انظر: الإصابة (٢/٣٣).

عن زينب بنت كعب بن عجرة أَنَّ الفريضة بنت مالك بن سنان
أخبرتها:

أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن يرجع إلى أهلها
في بني خُدرة، فإن زوجها خرج في طلب أعبيد له أتقوا،
حتى إذا كانوا بطرف القُدوم - موضع - لحقهم فقتلوه.

قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني
خُدرة، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقه.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

قالت: فانصرفت؛ حتى إذا كنت في الحجرة ناداني
رسول الله ﷺ، أو أمر بي فتوديت له.

فقال: «كيف قلت؟».

فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي.

فقال: «اصكبي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله».

قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً.

قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل فسألني عن ذلك
فأخبرته فأتبعه وقضى به^(١).

(١) الموطأ (٥٩١/٢). وانظر كذلك مستند الإمام أحمد

(٣٧٠/٦ و٤٢١)، وطبقات ابن سعد (٣٦٨/٨)، وأسد الغاية

ترجمة رقم (٧١٩٨)، والإصابة (٣٧٥/٤).

ويروى، ومثلت في بيئها أربعة أشهر وعشراً، ولما نمت عداها،
وبلغ الكتاب أجله خلف عليها سهل بن بشير بن عنبسة أحد
بني ظفر من الأنصار.

وظلت الفريعة تتابع أحداث الإسلام في أطواره المختلفة،
وتشارك في الأمور التي سمح بها الدين، ولما كانت بيعة
الرضوان كانت عن المبايعات - تحت الشجرة - اللائي بايعن
رسول الله ﷺ، وبقيت تقدم ما فيه الخير إلى أن لقيت ربها.

* * *

المُحَدَّثَةُ الوَاعِيَّةُ:

* كانت الفريعة بنت مالك - رضي الله عنها - تحضر
مجالس النبي الكريم ﷺ، وكانت حافظة واعية، روت عن
النبي ﷺ ثمانية أحاديث، وروت عنها زينب بنت كعب بن
عجرة.

وقد روت زينب بنت كعب عن الفريعة حديثها الأنف
الذَّكْر^(١) في سكني المتوفى عنها زوجها.

(١) قال الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه تهذيب الأسماء واللغات
(٣٥٤/٢): إن حديثها المذكور صحيح رواه أبو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه في أسانيد صحيحة. وقال الترمذي: حديث
حسن صحيح.

* وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ،
توفي زوج إحدى النساء، فدعا سيدنا عثمان الفريعة - رضي
الله عنها - لیسألها عن حکم رسول الله ﷺ في المتوفى عنها
زوجها.

وروت الفريعة هذا فقالت:

إن عثمان - رضي الله عنه - سئل عن مثل ذلك، فذكرت
له فأرسل إلي، فدخلت عليه وهو في جماعة من الناس،
فسألني عن شأني وماذا أمرني به رسول الله ﷺ، فأخبرته،
فأرسل إلى المرأة التي توفي عنها زوجها فأمرها أن لا تبرح
بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله^(١).

* وهكذا فقد تلقى سيدنا عثمان - رضي الله عنه - حديث
الفريعة بالقبول وقضى به بمحضر المهاجرين والأنصار؛ وقد
أخذ به العلماء واستعمله أيضاً أكثر فقهاء الأمصار في المدينة
وفي الحجاز والشام والعراق ومصر، وتلقوه بالقبول وقضوا
به.

= - والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق - باب المتوفى عنها
زوجها.

وأخرجه الترمذي في كتاب الطلاق - باب ما جاء ابن تعند
المتوفى عنها زوجها.

وأخرجه النسائي في كتاب الطلاق - باب مقام المتوفى عنها
زوجها في بيتها حتى تحل.

(١) الطبقات (٣٦٧/٨).

المعاد - خيراً مقاده أن محمد بن سيرين - رحمه الله - ذكر أن امرأة توفي عنها زوجها وهي مريضة فنقلها أهلها، ثم سألوا فكلهم يأمرهم أن تزد إلى بيت زوجها. قال ابن سيرين: فرددناها في نمط - فراش ما - . وكان حجة ردها لأهلها حديث الفريعة بنت مالك - رضي الله عنهما - وأرضاهما .

* ومن الجدير بالذكر أن رواية النساء عن رسول الله ﷺ مُجمَع على قبولها، ولولاها لذهبت سنن كثيرة من سنن الإسلام التي لا يُعرف أنه رواها إلا النساء .

* وهكذا ظلت الفريعة بنت مالك - رضي الله عنها - مرجعاً في هذا الباب لكبار الصحابة والتابعين، يسألونها عن حكم رسول الله ﷺ، كما ظل حديثها عمدة المحدثين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبدأً قد أحسن الله له رزقاً﴾ [الطلاق: ١١] .

* الصحابية الجليلة الفريعة بنت مالك الأنصارية من

النساء اللاتي حظين بالبركة في أطوار حياتهن، ولنلن السعادة بالإيمان والصدق، ففرز برضوان الله سبحانه وتعالى، وبالبشارة بالجنة.

* والفريعة - رضي الله عنها - من الفئة المجاهدة من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة بالحديبية في السنة السادسة من الهجرة، عندما صدَّ المشركون المؤمنين من دخول مكة المكرمة، وكلُّ من حضر هذه البيعة يُعدُّ من أهل الجنة - إن شاء الله - لقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم...﴾ [الفتح: ١٨].

* هذا وأجمع المؤرخون وكلُّ من ترجم للفريعة - رضي الله عنها -، أنها حضرت بيعة الرضوان^(١) التي دعا إليها رسول الله ﷺ لما طال احتباس سيدنا عثمان بن عفان بمكة، وتطاييرت الإشاعات بأن قريشاً غدرت به وقتلته، وقد أكرم الله نبيه ﷺ وأصحابه، وأظهر فضلهم في كتابه بأنهم سيوتبهم أجراً عظيماً.

* وقد بشر النبي ﷺ الفريعة ومن حضر البيعة بالجنة، فعن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند

(١) انظر مثلاً: الاستيعاب (٣٧٥/٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥٤/٢)، والاستبصار ص (١٢٨)، وتهذيب التهذيب (٤٤٥/١٢)، وأسد الغابة ترجمة رثم (٧١٩٨).

الدين بايعوا تحتها».

قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها.

فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ

اتَّقُوا وَنُنَزِّلُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جثياً﴾^(٢)» [مريم: ٧٢].

* وبعد فهذه سيرة صحابية كريمة ابنة صحابي كريم

وأخت صحابين كريمين وبنّت صحابية كريمة، رضي الله

عن الثريعة وعن أهلها، ومع وداع سيرتها الطيبة نقرأ قول الله

تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ

مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد (٤٢٠/٦)، والإمام مسلم في الفضائل

(١٦/٥٧ و ٥٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيِّدُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

١٤١١ هـ

أم المنذر
سلمى بنت قيس الأنصارية
رضي الله عنها

«لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة»

قرآن كريم

«ولا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»

حديث شريف

تجددتم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في موقع المفكرة الدعوية

www.dawahmemo.com

أُمُّ الْمُنْدَرِ بِنْتُ قَيْسٍ رضي الله عنها

نِعْمَ الْأَخْوَالُ :

* كان هاشم بن عبد مناف رجلاً تاجراً كثير المال، يُكثر من الأسفار ما بين مكة والشام، وفي إحدى سفراته نزل بالمدينة، فرأى سلمى بنت عمرو بن زيد أحد بني عدي بن النجار من الخزرج، فأعجب بها، وكان سلمى هذه ذات شرفٍ واعتزازٍ بنفسها في قومها، فتزوجها هاشم؛ فولدت له عبد المطلب فسمته شيبة، فتركه هاشم عندها حتى أضحت غلاماً دون المراهقة، فذهب إليه عمه المطلب فجاء به إلى مكة بعد أن توفي أبوه هاشم في «غزة» من أرض الشام، وصار أمر بني هاشم إلى عبد المطلب.

* وفي أخبار عبد المطلب ما يشير إلى ذكره أخواله بني النجار في أشعاره، من ذلك قوله يستنجد بهم لرد أركاح - أرض - سلبت منه :

يا طول ليلي وأحزائي وأشغالي

فاسْتَنْفِرُوا وَأَمْنَعُوا ضَيْمَ ابْنِ أَخْتِكُمْ
لَا تَحْدَلُوهُ فَمَا أَنْتُمْ بِخَذَالٍ
وبالمعل أقبل بنو النجار، واستجابوا لعبد المطلب، ورَدَّتْ
له أرضه، وفي ذلك يقول عبد المطلب من قصيدة يذكرهم:

بِهِمْ رَدُّ الْإِلَهِ عَلَيَّ رُحِي
فَكَانُوا فِي التَّنْسُبِ دُونَ قَوْمِي (١)

* ومن الأخبار الطيبة التي تجعلُ بني النجار في مكانةٍ
كبيرة، ما أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك؛ أن النبي
الكريم ﷺ دخل على رجلٍ من بني النجار يعودُه، فقال
رسولُ الله ﷺ: «يا خالِ قُلْ لا إلهَ إلا اللهُ».

فقال: خالِ أنا أو عمِّ؟

فقال النبي ﷺ: «لا، بل خال».

فقال: «قُلْ: لا إلهَ إلا اللهُ».

قال: هو خير لي؟

قال: «نعم» (٢).

(١) انظر في هذا كتاب «المنتقى في أخبار قريش» لابن حبيب البغدادي
ص (٨٤ و ٨٥).

(٢) انظر: مجمع الزوائد (٣٠٥/٥).

* ولذلك كان النبي الكريم ﷺ يقول عن بني النجار الخزرجين إنهم أخواله؛ لأن سلمى بنت عمرو أم جدّه عبد المطلب كانت منهم، وهذا من لطفه وبره وصلة رحمته وكرمه
ﷺ.

* * *

الخَالَةُ الْكَرِيمَةُ:

* من الأخوال الكرام، تأتي صحابة اليوم لتتحققنا بأحداث طيبة، ومواقف مباركة، وأعمال وضيئة في المجالات الخيرة؟.

* الإمام ابن الأثير - رحمه الله - يقدّم لنا بطاقة تعريف لها فيقول: سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد... بن عدي ابن النجار، تكنى أم المنذر، وهي إحدى خالات النبي ﷺ من جهة أبيه^(١).

* كانت أم المنذر من أولى المؤمنات اللاتي دخل الإيمان في قلوبهن؛ من أول يوم صافح أسماعهن - عن طريق دعوة مصعب بن عمير إلى الإسلام في المدينة - فأعلنت إسلامها لتحوز السبق في مضممار السابقات، فقد كانت من المبايعات، وصلت للقبائين، وحظيت بالصحبة النبوية

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧٠٠٥).

إحدى حالات النبي ﷺ، صلت معه القبليين .

* وقال ابن عبد البر: وهي أخت سليط بن قيس...
وسليط هذا واحد من فرسان مدرسة النبوة، شهد بدرًا وأحدًا
والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد أبطال
معركة الجسر الشهيرة مع أبي عبيد، حيث قُتل يوم الجسر
شهيدياً سنة أربع عشرة من الهجرة، وله أخبارٌ مباركة تدلُّ
على كرمه ومكانته وشجاعته - رضي الله عنه - (٢).

* ولأمّ المنذر أيضاً أختان أخريان هما: أمّ سليم بنت
قيس وعميرة بنت قيس، وقد أسلمتا وبايعتا رسول
الله ﷺ (٣).

* فأمّ المنذر إذن من غصنٍ دوحيةٍ زاهيةٍ زاكيةٍ، أصلها
ثابتٌ في منابت الإسلام وفروعها متطاولةٌ في السماء.

* * *

المُصَلِّيةُ المَبِيعَةُ:

* عندما ذكر أبو نعيم الأصبهاني الصحابيَّةَ الكريمةَ أمّ

(١) تهذيب التهذيب (١٢/٤٨٠):

(٢) انظر ترجمة الصحابي سليط بن قيس في الطبقات (٣/٥١٢)،
والإصابة (٢/٧٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٤٢٢ و٤٢٣).

المنذر وصفها بقوله: الْمُضَلِّيَّةُ لِلْقَبْلَتَيْنِ، المحافظةُ على البيعتين مسلمي بنت قيس النجارية.

* وليعة أم المنذر - رضي الله عنها - قصة شائقة طريفة، ولكن قبل أن نتعرف قصة بيعة أم المنذر، دعونا نطلع على المحور العام لبيعة النساء من خلال أركانها الست، فقد بايعت النساء النبي الكريم ﷺ:

- على أن لا يشركن بالله شيئاً،

- ولا يسرقن،

- ولا يزنين،

- ولا يقتلن أولادهن،

- ولا يأتين بهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهن،

- ولا يعصين في معروف.

* وقد ضمن النبي عليه الصلاة والسلام لهن الجنة إن حافظن ووفين بشروط هذه البيعة، وفي القرآن الكريم ذكر الله خير هذه البيعة بقوله تعالى: ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرُكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

* ولتترك أم المنذر تروي لنا قصة بيعتها المباركة فتقول:

شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نرتبي، ولا
تقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا
نعصيه في معروف قال: «ولا تغششون أزواجكن» قالت:
فبايعناه ثم انصرفنا. فقلتُ لامرأةٍ منهن: ارجعي فسلي رسولَ
الله ﷺ ما عشتُ أزواجنا؟ قالت: فسألتُه فقال: «تأخذُ ماله
فتحايي به غيره»^(١).

* وذكر ابنُ سعد في الطبقات أن زوجَ أم المنذر هو قيس
ابن صعصعة بن وهب النجاري، فولدت له المنذر بن قيس.
* تلك هي بيعة أم المنذر - رضوان الله عليها - ، وقد
وَقَّتْ بِشروطها لتحتطى برضوان الله سبحانه وتعالى -

* * *

مشاركتها في الجهاد:

* لهذه الصحابية الجليلة مكانة عظيمة عند رسول
الله ﷺ، دلَّ عليها إكرامُهُ إياها في ساحات الجهاد حيث قُبِلَ
شفاعتها في رجلٍ لاذَّ بها^(٢)، كان هذا في غزوة بني قريظة

(١) انظر الحلية (٢/٧٧)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٥٠٠٧)، والإصابة
(٤/٣٢٥)، والاستبصار ص (٤٤)، والحديث رواه الإمام أحمد
في مسنده (٦/٣٨٠ و٤٢٣).

(٢) انظر في هذا الدرر ص (٢٠٦ و٢٠٧)، والبداية والنهاية
(٤/١٢٦).

عقب غزوة الأحزاب، إذ حظيت أم المنذر بمكرمة خاصة من رسول الله ﷺ.

* ففي غزوة الأحزاب دارت الدائرة على المشركين من قريش وغطفان الذين جاؤوا ليقضوا - بزعمهم - على المسلمين، ولكن الله رد كيدهم إلى نحورهم، ولم تدبر الدائرة على المشركين وحدهم، بل دارت أيضاً على يهود بني قريظة الذين غدروا وفجروا وتجسوا، وأعانوا العدو، وخانوا العهد، وكانوا إلباً على المسلمين مع المشركين المتحلقين حول الخندق خارج المدينة، وكان المسلمون إذ ذاك في وضع حرج، وقد صورهم القرآن الكريم، ووصف حالتهم، فقال: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً [الأحزاب: ١٠ و ١١].

* ولما أنزل الله نصره، وهزم الأحزاب، وردّ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، رجع النبي الكريم ﷺ إلى المدينة منصوراً، فنزل جبريل عليه السلام قائلاً للنبي الكريم ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْهَضَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ».

وسارع الرسول الكريم والمسلمون لتلبية أمر الله

المنذر إلى هذه العزوة! لتؤدي دورها في خدمة المرضى
وعلاج الجرحى وسقائهم.

وحاصرهم الرسول ﷺ خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على
حكم الصحابي الجليل سيد الأوس سعد بن معاذ الأشهلي
- رضوان الله عليه - ؛ لأن بني قريظة كانوا حلفاء الأوس في
الجاهلية، فحكم عليهم سعدٌ بحكم الله تعالى من فوق
سبعة أربعة - ساعات - بأن تقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم
وأموالهم.

ونفذ ما حكم به سعد بن معاذ - رضي الله عنه - ، وفي
هذه الساعات الحرجة تبرز أم المنذر - رضي الله عنها -
لتشفع في رجل سألها أن تشفع له عند النبي الكريم ﷺ .

* * *

«نعم هو لك»:

* عندما كان المسلمون يتفدون ما حكم به سيدنا سعد بن
معاذ في بني قريظة، وفي تلك اللحظات كانت أم المنذر
- رضي الله عنها - قرب النبي ﷺ، ترى نهاية بني قريظة،
وكان رفاعة بن سموأل القرظي له انقطاع إليها وإلى أخيها
سليط بن قيس وأهل الدار، وكان رفاعة حين حبس أرسل
إلى أم المنذر - رضي الله عنها - أن كلمي محمداً ﷺ في

تُرَكِّي، فَإِنَّ لِي بِكُمْ حَرَمَةٌ وَأَنْتِ إِحْدَى أُمَّهَاتِي، فَتَكُونُ لَكُمْ عِنْدِي يَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ورَأَى النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ عَلَائِمَ الْحَيْرَةِ مَرْتَسِمَةً عَلَى وَجْهِ أُمِّ الْمُنْذِرِ فَسَأَلَهَا وَقَالَ: «مَالِكُ يَا أُمَّ الْمُنْذِرِ؟»!

قَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ رِفَاعَةُ بِنْتُ سَمُوعَانَ كَانَ يَغْشَانَا - يَزُورُنَا - وَلَهُ بِنَا حَرَمَةٌ فَهَبَهُ لِي.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَأَى رِفَاعَةَ يَلُودُ بِهَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نَعَمْ هُوَ لَكَ».

ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهُ سَيَصِلُنِي وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ.

فَتَبَسَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ يُضَلَّ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ يَثْبُتَ عَلَى دِينِهِ فَهُوَ شَرٌّ لَكَ». ثُمَّ أَطْلَقَهُ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ.

قَالَتْ أُمُّ الْمُنْذِرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : فَأَسْلَمَ رِفَاعَةَ^(١).

وهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَرِفَاعَةُ هُوَ حَالِ صَفِيَّةَ بِنْتُ حِصِّي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ^(٢).

* وَلَمَّا أَسْلَمَ رِفَاعَةَ كَانَ يُقَالُ لَهُ مَوْلَى أُمِّ الْمُنْذِرِ، فَشَقَّ

(١) انظر ترجمة رفاعَةَ في الاستيعاب (١/٤٩٢)، والإصابة (١/٥٠٤).

(٢) أسد الغابة ترجمة رقم (١٦٩٠).

كَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَوَهَبَ لِي، فَحَقَّقْتُ ذَمَّكَ وَأَنْتَ عَلَيَّ
نَسَبِكَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَزُورُهَا وَعَادَ إِلَى الدَّارِ (١).

* وَمَنْ الْمَقِيدُ وَالْمَمْتَعُ ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، أَنَّ سَيِّدَنَا
ثَابِتَ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسِ الْأَنْصَارِيِّ - خَطِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
أَرَادَ أَنْ يَجْزِيَ الرَّبِيرَ بْنَ بَاطَا - مِنْ رِجَالِ بَنِي قَرَيْظَةَ - عَلَيَّ
مَعْرُوفٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاسْتَوْهَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَوَهَبَهُ لَهُ، وَوَهَبَ لَهُ مَعَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ أَيْضًا، وَلَكِنَّ الرَّبِيرَ بْنَ
بَاطَا هَذَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى بْنِ
عَتَّاقِ (٢).

* * *

مَنْقَبَةُ لَأْمِ الْمُنْذِرِ:

* مِنْ الْكِرَامَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي حَظَّتْ بِهَا أُمُّ الْمُنْذِرِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي غَزْوَةِ بَنِي قَرَيْظَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ
قَدِ اعْتَرَسَ فِي بَيْتِهَا، وَلِنَدْعِ عَرُوسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ

(١) عَنْ الْمَغَازِيِّ (٢/٥١٤ وَ ٥١٥)، وَالسِّيَرَةِ الْحَلِيَّةِ (٢/٦٧١)،
وَعِبُونَ الْأَثَرِ (٢/١٠٣)، وَالسِّيَرَةَ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/٢٤٤) بِتَصْرِفِ
يَسِيرٍ.

(٢) اقْرَأْ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِتَوْسِعٍ فِي سِيَرَةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ =

ريحانة بنت زيد بن عمرو تروي لنا وقائع ذلك الحديث السعيد،
تقول ريحانة:

لَمَّا سُبِّتَ بِنُو قَرِيظَةَ عُرِضَ السَّبِيُّ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَكُنْتُ فِي مَنِّ عُرِضَ عَلَيَّ، فَأَمَرَ بِي فَعَزَلْتُ، فَلَمَّا عَزَلْتُ خَارَ
اللَّهُ لِي؛ فَأَرْسَلَ بِي إِلَى مَنْزِلِ أُمِّ الْمُنْدَرِ بِنْتِ قَيْسِ أَيَّامًا، ثُمَّ
دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَحِيَّتِي - اخْتَبَاتُ مِنْهُ حَيَاءً -
فَدَعَانِي فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «إِنْ اخْتَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
اخْتَارَكَ رَسُولُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ».

فقلت: إني أختار الله ورسوله.

فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ، وأصدقني اثنتي عشرة
أوقية ونشأ؛ كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم
المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب علي
الحجاب^(١).

* وقد ذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُعْجَبًا بِهَا، وَكَانَتْ لَا
تَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهَا، وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى قَاتَتْ عِنْدَ مَرْجَعِهِ مِنْ

= من كتابنا رجال مشرون بالجنة، الجزء الأول، طبعة دار ابن كثير.
(١) عن طبقات ابن سعد (١٢٩/٨ و ١٣٠) يتصرف يسير، وانظر
كذلك المغازي (٥٢١/٢)، والإصابة (٣٠٢/٤)، وعيون الأثر
(٣٨٤/٢)، والسيرة الحلبية (٤١٣/٣ و ٤١٤) في قصص مشابهة.
النشء: وزن مقداره عشرون درهماً.

سنة ست من الهجرة، وتذكر بعض الروايات أنها كانت في ملك رسول الله ﷺ يطؤها حتى مات عنده^(١).

* * *

طعامها شفاء:

* هذه الصحابة الجليلة كانت تحظى بتفحات خاصة من النبي الكريم ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يخصها بالزيارة ويأكل عندها، ويشير إلى أن طعامها ذو بركة وذو نفع، فقد أخرج أبو داود - رحمه الله - في سننه بسنده عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت:

دخل علي رسول الله ﷺ، ومعه علي عليه السلام، وعلي ناقه^(٢) ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علي ليأكل، فطمق رسول الله ﷺ يقول لعلي: «مه إنك ناقه» حتى كف علي عليه السلام. قالت: وصنعت شعيراً وسلقاً^(٣)، فجئت به فقال رسول الله ﷺ:

(١) انظر في هذا السيرة لابن هشام (٢/٢٤٥)، وطبقات ابن سعد (١٣١/٨) والسيرة الحلبية (٣/٤١٤)، وانظر كذلك البداية والنهاية (٥/٣٠٨ و ٣٠٩).

(٢) متشائل إلى الشفاء، وعلي هو ابن أبي طالب - رضي الله عنه -.

(٣) نبات يؤكل.

«با علي أصب من هذا فهو أنفع لك»^(١).

* ومن الجدير بالذكر أن امرأة من الأنصار كانت تطعم الصحابة في يوم الجمعة سلقاً وشعيراً، فقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال:

كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سلقاً، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عرقاً^(٢).

قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، وفي رواية: ليس فيها شحم ولا ودك وكنا نفرح بيوم الجمعة^(٣).

* ومن يدرى فعلت هذه الصحابة الميطعام تكون أم المتندر الأنصارية بطلاة ترجمتنا - رضي الله عنها - !! ..

* * *

(١) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الطب - في الحمية - (١٥١/٢)، وأخرجه كذلك الترمذي في كتاب الطب، ورواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه كذلك الإمام ابن ماجه في سنته.

(٢) كالعظم يلحمه عندما يوضع في الطعام، وانظر الطب النبوي لابن القيم مادة السلق.

(٣) عن حياة الصحابة (٣٢٢/١)، والودك: الدسم.

* قال تعالى: ﴿لكن الرسول والذين امنوا معه جاهلوا
بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الخيرات وأولئكَ هم
المفلحون﴾ * أعدَّ اللهُ لهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴿[التوبة: ٨٨ و ٨٩].

* الصَّحَابِيَّةُ الْكَرِيمَةُ أُمُّ الْمُنْذِرِ - رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهَا - مِنْ
الْمُؤْمِنَاتِ اللَّائِي سَارَعْنَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَتَصَدَّقْنَ
رَسُولَهُ ﷺ؛ فَجَعَلَ اللهُ لَهُنَّ الْخَيْرَاتِ، وَهِيَ مَنَافِعُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، وَأُثْبِتَ لَهُنَّ الْفَلَاحَ وَالْفَوْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَعَدَّ لَهُنَّ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

* وَأُمُّ الْمُنْذِرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - وَاحِدَةٌ مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي
حَظَّيْنَ بِالْبَشَارَةِ الْعَظْمَى - الْجَنَّةِ - ، وَقَدْ فَازَتْ بِهَذِهِ الْبَشَارَةِ
عِنْدَمَا أَعْلَنْتُ بَيْعَتَهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ؛ وَلِلَّذَلِكَ
سُمِّيَتْ مَبَايَعَةَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَقَدْ شَهِدْنَا مَعَهَا الْبَيْعَةَ الْأُولَى أَمَّا
الْبَيْعَةُ الثَّانِيَةُ فَكَانَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فِي بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فِي السَّنَةِ
السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، حِينَمَا احْتَجَزَ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ سَيِّدَنَا
عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، فَقَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ
وَقَتْلِكَ: «لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَنَاجِرَ الْقَوْمَ» وَدَعَا الصَّحَابَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ
الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِهَا، وَسَارَعَتِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ
إِلَى الْبَيْعَةِ، كَمَا سَارَعَتْ أُمُّ الْمُنْذِرِ فِي ثُلَّةٍ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ
يَبَايِعْنَ عَلَى الْمَوْتِ، فَقَبِلَ اللهُ الْبَيْعَةَ الْمُبَارَكَةَ، وَرَضِيَ عَنْ

المبايعين، وامتدحهم فقال جلَّ شأنه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

* ففي هذه الآية الكريمة بيان بأن المؤمنين المبايعين
تحت الشجرة بيعة الرضوان، نالوا مرضاة الله وفازوا بالجنة
عرفها لهم.

* وأجمعت المصادر أن أم المنذر رضي الله عنها كانت
من المبايعات بيعة الرضوان^(١)، وقد بشر رسول الله ﷺ أم
المنذر ومن معها بالجنة فقال:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»^(٢).

* وهكذا حظيت الصحابية المعطاء أم المنذر بشرف
الجهاد ونالت بصدقها البشارة بالجنة، فأكرم بهذه البشارة!!
* والآن ماذا بقي عند خالة رسول الله ﷺ من مكارم
وفضائل؟.

* مما يثير الإعجاب أن هذه الصحابية الفاضلة قد أبدعت
في مجالات خيرة كثيرة، ويضاف إلى خيريتها وفضلها أنها

(١) انظر الاستيعاب (٤/٣٢٠)، والحلية (٢/٧٧)، وأسد الغابة ترجمة
رقم (٧٠٠٥)، والاستبصار ص (٤٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل
الصحابة، وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في المعقاب.

للحديث، ورواه عنها أم سليط بن أيوب بن الحكم، وأيوب
ابن عبد الرحمن، ويعقوب بن أبي يعقوب المدني (١).

* هنيئاً لأم المنذر فوزها بالرضوان، وبالرحيق المختوم
بخاتم من مسك، ورضي الله عنها ونصر قبرها، وفي ختام
سرتها المباركة نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:
٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) انظر الاستيعاب (٤/٣٢٠ و ٣٢١)، وتهذيب التهذيب
(١٢/٤٨٠)، وأعلام النساء (٢/٢٥٢).

سَيِّدَاتُ الْحَيَّةِ

١٤١١ هـ

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

* إِنَّ لَكَ بِهِمَا نِظَافِينَ فِي الْجَنَّةِ *

حديث شريف

* قالت أسماء للنبي ﷺ:
يا رسول الله إن أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَنْفَاصُهَا؟ قَالَ: دَعْنِي صِلِي
أُمَّكَ

حديث شريف

تجد عددًا من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

أسماء بنتُ أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهما

أصلها ثابت:

* بطلت اليوم لا تحتاج إلى تعريفٍ أو تقديم، فهي كالشمس في رابعة النهار، اقترنت بالإسلام واقرن الإسلام بها، من أول يوم هبت نسائمه على الدنيا.

* إنها أسماء بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان أم عبد الله، القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية.

* وأسماء - رضي الله عنها - صحابية جمعت الخير من منابعه، شأنها في ذلك شأن الشجرة المعطاء التي تبتت نباتاً طيباً، فكانت ثابتة الأصول، أما فروعها فقد باركتها العناية الإلهية، فكان لها ذكرٌ جميلٌ، وسيرة عطرة ما تزال الأجيال تتنسم رائحتها العبقّة على مدى الأيام.

* ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة النبوية بسبع وعشرين سنة، وكان عمر والدها الصديق إحدى وعشرين سنة، وفي

فحللت بالأحراق الأصيلة، وسات على حب العصية.

* أسلمت بطلتنا قديماً قبل الهجرة، وبايعت رسول الله ﷺ على يد الصديق، فكانت في عداد السابقين الأولين، وفي طليعة الثلة الأولى من جيش الهدى ودين الحق، إذ كان رقمها في سجل الإيمان الثامن عشر، فكانت من الصحابيات الفاضلات اللاتي لهن فضل السبق في الإسلام.

وقد جمعت بين صدق الإيمان وعمق النظرة والشجاعة ما جعلها مثلاً طيباً بين نساء الإسلام.

* * *

مَنْ يُدَانِيهَا؟

* لأسماء - رضي الله عنها - فضائل لم تجتمع لواحدة من النساء، فقد اقتعدت مكاناً علياً في عالم الصحابيات؛ حتى غدت ممن ينصح بالعلم والبركة والصبر والجهاد، ولتنظر نظرة إكبار إلى البيئة الصالحة التي تهيأت لأسماء؛ فجعلت منها كوكباً يشع بالنور والخير.

* فصهرها أفضل الخلق نبينا محمد ﷺ.

* وأختها لأبيها أمنا عائشة زوج رسول الله ﷺ.

* وأبوها الصحابي الكريم، وشيخ الصحابة، وأولهم

إسلاماً، وأول المبشرين بالجنة من العشرة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - .

* وجدّها لأبيها - أبو قحافة - صحابي كُتِبَتْ له السعادة بإيمانه وتصديقه.

* وجدّتها لأبيها - أم الخير - سلمى بنت صخر^(١) صحابية كريمة، نالت الرضوان ببركة الصُّحبة.

* وعمّاتها الثلاث، صحابيات وهن: أم فروة وقُرَيْبَة وأمّ عامر^(٢) بنات أبي قحافة.

* أمّا زوجها فهو صحابي كريم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد حسَنات أبي بكر، حوارِي رسول الله، وابن عمته رضي الله عنه، وأول مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - الزبير بن العوام - رضي الله عنه - .

* وأبنتها صحابي جليل، عبد الله بن الزبير، أحد الأعلام في العلم والعبادة والشرف والجهاد.

* وأخوها الشقيق عبد الله صحابي، كريم، لبيب، نجيب.

* وأخوها لأبيها عبد الرحمن - شقيق عائشة - أحد الصُّحابة الأعلام، كان مِنَ الرُّماة المذكورين والشجعان.

* وحسبُ أسماء شرفاً وفخراً ورفعة هذه النّفحات التي

(١) انظر ترجمتها في الاستيعاب (٤/٤٢٩)، والإصابة (٤/٤٢٩)،
وأسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٢٨).

(٢) انظر تراجمهن في الطبقات (٨/٢٤٩)، وفي الإصابة وأسد الغابة.

ولهذا قيل: لم يوجد في أحد من الصحابة أربعة كلهم رأوا النبي ﷺ بعضهم ولد بعض إلا في بيت أبي بكر، فهي وأبوها وجدها وابنها ابن الزبير أربعتهم صحابيون^(١) - رضي الله عنهم -.

* ومما يُضاف إلى مكارم أسماء أن أختها أم المؤمنين عائشة قد كُنيت بكينيتها أم عبد الله .

أسماء وحفظ السر:

* كانت أسماء - رضي الله عنها - تحرّص كل الحرص على تحقيق السعادة لرسول الله ﷺ، ولوالدها الصديق رقيق النبي الكريم في هجرته الميمونة إلى المدينة المنورة، ناهيك بكتمانها لسرّ الهجرة، فلم يكن إلا بضعة أشخاص يعلمون بهجرة النبي ﷺ من بينهم أسماء، ذكر هذا ابن إسحاق - رحمه الله - فقال:

ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر^(٢).

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٨)، والرياض النضرة (١/١٥٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١/٤٨٥).

* ما أكرمَ البيتَ البكريَّ! هذا البيتُ الكريمُ ذو
 التَّضحياتِ العظيمةِ برجاله ونسائه ومواليه، حاز الشُّرفَ في
 رحلةِ الهجرة، فالصُّديقُ ثانيُ اثنين إذا هما في الغارِ،
 وعبدُ الله بنُ أبي بكرِ الفتى اللقنَ الفطنَ اللبيبَ يتسمَّعُ أخبارَ
 المشركينَ في النَّهارِ؛ ثم يؤديها إذا أمسى لهما، ومولىُ
 الصُّديقِ عامرُ بنُ فهيرةٍ يرعى غنمه نهاره كلَّه ثم يريحها قرب
 الغارِ، أمَّا أسماءُ فكانتْ تأتي بالطعامِ إذا أمسَتْ بما
 يصلحهما.

* * *

ذَاتُ النَّطَاقِينَ (١):

* ذَاتُ النَّطَاقِينَ لَقِبُ حَظِيَّتْ بِهِ أَسْمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
 يَوْمَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ لِقَاءَ أُتْرَأَ لَدَيْهَا تَرَكَ فِي حَيَاتِهَا آثَاراً طَيِّبَةً
 وَمَعَانٍ كَرِيمَةً، وَمَا زَالَ هَذَا اللَّقِبُ يُذَكَّرُ بِالْخَيْرِ عَلَى مَدَى
 الْأَيَّامِ، فَمَا أَنْ تُذَكَّرَ أَسْمَاءُ إِلَّا وَتُذَكَّرُ فَضَائِلُهَا وَخُصُوصاً يَوْمَ
 الْهَجْرَةِ.

* وَقَدْ أوردتْ كُتُبُ الْحَدِيثِ وَكُتُبُ التَّرَاجمِ وَالسِّيَرِ؛ أَنْ
 أَسْمَاءَ وَعائِشَةَ ابْنَتَا الصُّديقِ اشْتَرَكَا فِي تَجْهيزِ الطَّعامِ الَّذِي
 سَيَأْخُذُهُ الْمُهَاجِرَانِ: رَسولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) النطاق: هو ما تشد به المرأة وسطها، وكان الانطاق من عادة
 النساء العربيات.

ربط لم الجراب لم يجد سماء، فسلف بالله الصلحيه اسماء
نطاقها نصفين، فربطت فم الجراب بنصفه، وانتطقت
بالآخر، فلذلك سُميت ذات النطاقين أو ذات النطاق.

وقد أخرج هذا الحديث الإمام البخاري عن أمنا عائشة
قالت: «فجهزناهما آحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في
جراب؛ فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها
فاوكتت - ربطت - به الجراب، ولذلك كانت تسمى ذات
النطاق» (١).

* إنَّ عمل أسماء هذا يعجز عنه الرجل الشجاع لما فيه
من مخاطر وظلمة ووحشة، ولما يحتاجه من جرأة وثبات قلب
وقوة أعصاب وتحكم بالمشاعر، ولم تتوقف شجاعة أسماء
عند هذا المقدار فحسب، بل لك عزيزي القارئ أن تتصور
مدى صبرها وتحملها للمثقة إذ كانت حاملاً بابنتها عبد الله،
ولك أن تتصور أسماء في هجعة الليل وهي تحمل طعاماً
وتسلك الطرق الوعرة الطويلة، وتتصدَّ جبلاً لتصل إلى الغار
- غار ثور - كانت تجتاز كل هذه المخاطر وعيون المشركين

(١) صحيح البخاري (١٨٧/٧ و ١٨٨)، وانظر كذلك سيرة ابن هشام
(٤٨٦/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٧٤/٢)، وتهذيب الأسماء
واللغات (١٨٣/٢)، وتهذيب التهذيب (٣٩٧/١٢)، وصفة الصفة
(٥٨/٢). «آحثَّ الجهاز»: من الحث وهو الإسراع. والجهاز: ما
يحتاج إليه في السفر.

تتابعها، ولكنه لطف الله سبحانه الذي أحاط بها، وعينه التي حفظها.

* * *

مَوْقِفٌ نَيْلٌ:

* وَقَفْتُ لَطِيفَةً نُدِقُوا فِيهَا النَّظْرُ فِي مَوْقِفِ أَسْمَاءَ مِنْ جَدِّهَا أَبِي قِحَافَةَ، مَوْقِفٌ يَمْتَلِ صِدْقَ إِيمَانِهَا وَحَسَنَ تَصَرُّفِهَا فِي الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ وَيَشِيرُ إِلَى كَيْاسَتِهَا وَذِكَايَتِهَا.

* رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِسْتَدِهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ اِحْتَمَلَ مَالَهُ كُلَّهُ وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ، فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قِحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بِبَصْرِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ فَجَعَكُم بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ.

قُلْتُ: كَلَّا يَا أَيْتُ، صَعَّ يَدُكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرِكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا بِلَاحٍ لَكُمْ.

وَاللَّهِ مَا تَرِكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ (١).

* * *

(١) انظر السيرة النبوية (١/٤٤٨)، والسيرة الحلبية (٢/٢١٣ و٢١٤)، =

* حدثت أسماء - رضي الله عنها - عن واحد من مواعفها البطولية أمام جبابرة قريش فقالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر - رضي الله عنه - ، أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، وقفوا على الباب فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك؟

قلت: والله لا أدري أين أبي .

رفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمَةً طرح منها قرطي^(١) .

* أرأيت كيف وصل السَّفَهُ بأبي جهل - أخزاه الله - أن يتخلى عن أخلاق العرب وتسميهم العظيمة في الترفع عن إيذاء المرأة؟ وأن ينزل بنفسه الحقيمة إلى الدرك الأسفل من الإسفاف والسوء؟ فقد عجز عن مواجهة الرجال فضرب امرأة حاملاً!

* * *

أَسْمَاءُ وَأَوْلُ مَوْلُودِ:

* لما تَمَّتْ هجرة النبي الكريم ﷺ وصاحبه أبي بكر،

= وسير أعلام النبلاء (٢/٢٩٠) بلفظ قريب .

(١) عن الحلية (٢/٥٦)، وأنساب الأشراف (١/٢٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/٣٢٧)، والميرة الحلية (٢/٢٣٠) بتصريف .

أرسلا مَنْ يَأْتِيهِمَا بِأَهْلِهِمَا، وَهَاجَرَتْ أَسْمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
وَهِيَ حَامِلٌ مُتَمِّمٌ بِابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ .

وَشَاءَتْ إِرَادَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُسَجَّلَ هَذَا الْمَوْلُودُ فِي سَجَلِ
الْأَوَائِلِ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ فَقَالَ:

وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ، فَكَبَّرَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ وُلِدَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا
قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ الْيَهُودَ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ سَحَرُوهُمْ فَلَا يُوَلَدُ
لَهُمْ، فَكَانَ تَكْبِيرَهُمْ ذَلِكَ سِرُّوًّا مِنْهُمْ بِتَكْذِيبِ اللَّهِ الْيَهُودَ
فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ (١).

* وَلَمَّا وُلِدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - فِي قِيَاءٍ - أَمَرَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ
ﷺ جَدَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَأَذَّنَ فِي أُذُنَيْهِ بِالصَّلَاةِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ ابْنَ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَحَنَكَهُ بِتَمْرَةٍ لَأَكْهَأَ،
فَكَانَ رِيْقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ فِي جَوْفِهِ، وَسَمَّاهُ
عِنْدَ اللَّهِ وَكَتَبَهُ أَبَا بَكْرٍ بِكُنْيَةِ جَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - (٢).

* وَكَانَ مِيلَادُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَاتِحَةً خَيْرٍ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَبَشَرُوا بِهِ وَتَفَاءَلُوا بِمَوْلَدِهِ، وَنَشَأَ عَلِيُّ حَبِّ
النَّقْوَى؛ فَكَانَ كَمَا وَصَفَتْهُ أُمُّهُ: قَوَامُ اللَّيْلِ، صَوَامُ النَّهَارِ،

(١) تاريخ الطبري (١٠/٢) طبعة دار الكتب العلمية، وانظر كذلك سير
أعلام النبلاء (٣/٣٦٣ و ٣٦٥)، والعقد القرين (٤/٤١٩).
(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٦٦).

- رضي الله عنها - قال: ولدت أسماً للربير لعبد الله ولرؤبة
والمندر وعاصم وأم حسن وعائشة^(١).

* ومن الجدير بالذكر أن أول مولود وُلد للأَنْصار بعد
الهجرة - من أبوين صحابيين - الأمير العالم صاحب رسول
الله وابن صاحبه النعمان بن بشير^(٢) الخزرجي، ابن أخت
الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة - رضوان الله عليه - .

* * *

الصَّابِرَةُ الشَّاكِرَةُ:

* ضربت أسماء - رضي الله عنها - أجمل الأمثلة العملية
في الصبر والشكر، وهاتان الصفتان من صفات أهل الجنة،
فقد صبرت أسماء على الفقر، وشكرت الله سبحانه على
النعمة، وتحدثت أسماء - رضي الله عنها - عن ذلك فقالت:
تزوجني الزبير وماله شيء غير فرسه، فكنت أسوسه
وأعلفه، وأدق لتأضحيه - بعيره - النوى وأستقي وأعجن،

(١) أنساب الأشراف (١/٤٢٢).

(٢) انظر ترجمة النعمان بن بشير في الاستيعاب (٣/٥٢٢)، والإصابة
(٣/٥٢٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤١١)، والاستبصار
ص (١٢٢ و ١٢٣)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٥٥٢٣).

وَكُنْتُ أَنْقَلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الرَّبِيرِ الَّتِي أَقَطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِي فَرَسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَقْرٌ، فَدَعَانِي فَقَالَ: «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ وَذَكَرْتُ الرَّبِيرَ وَغَيْرَتَهُ. قَالَتْ: قَمَضِي.

فلما أتيتُ أُخْبِرْتُ الرَّبِيرَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لِحَمْلِكَ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رَكُوبِكَ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ بَخَادِمٍ، فَكَفَفْتِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ؛ فَكَأَنَّمَا أُعْتَقِي (١).

* وَقَفَةُ بِسَيْطَةٍ مَعَ أَسْمَاءَ تَنْظُرُ فِيمَا تَحْدُثُ بِهِ عَنِ صَبْرِهَا، فَلَمْ يَكُنْ يَفْقَرُ زَوْجَهَا الرَّبِيرَ يَمْنَعُهَا مِنْ مَسَاعِدَتِهِ وَالْعَمَلِ عَلَى مَا يَرْضِيهِ، وَتَوْفِيرِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ لَهُ، فَفَقَدَ كَانَتْ تَعْمَلُ بِنَفْسِ رَاضِيَةٍ وَقَلْبِهَا مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، قَانِعَةٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِهَمَانِ، وَزَادَهَا فِي هَذَا كُلِّهِ الصَّبْرُ، فَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ أَنَّ تَبَدَّلَ الْحَالُ، وَأَضْحَى الرَّبِيرُ فِي سَعَةٍ.

وَأَكْرَمَ اللَّهُ الرَّبِيرَ وَأَسْمَاءَ، وَأَصْبَحَا يَتَعَمَّانُ فِي الْعَتَى، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ إِزْدَادَتْ أَسْمَاءُ شُكْرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَمْ تُغْرِهَا الْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ، وَلَمْ تُشْغَلْهَا عَنْ وَاجِبَاتِهَا تَجَاهَ رَبِّهَا وَبَيْتِهَا، بَلْ كَانَتْ تَنْفِقُ فِي حُدُودِ مَا أَمَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٠ و ٢٩١)، وانظر الطبقات (٢٥٠/٨) بلفظ قريب، وانظر: زاد المعاد (٥/١٨٧).

العلم لله عليها ولما استأجرها من خير.

ولله درُّ أبي نُعيم إذ وصفها في مطلع ترجمته لها بقوله:
الصَّادِقَةُ الذَّاكِرَةُ، الصَّابِرَةُ الشَّاكِرَةُ، أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّدِيقِ،
الشَّاقَّةُ نَطَاقُهَا؛ لِمَعْصَمِ قَرِيبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلاَقِهَا^(١).

* * *

السُّخِّيَّةُ الْكَرِيمَةُ:

* عُرِفَتْ أَسْمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ بِأَنَّهَا
سُخِّيَّةُ الْيَدِ، كَرِيمَةُ الطَّبْعِ، فَطُرَتْ مَعَ السُّخَاءِ وَقَطَّرَ السُّخَاءُ
مَعَهَا، وَلِهَا مَعَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَوَاقِفٌ رَائِعَةٌ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ
تَقُولُ لِبَنَاتِهَا وَأَهْلِهَا: أَنْفَقُوا أَوْ أَنْفَقِي وَتَصَدَّقِي وَلَا تَنْتَظِرِي
الْفَضْلَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَنْتَظَرْتِ الْفَضْلَ لَمْ تُفْضَلِي شَيْئًا، وَإِنْ
تَصَدَّقْتِي لَمْ تَجِدِي فَقْدَهُ^(٢).

* كَانَتْ الصَّحَابِيَّةُ أَسْمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سُخِّيَّةَ النَّفْسِ،
سَخَتْ بِنَطَاقِهَا يَوْمَ كَانَتْ لَا تَمْلِكُ غَيْرَهُ، وَهَذَا غَايَةُ الْجُودِ،
سَخَتْ بِمَوَاقِفِهَا الْوَضِئَةِ، بِحَيَاتِهَا وَكُلِّ مَا تَمْلِكُ فِي سَبِيلِ
مَرْضَاةِ اللَّهِ سَمِحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسُخْ بِذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانِهَا

(١) الحلية (٥٥/٢).

(٢) الطبقات (٢٥٢/٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٢٩/٢).

أو ذرة من كرامتها، وقد شهد بجودها وكرمها القاصي والداني .

وصفها محمد بن المنكدر فقال: وكانت امرأة سخية النفس . وحدث محمد بن المنكدر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال لأسماء بنت أبي بكر: «لا تُوكي فيوكي الله عليك»^(١) .

* وبلغ من جود أسماء - رضي الله عنها - أن ضرب المثل بذلك، فقد روي أنها كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها^(٢) .

* وقد وصف ابنها عبد الله جودها وكرمها فقال: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته في مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد^(٣) .

* * *

أسماء والقرآن الكريم:

* فصاحة أسماء - رضي الله عنها - ساعدتها على فهم (١) الطبقات (٢٥٢/٨) - ومعنى الحديث: لا تدخري ما عندك وتمنعي ما في يديك فتقطع مادة الرزق عنك .

(٢) المصدر السابق، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣٢٩/٢) .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٢)، وصفة الصفوة (٥٨/٢ و ٥٩)، والحديث أخرجه البخاري .

بشكل سليم، فقد سألها حفيدها عبد الله بن عروة فقال لها:
كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم
القرآن؟

قالت: كانوا كما نعتهم الله: تدمع أعينهم وتتشعر
جلودهم.

قال: فإن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن حرَّ أحداهم مغشياً
عليه.

قالت: أعوذ بالله من الشيطان.

هذا هو فهم أسماء لمعاني القرآن، فلا عجب في
بلاغتها، فقد نشأت في بيت الصديق - رضي الله عنهما - .

* وكانت أسماء - رضوان الله عليها - نموذجاً طيباً بين
النساء اللاتي جمعن بين مخافة الله وفهم كتابه، وقد شهد لها
زوجها الزبير بن العوام - رضي الله عنه - بهذا، وناهيك
بشهادة الزبير - فقال: دخلت علي أسماء وهي تصلي
فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ
السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعادت، فقامت وهي تستعيد، فلما
ظال علي أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيد^(١).

(١) انظر: الحلية (٢/٥٥)، والدر المشور (٧/٦٣٥).

صلي أمك:

* كانت أسماء - رضي الله عنها - تتوخى الحق في كل موقف من مواقفها الحياتية، وتَسأل عما يرضي الله سبحانه، ولا تتأثر بالعواطف والأوصار ما دام ذلك يخالف مرضاة الله، فهي هي تقف أمام أمها موقف الاستفسار والحيرة، ولكن الحق أقوى وأجدر أن يُسمع، فقد أوردت كتب الحديث والتراجم والسير عن أسماء - رضي الله عنها - قالت:

أتنتني أُمي ^(١) رغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فسألت النبي ﷺ: أصلها؟ فأنزل الله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ فقال: «نعم صلي أمك» ^(٢).

* وكانت أمها قد أتت بهدايا زيب وسمين وقرظ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها إلى أن وجدت الجواب الشافي لدى رسول الله ﷺ؛ وهكذا علمها النبي الكريم أن صلة الرحم واجبة وأن الإسلام دين رحمة وخير وأن صلة الرحم تدخل صاحبها الجنة.

* * *

(١) أم أسماء هي قبيلة بنت عبد العزى، وكانت ما تزال مشركة.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد، وانظر تفسير

الماوردي (٤/٢٢٣)، وأسباب النزول للمواحيدي ص (٣٤٩)، والدر =

* لأسماء - رضي الله عنها - صلة وثيقة بالحديث النبوي الشريف، فقد كانت من الحافظات الراعيات له، روت عدداً من الأحاديث بلغت ثمانية وخمسين حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة (١).

* وأسماء - عليها رضوان الله - من الصحابيات اللاتي أكثرن من الرواية عن الرسول الكريم ﷺ كأختها أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة، وأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية (٢) وغيرهن، وهذا يشير إلى فضلها ومكانتها في عالم الحديث.

* حدث عن أسماء عددٌ جُم من الصحابة والتابعين من مثل: ابنها عبد الله، وعروة، وعبد الله بن عباس، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، ومولاها عبد الله بن كيسان وغيرهم (٣).

- المشور (١٣١/٨)، وانظر الأسماء المهمة في الأبناء المحكمة - ص (٢٧٧).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٦).

(٢) اقرأ سيرة الصحابة الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن في هذا الكتاب.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٨).

* ومن مروياتها عن رسول الله ﷺ قوله: «إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم»^(١).

* * *

من ملامح شخصيتها:

* في شخصية أسماء - رضي الله عنها - جوانب رائعة تدل على تفرد لها في مجالات خيرة، فقد بارك الله سبحانه في عمرها، فعمرت دهرًا قارب مئة سنة ولم يسقط لها سن، وظلت محتفظة بعقلها ورأيها الصائب وكلماتها الرائعة، ولم تتوقف عن العطاء وأعمال البر والخير، وشهدت معركة اليرموك مع زوجها الزبير - رضي الله عنهما - ، وكان لها موقف شهير في هذه المعركة.

* وفي ظل الخلفاء الراشدين حظيت أسماء - رضي الله عنها - بالمكانة اللائقة التي تستحقها، فجميعهم كان يعرف فضلها ويقر بسابقتها، فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد فرض للمهاجرات الأول ألفاً ألفاً منهن أسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وأم عبد الله بن مسعود^(٢).

(١) المصدر السابق (٢/٢٨٩).

(٢) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص (٥٨٨).

للرؤيا، فقد ذكر ابن سعيد بن المسيب - رحمه الله - كان من
أعجب الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر،
وأخذته أسماء عن أبيها^(١).

* وكانت أسماء - رضي الله عنها - زكية النفس، نقية
السريرة، موصولة القلب بالله سبحانه، تراقب نفسها مراقبةً
شديدةً في السر والعلانية، ومع هذا كله كانت ترى التقصير
في نفسها، قال ابن أبي مليكة: كانت أسماء تصدع فتضع
يدها على رأسها وتقول: بذنبي وما يغفره الله أكثر^(٢).

* ومن السمات اللامعة في حياة أسماء - رضي الله عنها -
أنها كان فضيحة، حاضرة القلب واللب، تقول الشعر؛ ولها
في رثاء زوجها قصيدة جميلة تشير إلى بلاغتها.

* * *

في رحاب البركة:

* ممَّا يعطر سيرة أسماء - رضي الله عنها - حرصها على
التبرك بأثار رسول الله ﷺ، فقد كانت تسعى للحصول على

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٦/١٢٤)، وسير أعلام النبلاء
(٢/٢٩٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٣٠).

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٢٩)، وسير أعلام النبلاء
(٢/٢٩٠).

كُلُّ مَا يَمُتُ إِلَى التَّبَرُّكِ بِالرُّسُولِ ﷺ لَتَزُودَ نَفْسُهَا بِزَادِ الْإِيمَانِ
وَالنُّورِ، وَكَانَتْ تَجُدُّ فِي ذَلِكَ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَهَذَا مَا جَعَلَهَا
تَحْتَفِظُ بِثَوْبٍ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، فَقِي الصَّحِيحُ عَنْ أَسْمَاءَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا أُخْرِجَتْ جَبَّةً طَيَّالِسَةً فَقَالَتْ: هَذِهِ جَبَّةُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ يَلْبَسُهَا فَتَحْنُ تَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى
بِهَا^(١).

* وَلَمْ يَتَوَقَّفْ تَبَرُّكُ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عِنْدَ هَذَا
الْحَدِيثِ، بَلْ كَانَتْ تَتَبَرَّكُ بِمَاءِ زَمْزَمَ أَيْضًا، فَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهِيُّ
- رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَغْسِلُونَ مَوْتَاهُمْ بِمَاءِ زَمْزَمَ إِذَا
فُرِعُوا مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ وَتَنْظِيفِهِ تَبَرُّكًا بِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ
أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - غَسَلَتْ ابْنَهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
بِمَاءِ زَمْزَمَ^(٢).

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَقْصِي أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
لِمَنَابِعِ الْبَرَكَةِ فِي جَمِيعِ صُورِهَا.

* * *

(١) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي - الْبَيَّاسِ وَالزُّبَيْرَةِ - وَرَوَاهُ كَذَلِكَ
النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ، وَانظُرِ الشُّفَا (١/٤٦٣)، وَتَارِيخُ
الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ (١/٥٠٣)، وَزَادَ الْمَعَادَ (١/١٤٠)، وَالطَّبَقَاتُ
(٤٥٤/١).

(٢) انظُرْ: كِتَابُ شِفَاءِ الْغَرَامِ (١/٤١٥).

❖ في تاريخ النساء مواقف حافلة بالبطولات والتضحيات، ولكن بطلتنا أسماء تفوق النساء جميعاً في موقف يشير إلى ذكائها وجودها وحسن تصرفها، ذلك الموقف مع ابنها عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - الذي امتدَّ سلطانه على الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وجدَّدَ عمارة الكعبة.

غير أن سلطانه بدأ ينحسر ويتلاشى، وأحاطت به جنود الحجاج بن يوسف الثقفي وهو في مكة المكرمة، وأحجار المتجنِّق تنهمر عليه من كلِّ مكان، وكانت الفرصة سانحة أمامه لطلب الأمان أو الفرار، ولكن أنى له ذلك وقد عرفته البلاد بطولها وعرضها بالشجاعة والثبات والإقدام، وأمّه أسماء فدائية الإسلام الأولى، وها هي أمّه قد قاربت المته وعقلها ما يزال يشعُّ بالحكمة وفصل الخطاب، وتوجه إليها يشها حزنه، ويستشيرها فيما يفعل، وقال لها:

يا أمّ قد خذلني الناس حتى أهلي وولدي، ولم يبق لي أمل؛ والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

فأجابته الأم العظيمة: يا بني عش كريماً، ومثّ كريماً؛ لا يأخذك القوم أسيراً.

وودّع عبد الله أمّه بنفسٍ راضية، وقال يخاطبها:

أسماء إن قتلت لا تبكي

لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَسْبِي وَدِينِي
وَصَارَ لَأَنْتَ بِهِ يَمِينِي

وسقط عبد الله بن الزبير شهيداً، وصلبه الحجاج في المسجد الحرام، وقيل لابن عمر - رضي الله عنهما - : إن أسماء في ناحية المسجد، فمال إليها وعزاها بابنها وقال:

إِنَّ هَذِهِ الْجِثَّةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللَّهِ،
فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فقالت: وما يعني وقد أهدي رأس
يحيى بن زكريا إلى يعقوب من بغايا بني إسرائيل^(١).

* ومن رواتع الأخبار ما أورده ابن عبد ربه حيث قال: إن
عبد الله بن الزبير كان أول فولود ولد في الإسلام.

فلما ولد كبر النبي ﷺ وأصحابه، ولما قتل كبر الحجاج
ابن يوسف وأهل الشام معه، فقال ابن عمر: ما هذا؟ قالوا:
كبر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير، قال: الذين كبروا
لعولده خير من الذين كبروا لقتله^(٢).

* وصبرت أسماء - رضي الله عنها - ، وضربت أروع
الأمثلة في الثبات والوقوف بجرأة وصلابة أمام الحجاج، فقد
ذكر أن الحجاج دخل على أسماء فقال: إن ابنتك ألحد في
هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب ألیم.

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء

(٢/٢٩٥).

(١) العقد المرید (٤/٤١٩).

الحيراء رسول الله ﷺ الذي سيجرح من ليلته لذي القعدة
منهما شرٌّ من الأول وهو مُبِيرٌ»^(١)، فانصرف الحججاج دون
أن يراجعها.

* * *

الأيام الأخيرة:

* عاشت أسماء - رضي الله عنها - دهرًا طويلًا، فكانت
إحدى الوثائق الصحيحة التي وَعَتْ أحداثَ قَرْنٍ كاملٍ،
وكانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات وفاةً - رضي الله
عنها -، وقيل وفاتها دفنت ابنتها عبد الله بيدها، فعن ابن أبي
مليكة قال: دخلتُ على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير
فقال: بلغني أن هذا صلب عبد الله، اللهم لا تمثني حتى
أوتى به، فأحفظه وأكفنه فأتيته به بعد، فجعلت تحفظه بيدها
وتكفنه بعدما ذهب بصرها، وصَلَّتْ عليه وما أتت عليه جمعة
إلا ماتت.

* وكانت وصية أسماء - رضي الله عنها - لأهلها: اجمروا

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٦).

ثيابي إذا مت، ثم حطوني، ولا تذرُوا علي كفني حنوطاً،
ولا تبعوني بنار، ولا تدفنونني ليلاً^(١).

* وكانت وفاة أسماء في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة
- رضي الله عنها - .

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* الصحابية الكريمة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله
عنها - نموذج رائع للنساء في عصرها وفي كل عصر، فقد
كانت ابنة بارة لوالديها، وأماً عظيمة خلقت الأبطال
والأعلام، وأختاً مثالية، وزوجاً كريماً، فقد ذكر أن زوجها
الزبير كان شديداً عليها فقال لها أبو بكر:

يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم
مات عنها فلم تتزوج بعده؛ جمع الله بينهما في الجنة.

(١) انظر: حياة الصحابة (٢/٦٩٤).

الكريم ﷺ، وجاهدك في سبيل الله لحو جهاده، قال سبحانه
 الشَّمائل الكريمة البشارة بالجنة منذ فجر حياتها، وإليك نص
 البشارة كما ورد في عددٍ من المصادر الموثوقة، ففي قصة
 الهجرة حادت أسماء بنطاقها ونفسها من أجل تأمين السعادة
 والطعام لرسول الله ﷺ، فقال لها النبي الكريم ﷺ: «إِنَّ
 لَكَ بِهِمَا نِطَاقَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» (١).

* وفي هذا الحديث الشريف بشارة عظيمة لأسماء في
 الجنة، وقد عاشت - رضي الله عنها - تزيد الأخرة وتسعى لها
 وتعمل العمل الصالح لتزيد من رصيدها الإيماني.

* رضي الله عن أسماء وأرضها ونصر قبرها، ومع وداع
 سيرتها المباركة المعطار نقراً قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
 جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ» [التمر:
 ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) انظر في هذا: الاستيعاب (٢٢٩/٤)، والإصابة (٢٢٤/٤)،
 وأنساب الأشراف (٢٦٠/١)، والعقد القرين (٤١٧/٤ و ٢١٣/٢)
 وما بعدها، وانظر أيضاً السيرة الحلبية (٢١٣/٢)، ودر السحابة
 للشوكاني ص (٥٤٧)، وغيرها من المصادر.

سَيِّدَاتُ مَشْرِيفَاتِ الْحَبَشَةِ

1411 هـ

أُمُّ سُلَيْمِ بِنْتُ مِلْحَانَ
رضي الله عنها

• قال عليه السلام:

«دخلت الجنة فسمعت حشفة بين يدي، فإذا أنا بالغميضاء بنت

ملحان»

حديث شريف

• قال رسول الله ﷺ عن أم سليم:

«إني أرحمها؛ قبل أخوها معي»

تجد عددًا من القصص والسير

في موقع المفكرة الدعوية

حديث شريف

www.dawahmemo.com

أُمُّ سُلَيْمِ بِنْتِ مِلْحَانَ رضي الله عنها

مع نساء الأنصار:

* قال رسول الله ﷺ في الأنصار: «اللهم ارحم الأنصار
وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»^(١).

* وصفة حلفتنا اليوم، واحدة من نساء الأنصار، ومن
الصحابيات الفاضلات اللاتي جمعن العلم والفقه والشجاعة
والكرم، والصفاء والإخلاص لله ولرسول ﷺ.

* وهذه الصحابية الخيرة هي أم الصحابي الخير الأثير
لدى رسول الله سيدنا أنس بن مالك، استهل أبو نعيم
الأصبهاني ترجمتها بقوله: أم سليم المستسلمة لحكم
المحبوب، الطاعة بالخناجر في الوقائع والحروب.

* ولتعرف الآن نسب الصحابية الكريمة أم سليم التي

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم.

(٢) الحلية (٢/٥٧).

الطباع، فهي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام
التجارية الأنصارية الخزرجية^(١).

* وأم سليم يُقال لها الغميصاء أو الرُميصاء، واسمها
سهلة؛ وقيل رملة، بيد أنها اشتهرت بأم سليم - رضي الله
عنها - .

* هذه المرأة العاقلة، دخل الإيمان قلبها الصافي من أول
يوم سمعت به، وسجّلت أعمالاً طيبة وضاء تشهد لها
بالفضل والسبق والإحسان على مرّ الأيام، فتعالوا نعطر
الأسماع بسيرة هذه الصحابة المجاهدة الصابرة، الخاشعة
الكريمة، الدينة الخيرة، المحدثة كبيرة القدر والشأن.

* * *

الموقف المبارك:

* سجّلت أم سليم منذ اللحظات الأولى لإسلامها موقفاً
رائعاً يفوح بالبركة، ويشير إلى رجاحة عقلها، وإلى إيمانها
وإخلاصها وصدقها، فقد أسلمت وبايعت، وكان إذا ذاك
زوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك غائباً، ودخل
الإيمان قلبها واستقرّ فيه، وأحبت الإسلام حباً شديداً خالط

(١) عن سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٤).

روحها ونفسها، وبرهنت علي صدقها عندما وقفت موقفاً صلباً صادقاً أمام زوجها الذي ظل علي شركه، ولهذا الموقف المبارك الرائع قصة شائقة تشد الهيم وتغذي الأرواح، فلتستمع إلى القصة من أولها.

* لما آمنت أم سليم برسول الله ﷺ، جاء زوجها أبو أنس وكان غائباً، وعندما علم بإسلامها غضب غضباً شديداً، وقال لها: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل.

ولم تتوقف عند هذا الكلام، بل جعلت تلقن ابنها أنساً وتشير إليه قُلْ لا إله إلا الله قُلْ أشهد أن محمداً رسول الله، واستجاب أنس ونطق بالشهادة، وفاز بالسعادة، فأخذ الغضب من مالك كل مأخذ، وجعل يقول لها: لا تفسدي علي ابني، غير أن أم سليم راحت تقول بحكمة وهدوء: إني لا أفسده بل أرشده.

وانطلق مالك بن النضر غاضباً يريد الشام، فلقية عدو له فقتله، ولما بلغها نبأ مقتله قالت: لا بجرم، لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس، ويقول: قد قضيت الذي عليك^(١).

* وانصرفت إلى تربية ابنها، تعلمه حب النبي الكريم

(١) عن سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٤)، والاستبصار ص (٣٧) بتصرف.

جاءته أم سليم مصطحبة أنسا وقالت: يا رسول الله هذا أنيس أتيتك به يخدمك، فادع الله له، قال: «اللهم أكثر ماله وولده»^(١).

* وكان أنس آنذاك غلاماً كاتباً ذكياً لم يبلغ الحلم بعد، وقد تال الرعاية والرأفة والبركة في بيت النبي الكريم ﷺ، وغدا واحداً من سادات الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم -.

* * *

نعم المهر:

* وفّت أم سليم بالعهد الذي قطعتة على نفسها في تربية ابنها، ونشأ وهو يقول: جزى الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي.

* وها هو أبو طلحة الأنصاري^(٢) يغدو يوماً على أم سليم ويخطبها، وهنا وقفت هذه المرأة العاقلة وفتنة تأمل، وفكرت يهدوء، فأبو طلحة لا يزال مشركاً، ولكن لعله يسمع منها

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٦/١٩٤ و ١٩٥).

(٢) انظر ترجمة سيدنا أبي طلحة الأنصاري في سير أعلام النبلاء.

(٢٧/٢).

مقاتلتها ويصبح سعيداً بما تعرضه عليه، وعاد أبو طلحة ثابته فخطبها وكلمها في شأن الزواج، فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرُدُّ، ولكنك امرؤ كافرٌ، وأنا امرأةٌ مسلمةٌ لا يصلح لي أن أتزوجك.

قال: فمن لي بذلك؟.

قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالساً في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فجاء فأخبر النبي ﷺ بما قالت أم سليم فتروجها على ذلك^(١). عندها قالت لابنها: يا أنس قم فزوج أبا طلحة، فزوجها.

* وفي هذه القصة المباركة يقول ثابت بن أسلم البتاني التابعي: فما سمعنا بمهرٍ قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام^(٢).

* لقد تحققت فراسة أم سليم بأبي طلحة، وسعدت به زوجاً مؤمناً خيراً كريماً مخلصاً، وسعدت بها زوجةً عاقلةً تقيةً كريمةً حافظةً للعهد، أما أنس ابنها فقد سعد بهذا الزواج

(١) انظر حلية الأولياء (٢/٥٩ و ٦٠)، والاستبصار ج١ (٣٧).

(٢) صفة الصفوة (٢/٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٩).

* * *

كَرَمُهَا وَشَمَائِلُهَا:

* شمائل الصَّحَابَةِ السَّخِيَّةِ أُمِّ سُلَيْمٍ كَثِيرَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُحْصَرَ فِي صَفْحَاتٍ مَحْدُودَةٍ، وَلَكِنْ نَحَاوِلُ الْإِسْتِنَاسَ بِبَعْضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُبَارَكَةِ، وَمِنْ أَيْزِ شَمَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ الْكَرِيمِ الَّذِي عَبَّرَتْ عَنْهُ عَمَلِيًّا، حَدَّثَ عَنْ هَذَا سَيِّدُنَا أَنَسٌ فَقَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ أَعْطَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِذَاقًا - نَخْلًا - لَهَا، وَلَمَّا رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُمِّي عِذَاقَهَا^(١).

* وَكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَتَفَقَّدُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ، وَتَتَحَفَّهُ بِالْهَدِيَّةِ وَبِالطَّعَامِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ، وَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَكْرُمُهَا وَيُبَارِكُ لَهَا فِي طَعَامِهَا بِرُكَّةٍ مَلْمُوسَةٍ، لِنَسْتَمِعَ إِلَى سَيِّدِنَا أَنَسٍ يَرْوِي بَعْضَ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ عَنْ أُمِّهِ فَيَقُولُ:

كَانَتْ لَهَا شَاةٌ، فَجَمَعَتْ مِنْ سَمْنِهَا فِي عُسْكَةٍ^(٢) ثُمَّ بَعَثَتْ بِهِ مَعَ رَيْبِيَّةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقَتْ حَتَّى أَتَتْ

(١) انظر: دلائل النبوة لليهقي (١/١٥٠).

(٢) إناء من بجلد يجعل فيه السم.

النبي الكريم وأخبرته بأن العُكَّةَ قد بعثت بها أمُّ سليم فقال: «أفرغوا لها عكَّتها»، ثم دُفِعَتْ إليها، وجاءت فعُلِّقت على وتدٍ، فأتت أمُّ سليم - وكانت غائبة - فرأت العُكَّةَ ممثلةً تقطرُ، فقالت لربيبة: أليس أمرتك أن تنطلقي إلى رسول الله؟

فقالت: قد فعلت، وسلي رسول الله.

فذهبت أمُّ سليم وسالت النبي الكريم فقال: «قد فعلت قد جاءت».

قالت أمُّ سليم: والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطرُ سمناً.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «يا أمُّ سليم أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيّه؟ كُلي وأطعمي».

قالت: فحجثُ إلى البيت فقسمتُ في قُعب - كأس كبير - لنا كذا وكذا، وتركتُ فيها ما ائتمنا شهراً أو شهرين^(١).

* وكانت أمُّ سليم - رضي الله عنها - تبعثُ للنبي الكريم الطعامَ والتَّمْرَ لعلَّها أنه يحبُّ ذلك، وذكر أنس أن أمه بعثت معه يقناع فيه رُطب إلى النبي ﷺ، يقول أنس: فقبض قبضة

(١) عن حياة الصحابة (٦٣٥/٣) بتصرف يسير.

* * *

ما عندك يا أم سليم:

* قصص الكرم عند الصحابة المعطاء أم سليم لا تنتهي وزيادة البركة في طعامها وطعام زوجها أبي طلحة ليس لها من حد أيضاً، فقد كانت - رضوان الله عليها - مضيافة كريهة، دائمة التوكل على الله سبحانه، يروي سيدنا أنس ابن مالك ما يتوافق مع هذا فيقول:

قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقرصاً - أرغفة - من شعير ثم أخذت حماراً لها فلفته فيه، ودسته تحت ثوبي، وأرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فوجدته جالساً في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة»؟ قلت: نعم، فقال لمن معه: «قوموا».

قال: فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم.

(١) انظر طبقات ابن سعد (٤٢٩/٨).

قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل معه حتى دخل، فقال رسول الله ﷺ: «هلّمي ما عندك يا أمّ سليم»، فأنت بذلك الحبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتت، وعصرت عليه أمّ سليم عكّة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول، ثم قال: «أئذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، فأكل القوم وشبعوا، وهم سبعون أو ثمانون رجلاً^(١).

* ويضيف أبو نعيم الأصبهاني على هذه الرواية قول سيدنا أنس: ثم دعاني ودعا أبا طلحة؛ فقال: كُلموا فأكلنا حتى شبعنا ثم رفع يده؛ فقال: «يا أمّ سليم أين هذا من طعامك حين قدّمتيه»؟ قالت: بأبي أنت وأمي، لولا أنني رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شيء^(٢).

* ولم تتوقف أمّ سليم - رضي الله عنها - عن الكرم والجلود، ولم ينقطع سخاؤها، فعندما أعرس رسول الله ﷺ

(١) الحديث متفق عليه، ورواه الإمام مالك في الموطأ كتاب صفة النبي جزء (٢) ٩٢٧ و٩٢٨ طبعة البايع الحلبي، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١/٣٥٧)، ودلائل النبوة للأصبهاني (٢/٥٣٢ و٥٣٣)، ووفاء الوفا (٣/٨٨١ و٨٨٢).

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني (٢/٥٣٥).

وَالسُّلَمِ وَالْبَسَائِلِ لَعَسَ أَلَسَ إِلَيْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّيْلِ
مِنْهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَيْضاً^(١).

* * *

مَكَانَتُهَا وَفَضْلُهَا:

* حَظِيَّتْ أُمِّ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِمَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ
النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُهَا وَيَحْتَرِمُهَا وَيَزُورُهَا، رَوَى
سَيِّدُنَا أَنَسٌ قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ أُمَّ سُلَيْمٍ أحياناً، فَتَدْرِكُهُ الصَّلَاةُ
فِيصَلِّي عَلَيَّ بِسَاطِ لَنَا وَهُوَ حَصِيرٌ يَنْضَحُهُ بِالْمَاءِ^(٢).

* وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَيْضاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ أُمَّ
سُلَيْمٍ فَتَحْفَظُهُ بِالشَّيْءِ تَصْنَعُهُ لَهَا، قَالَ أَنَسٌ: وَأَخٌ لِي أَصْغَرُ
مِنِّي يُكْنَى أَبُو عَمِيرٍ، فَزَارَنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «يَا أُمَّ
سُلَيْمٍ مَا شَأْنِي أَرَى أَبُو عَمِيرٍ ابْنُكَ خَائِرَ النَّفْسِ؟».

فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا تَلَتْ لَهَا صَعُودَةً - عَصْفُورَةً - كَانَ يَلْعَبُ
بِهَا.

(١) انظر سيرة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها في هذا
الكتاب

(٢) انظر: حياة الصحابة (٢/٦٦١).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٤٢٧).

قال: فجعل النبي يمسح رأسه ويقول: «يا أبا عمير ما فعل التغير»^(١)؟

وهذا يشير إلى أن النبي الكريم كان يتسبط عند أم سليم ويمزح مع ابنها الصغير.

* وأحياناً كان عليه الصلاة والسلام يتحفهم بالزيارة والدعاء، فقد روى سيدنا أنس عن هذا فقال:

دخل علينا رسول الله ﷺ، وما نحن إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام^(٢) فقال: «قوموا أصلي بكم»، فصليت بنا في غير وقت صلاة، فجعل النساء على يمينه، فلما قضى صلاته دعا لنا أهل البيت بكل من خير الدنيا والآخرة^(٣).

* والآن، تعالوا نستمع إلى سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - يروي مكانة أمه عند رسول الله فيقول: كان رسول الله ﷺ إذا مر بجنات أم سليم دخل عليها فسلم عليها^(٤).

* وكفاها فخراً وشرفاً أن يخصها النبي الكريم بالزيارة والسلام والدعاء والصلاة في بيتها - رضي الله عنها -

* * *

(١) انظر طبقات ابن سعد (٤٢٧/٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٦/٢)، والاستبصار ص (٣٩).

(٢) اقرأ سيرة هذه الصحابية المباركة الشهيدة في هذا الكتاب.

(٣) انظر الاستبصار ص (٣٩ و ٤٠).

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي.

* مما يجعل المحابيه اجليه ام سليم - رضي الله عنها - ذات مكانة خاصة، ما رواه سيدنا أنس في حديثه الذي يدل على خيريته أم سليم وبركتها فقال: لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتاً غير بيت أم سليم، فقيل له في ذلك فقال: «إني أرحمها قبل أخوها معي»^(١).

* ومن الجدير بالذكر أن أحاما الذي عناه رسول الله ﷺ هو حرام بن ملحان، شهد بدرًا وأُحُدًا، وقُتِلَ شهيداً يوم بدر معونة سنة أربع من الهجرة، وهو قاتل العبارة المشهورة المباركة: فُزْتُ ورب الكعبة. وذلك لما طعن من ورائه، فطلعت الحرب من صدره - رضي الله عنه وأرضاه -^(٢).

* * *

تبرُّكُ أم سليم بالنبي ﷺ:

* محبة رسول الله ﷺ هي أساسُ الاتباع له، ولولا المحبة العاطفية الصادقة في القلب لما وُجِدَ وازع يحمل على الاتباع في العمل، وقد جعل النبي الكريم ﷺ مقياس الإيمان بالله سبحانه وتعالى امتلاء القلب بمحبته عليه الصلاة

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم، وانظر: السيرة الحلبية (٧٣/٣).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢)، والاستبصار ص (٣٦).

والسَّلام، حيثُ تغدو هذه المحبَّة أقوى من محبَّة الوالد والولَد والنَّاس أجمعين.

* من هنا كان الصَّحابة الكرام - رضوان الله عليهم - يتسابقون إلى التبرُّك بالنبي الكريم ﷺ، وقد روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - صوراً كثيرة تشير إلى تبرُّك الصَّحابة بأثار النبي ﷺ لدفع الضرِّ والاستشفاء وما شابه ذلك، ولعلَّ ضيفة حلقتنا أمُّ سليم من السَّابقين والمُتسارعين إلى هذا المجال؛ الذي أقرَّها عليه الرَّسول ﷺ.

* والآن لتتبرَّك بالحديث مع تبرُّك أمِّ سليم بالنبي الكريم ﷺ، فقد روى الإمام مسلم في كتاب الفضائل، في باب طيب عرقه ﷺ، أنه عليه الصَّلَاة والسَّلام كان يدخل بيت أمِّ سليم، فينام على فراشها وليست هي في البيت، فجاءت ذات يوم فنام على فراشها، فجاءت أمُّ سليم وقد عرق رسول الله ﷺ واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش؛ ففتحت عتيدها - صندوق صغير -، فجعلت تشفُّ ذلك العرق فتعصره في قواريرها، فأفاق النبي ﷺ فقال: ما تصنعين يا أمِّ سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبَّت^(١).

* وروى محمد بن سيرين التَّابعي الجليل عن أمِّ سليم

(١) رواه الإمام مسلم (١٣/١)، وانظر: طبقات ابن سعد (٤٢٨/٨ و٤٢٩) بالفاظ مشابهة.

إلى مسح عرق رسول الله واحتفاظها به؛ حيث قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل في بيتي، فكنْتُ أبسطُ له بَطْعاً فيقبلُ عليه فيعرق، فكنْتُ أخذُ سَكاً فأعجنه بعرقه. قال ابن سيرين: فاستوهبتُ من أم سليم من ذلك السُّك فوهبتُ لي منه، ولما مات محمد حنطُ بذلك السُّك^(١)، وكان - رحمه الله - يهبُ منه لأصحابه.

* وذكر السَّهودي في كتابه النَّفيس «وفاء الوفا» أنه لما حضرت سيدنا أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يُجعل في حنوطه من ذلك السُّك، فجعل في حنوطه^(٢).

* وأم سليم - رضي الله عنها - تعطينا درساً في الأدب والبركة في إن واحد، فقد كانت تتبرك بعرق النبي ﷺ، روى البراء بن زيد أن النبي ﷺ قال - نام وقت الظهر - في بيت أم سليم على بَطْع فعرق فاستيقظ وهي تمسح العرق، فقال: «ما تصنعين؟»، قالت: أخذُ هذا للبركة التي تخرج منك^(٣).

* ومن عيون الأخبار الرائعة أن أم سليم كانت تأخذ عرق

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢)، وطبقات ابن سعد (٤٢٨/٨).

والسُّك: نوع من الطيب.

(٢) وفاء الوفا (٨٨١/٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٤٢٨/٨).

النبي الكريم وتخلطُ به طيبها، روت هذا بنفسها فقالت: كان رسول الله ﷺ يقبلُ عندي على نطع وكان معرقاً ﷺ - كثير العرق - ، فجعلتُ أسلبُ العرق في قارورة، فاستيقظ فقال: «ما تجعلين؟» قلتُ: أريدُ أن أدوّف - أخلط - بعرقك طيباً^(١). وفي رواية أنها قالت: هذا عرقك تجعله في طيبنا وهو أطيبُ الطيب^(٢).

* ومن الخير والبركة والمفيد في هذا المقام أن نُوردَ شيئاً عن رائحة عرق رسول الله ﷺ، فقد قال سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه - : كان رسول الله ﷺ عند أُسري به ريحُه ريح عروس، وأطيب من ريح عروس.

وعن سيدنا أنس أيضاً أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريقٍ من طرق المدينة، وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا: مرَّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق.

* وذكر إسحاق بن راهويه - رحمه الله - نحواً من هذا فقال: إن هذه الرائحة كانت رائحة رسول الله ﷺ من شعر طيب.

* والإمام النووي - رحمه الله - يشيرُ إلى أن هذا الريح الطيب كرامة من الله للنبي الكريم فيقول: وهذا مما أكرمه الله تعالى به.

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٨ و ٣٠٩).

(٢) انظر الحلية (٢/٦١)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/٢٥٨).

طيباً، ومع هذا كان يستعمل الطيب في أكثر أوقاته مباحة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي، ومجالسة المسلمين.

* وكانت أم سليم - عليها رضوان الله - تبرك بشعر النبي الشريف، وتحتفظ به في مكان أمين من متاعها، فعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ لما أراد أن يحلق رأسه يمني، أخذ أبو طلحة شق شعره، فجاء به إلى أم سليم؛ فكانت تجعله في سكتها^(١).

* أما موضع قم النبي الشريف فنه مكان لا يصل إليه أحد، ذكر أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، وقربة معلقة فشرب منها قائماً، فقامت إلى في السقاء وأمسكتها عندها^(٢). وذكر النووي رحمه الله أن أم سليم إنما قطعت قم القربة؛ لتحفظ موضع قم الرسول الكريم ﷺ، وتبرك به وتصونه عن الابتذال.

* * *

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا:

* سعد أبو طلحة الأنصاري سعادة عظيمة بزواجه من

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٤٢٨).

الْمُؤْمِنَةِ التَّقِيَّةِ أُمَّ سُلَيْمٍ؛ الَّتِي كَانَتْ السَّبَبَ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ
 ظُلُمَاتِ الشُّرْكِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالجِهَادِ، وَقَدْ أَكْرَمَ
 اللَّهُ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ بِوَلَدٍ فَرِحَا بِهِ كَثِيرًا، وَسَمِيَاهُ أَبَا
 عَمِيرٍ، وَغَدَا أَبُو عَمِيرٍ طِفْلًا صَغِيرًا، وَاتَّخَذَ طَائِرًا صَغِيرًا يَلْعَبُ
 بِهِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِالْأَطْفَالِ
 وَبِالْمُؤْمِنِينَ يَدَاعِبُ أَبَا عَمِيرٍ هَذَا، وَشَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ
 يَمْتَحِنَ هَذِهِ الْأُسْرَةَ الظَّاهِرَةَ الَّتِي أُسِسَتْ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ
 يَوْمٍ، فَقَدْ مَرَضَ أَبُو عَمِيرٍ، وَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى
 الْمَسْجِدِ فَقَبِضَ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ، وَهَنَا ظَهَرَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ بِصُورَةٍ
 أُخْرَى لَا تَقَلُّ رَوْعَةً عَنْ صُورِهَا السَّابِقَةِ، وَسَجَلَتْ فَضْلًا ظَلَّ
 ذَكَرَهُ وَمَا يَزَالُ وَسَيَبْقَى إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،
 فَقَدْ تَلَقَّتْ وَفَاتَهُ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ صَابِرَةٍ وَقَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ، وَسَجَّتْ فِي فِرَاشِهِ، وَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تَحَدِّثُوا أَبَا
 طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ، وَلِتَبْرُكِ الْقِصَّةِ لِشَاهِدِ عِيَانِ
 بِرُوَيْهَا لَنَا، وَهَذَا الشَّاهِدُ سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَقُولُ:

كَانَ ابْنُ لَأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَبِضَ
 الصَّبِيَّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟، قَالَتْ أُمَّ
 سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ. فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَى ثُمَّ
 أَصَابَتْ مِنْهَا. فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو
 طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرَهُ فَقَالَ: «أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ» قَالَ:
 نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِهَئِمَّا»، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا. فَقَالَ لِي

فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي، ثم حنكه
وسمّاه عبد الله^(١).

وروي أن عبد الله بن أبي طلحة كان من الصّالحين،
وكانت تلك المسحة غرة في وجهه، وقال عبيد بن رافع: لقد
رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد قرأ القرآن^(٢).

وهكذا نالت أم سليم وزوجها وأولادهما البركة من دعاء
الرّسول الكريم لهما.

* ومن الطّريف أن صاحب كتاب السيرة الحلبية قد أشار
إشارة طيبة إلى قصة أم سليم هذه، وتدل هذه الإشارة على
ما بلغته أم سليم - رضي الله عنها - في مقام الصبر فقال:
ولما أخبر أبو طلحة النبي ﷺ بما تقدم عن أم سليم قال:
«الحمد لله الذي جعل في أمي مثل صابرة بني إسرائيل»،
ولما سئل عليه الصّلاة والسّلام عن خبرها؛ ذكر قصة مشابهة
لقصة أم سليم - رضي الله عنها -^(٣).

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين، وللحديث عدة
روايات بهذا المعنى في كتب التراجم.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٣٣٤/٨)، وصفة الصفة (٦٩/٢)، ودلائل
النبوّة لليهقي (١٩٩/٦).

(٣) انظر القصة في السيرة الحلبية (٧٤/٣).

* وقد نالت أم سليم خيراً كثيراً من دعاء رسول الله ﷺ لها مراراً عديدة، فمن ذلك ما حدث به سيدنا أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دخل على أم سليم فأتته بتمر وسمن فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائكم وتمركم في وعائكم فإني صائم»، ثم قال في ناحية البيت فصلت صلاة غير مكتوبة فدعا لأم سليم ولأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لي خويضة، قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فما ترك خيراً آخرة ولا دنياً إلا دعا لي به^(١).

وروي عن أم سليم - رضي الله عنها - أنها قالت: لقد دعا إلي رسول الله ﷺ حتى ما أريدُ زيادة^(٢).

* * *

الوفية المحسنة:

* كان أم سليم - رضي الله عنها - من فاضلات النساء العاقلات، وكانت - رضي الله عنها - ذات رأي سديد، وذكاء وفراسة، كما كانت على خلق كريم وجمعت صفات طيبة طاهرة، وفوق هذا كله كانت ترغب في العلم، وتسال رسول الله ﷺ عما كان يشكل عليها^(٣).

(١) انظر طبقات ابن سعد (٤٢٩/٨).

(٢) الاستيعاب (٤٣٩/٤)، والامتنعار ص (٣٩).

(٣) انظر: حياة الصحابة (٣/٢٢١ و ٢٢٢).

رضي الله عنها - - - لم يسألهما الا لسان لم يسأل

يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه^(١).

* وقد كان النبي الكريم ﷺ يعلم أم سليم أمور الدين والعبادة، فمن ذلك ما رواه سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - إذ قال: زار رسول الله ﷺ أم سليم فضلى في بيتها صلاة تطوعاً، وقال: «يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولِي: سبحان الله عشراً والحمد لله عشراً والله أكبر عشراً، ثم سلى الله ما شئت؛ فإنه يُقال لك نعم نعم نعم»^(٢).

* وهذه الصحابة الكريمة كانت مثلاً عالياً في الوفاء والإحسان، فقد أحسنت بإيمانها، وأحسنت برعايتها لزوجها وأولادها، وقيل هذا أحسنت لرسول الله ﷺ.

* بهذه الأخلاق وبهذه السمات كانت تنال المكانة عند رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام يفيض عليها بالعلم والتوجيه اللطيف لأداء العبادات، ذكر ابن سعد أن النبي الكريم ﷺ سأل أم سليم فقال لها: «ما لأم سليم لم تحج معنا العام؟»

قالت: يا نبي الله كان لزوجي ناضحان، فأما أحدهما فحج علي، وأما الآخر فتركه يستقي عليه نخله.

(١ و ٢) طبقات ابن سعد (٤٢٦/٨).

فقال النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ رَمَضَانَ أَوْ شَهْرَ الصَّوْمِ فَاعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عِمْرَةَ فِيهِ مِثْلُ حَجَّةٍ، أَوْ تَقْضِي مَكَانَ حَجَّةٍ»، أَوْ قَالَ: «عِمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَجْزِيكَ عَنِ حَجَّةٍ مَعِيَ»^(١).

* وَفِي مَجَالِ الرَّفْقِ، كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرْفُقُ بِأُمَّ سُلَيْمٍ وَمَنْ مَعَهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَعِنَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِنَّ يَسُوقْنَ بِهِنَّ سَوَاقٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ أَنْجِشَةَ رَوَيْدًا سَوَقُكَ بِالْقَوَارِيرِ»^(٢).

* * *

شَجَاعَتُهَا وَجِهَادُهَا:

* عَرَفْنَا أُمَّ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سَيِّدَةً فَاضِلَةً مِنَ الطَّرَازِ الْأُولَى، عَرَفْنَاهَا زَوْجًا صَالِحَةً، وَأُمًّا رَوِّفًا، وَعَابِدَةً قَانِتَةً، وَكَرِيمَةً سَخِيَّةً مَبَارَكَةً، وَلَكِنْ مَاذَا نَعْرِفُ عَنْ جِهَادِهَا؟

* لَا شَكَّ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَدْ أَبْدَعَتْ فِي جَمِيعِ الْمَجَالَاتِ، وَكَانَ لَهَا جِهَادٌ مَشْكُورٌ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي جَاهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أُمِّ

(١) طبقات ابن سعد (٨/٤٣٠).

(٢) المرجع السابق نفسه.

سوره من الأنصار فسلي المرصبي ويداوين الجرحى -

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأُمّ سليم - رضي الله عنها - ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى^(١).

* وذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - أن أمّ سليم - رضي الله عنها - شهدت حنيناً وأحداً، وكانت من أفاضل النساء^(٢).

* وقال محمد بن سيرين التابعي الجليل: كانت أمّ سليم مع النبي ﷺ يوم أحد ومعها خنجر.

* والآن سنرى بعض صور مشاركتها في الجهاد مع النبي الكريم ﷺ.

* * *

موقفها في غزوة أحد:

* لم يكف أمّ سليم - رضوان الله عليها - أن تؤدي دورها في البيت فحسب، بل حرصت على أن تشارك رجال الإسلام في جهادهم بسقاية الماء، ومداواة الجرحى، وما شابه ذلك، ففي غزوة أحد خرج مع المسلمين أربع عشرة امرأة يحملن

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٤).

الطَّعام والشَّرابِ على ظهورهن ويستقن الجرحى ويداوينهم، وكان عنهن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء بنت سيِّدنا رسول الله ﷺ، والصَّديقة بنت الصَّديق عائشة زوج النَّبي الكريم وحملة بنت جحش وأمَّ أيمن وأمَّ عُمارة^(١) وغيرهن. وقد روى سيِّدنا كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: رأيت أمَّ سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما القرب يحملانهما يوم أحد^(٢).

* وكان لأمِّ سليم ولهؤلاء النسوة أثرٌ طيبٌ وعملٌ مشكور يوم أحد، فقد روى الشَّيخان في صحيحيهما عن سيِّدنا أنس ابن مالك - رضي الله عنه - قال: ولقد رأيتُ عائشة بنت أبي بكر وأمَّ سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدَم سوقيهما تنقران - تهرولان - القرب على متونهما؛ تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملانهما، ثم تجئان فتفرغانه في أفواه القوم.

* * *

دَوْرُهَا فِي خَيْبَرَ:

* في غزوة خيبر خرج مع رسول الله ﷺ عشرون امرأة يتفننن في الجهاد ومرضاة الله ومرضاة رسوله، منهن أم سلمة

(١) اقرأ سيرة هذه الصحابة الجليلة في هذا الكتاب.

(٢) المغازي (١/٢٤٩).

وكان للصحابة المعطاء أم سليم في هذه الغزوة فضيلة مباركة نالتها وخصها بها النبي ﷺ، وذلك عندما كان عليه الصلاة والسلام راجعاً من حبير، وأراد أن يتزوج صفية بنت حيي، فلما كان بموضع يُقال له «الصُّهباء» قال لأم سليم: «انظري صاحبك هذه فامشطيهما»، وأراد أن يعرس بها هناك، فقامت أم سليم فأخذت كساءين وعباءتين فسترت بهما عليها إلى شجرة فمشطتها وعطرتّها، وأعرس بها رسول الله ﷺ هناك^(١).

* وفي هذه الغزوة نالت أم سليم أجر الجهاد، وحظيت بمرضاة رسول الله وإكرامه وثقته، فأكرم بجهادها وعملها!.

* * *

«وَيَوْمَ حُنَيْنٍ»

* للصحابة المجاهدة أم سليم - رضوان الله عليها - شأن كبير ودور مبارك في غزوة حنين، تلك المعركة الفاصلة بين المسلمين والمشركين، فقد خرجت تبغى أجر الجهاد مع

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٤٠)، والمغازي (٢/٧٠٧ و٧٠٨)، وأنساب الأشراف (١/٤٤٣).

النبي ﷺ، وكان معها خنجرٌ قد حزمته على وسطها - وهي يومئذٍ حامل بعيد الله بن أبي طلحة - وراها سيدنا أبو طلحة فقال لها: ما هذا معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته معي -

وجاء أبو طلحة يوم حنين يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم؛ فقال: يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «ما تصنعين به يا أم سليم؟» قالت: أردتُ إن دنا أحدٌ من المشركين مِنِّي طعنته^(١).

من هذا المنطلق وصفها أبو نعيم بأنها الطاعنة بالخناجر في الوقائع والحروب، فأعظم بهذا الوصف!

* وهكذا حظيت الصحابية الجليلة - رضوان الله عليها - بشرف الجهاد، ولعلمها بمكانة الجهاد وثوابه، سألت النبي الكريم ذات مرة عندما برئت من مرض ألمَّ بها فقالت: يا رسول الله ما أفضل الجهاد؟ فقال ﷺ: «عليك بالصلاة فإنها أفضل الجهاد، واهجري المعاصي فإنه أفضل الهجرة». وظلت أم سليم رضي الله عنها تلتزم بهذه القاعدة إلى أن لقيت ربها.

* * *

(١) عن المغازي (٣/٩٠٤)، وصفة الصفوة (٢/٦٦)، والسيرة الخلية (٣/٧٣) بتصرف يسير.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ * خالد بن فيهما لا يبتغون عنها حولا ﴿ [الكهف: ١٠٧ و ١٠٨].

* الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، وَاحِدَةٌ مِنْ فَضْلِيَّاتِ النِّسَاءِ اللَّائِي تَرَكْنَ أَثْرًا خَالِدًا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، قَالَ عَنْهَا الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : كَانَتْ مِنْ فَاضِلَّاتِ النِّسَاءِ (١).

كما كانت - رضي الله عنها - زوجةً صالحَةً، وداعيةً حكيمةً، ومربيةً فاضلةً، أدخلت أنساً ابنها في مدرسة النبوة فبقي فيها، ونال أعلى درجات النجاح.

وكانت مع هذا وذاك حافظةً واعيَّةً لأحاديث المصطفى الكريم ﷺ، فقد روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً، اتفقاً على حديثين، وانفرد البخاريُّ بحديثٍ ومسلمٌ بحديثين (٢).

ومن روى عنها ابنها سيدنا أنس بن مالك، وسيدنا عبد الله بن عباس، وسيدنا زيد بن ثابت - رضي الله عنهم - وآخرين (٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣٦٣/٢).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٣١١/٢)، والمجيب ص (١٠٤ و ١٠٥).

(٣) الإصابة (٤٤٢/٤).

* وقد حظيت أم سليم - رضي الله عنها - ببشارة النبي ﷺ بالجنة، لستمع نبأ البشارة المباركة يزفها لنا سيدنا أنس - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي؛ فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان»^(١).

* وللحديث لفظ آخر عند الإمام مسلم وفيه البشارة بالجنة، فعن سيدنا جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرُميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟، فقال: هذا بلال»^(٢).

* وبعد، فقد عشنا لحظات طيبة ساركة مع صاحبة السيرة العطرة أم سليم - رضي الله عنها - التي فازت بالرضوان - الجنة - وسعدت بصحبة النبي الكريم ﷺ، فأسعدتنا بأعمالها الرائعة، رضي الله عنها وأرضاها.

وقبل أن نودع الغميصاء أم الأبطال، وأخت الشهداء وزوج الكريم أبي طلحة نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي، كما رواه النسائي أيضاً.
 (٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٤٥٧)، وانظر: طبقات ابن سعد (٤٣٠/٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيِّدَنَا مَلِكًا رَاقِيًا
وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ

41411

أم ورقة الأنصارية
رضي الله عنها

• وقري في بيتك؟ فإن الله تعالى يرزقك الشهادة

حديث شريف

• وانظروا بنا لزور الشهادة

حديث شريف

تجد عدداً من القصص والمسیر
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

أم ورقة الأنصارية رضي الله عنها

في رحاب الأنصار:

• سرى الفرح إلى قلوب الأنصار بقرب حلول رسول الله ﷺ في المدينة، فما هو النبي الكريم ﷺ على مقربة من المدينة قاب قوسين أو أدنى، ونادى مناد أن وصل رسول الله المدينة، فخرج الرجال والنساء لاستقباله جميعاً، وهم مستبشرون بقدومه.

• وقد وصفت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قدوم رسول الله ﷺ المدينة المنورة فقالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

جئت بالأمر المطاع

* وروى سيّدنا البراء - رضي الله عنه - فقال: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ (٢).

* ونزل النبي الكريم ضيفاً في دار بني النجار، وخرجت جواريات من بني النجار بالذئوف يقلن:

نحنُ جوارٍ من بني النجار
يا حيذا محمداً من جار

فخرج إليهن رسول الله ﷺ وقال: «أتحييتي؟» قلن: نعم يا رسول الله. فقال: «الله يعلم أن قلبي يحبكن» (٣).

* وما أجمل ما قاله الإمام السبكي - رحمه الله -:

نزلت على قوم بإيمن طائر
لأنك ميمون السنا والنقبة
فيا لبني النجار من شرف به
يجرون أذيال المعالي الشريفة

* من هذا الحي المضيف تأتي الصحابة الكريمة أم ورقة الأنصارية، التي كانت نموذجاً رائعاً لتساء الأنصار في

(١) عن السيرة الحلبية (٢/٢٣٤ و ٢٣٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

مجالات متعددة، وفي الصفحات التالية نتعرف بعض جوانب حياة أم ورقة التي جمعت العلم إلى جانب الفضل.

العبادة الحافظة:

* عندما ذكّر ابن سعد في طبقاته الكبرى نساء بني مالك ابن النجار عدّ منهن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية (١) ضيفة حلقنا اليوم، وأم ورقة هذه لا تُعرف إلا بهذا الاسم، وبه قد اشتهرت.

* وهذه الصحابة الجليلة واحدة من نساء الأنصار اللاتي سطرن أروع الصفحات في تاريخ الإسلام، وقد أسلمت مع السابقات وبايعت رسول الله وروّت عنه.

* كانت أم ورقة - رضي الله عنها - من فواضل نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين. نشأت على حب كتاب الله، وراحت تقرأ آياته آباء الليل وأطراف النهار، حتى غدت إحدى العابدات الفاضلات، فجمعت القرآن الكريم، وكانت تندير معانيه، وتتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مجيدة للقرآن، اشتهرت بكثرة الصلاة، وحسن العبادة.

وكان النبي الكريم ﷺ يزورها ويكرمها، ذكر ابن حجر

(١) طبقات ابن سعد (٤٥٧/٨).

قرأت القرآن؛ فاستأذنت النبي ﷺ في أن تتخذ في دارها مؤذناً فأذن لها^(١).

* وكان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يقدرُ أم ورقة ويعرف مكانتها، ويكبر حفظها وإتقانها، لذلك أمرها بأداء الصلاة في بيتها، ففي سنن أبي داود عن عبد الرحمن بن خلاد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث قال:

«كان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها، وجعل لها مؤذناً يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها»^(٢).

قال عبد الرحمن راوي الحديث: فأنا رأيت مؤذنها شيخاً كبيراً.

* وهكذا جعلت أم ورقة - رضي الله عنها - من بيتها مسجداً تؤدي فيه الصلوات كلها، وذلك بإشارة من النبي الكريم الذي لاحظ نقاء نفسها وصفاء سريرتها، فجعلها إماماً للنساء، فكان يقتلدين بها في العبادة والعلم والورع والزهد.

* * *

(١) انظر الإصابة (٤/٤٨١).

(٢) انظر سنن أبي داود (١/٩٧) - طبعة دار الكتاب العربي، وانظر كذلك الاستيعاب (٤/٤٨٢).

حُبِّهَا لِلجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ:

* ظلت أم ورقة - رضوان الله عليها - تحافظ على شعائر الله، وعلى إقام الصلاة، وكانت تؤم النساء إلى أن نادى داعي الجهاد، ودعا رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إلى بدر قائلاً: «هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها» فاستجاب ناس وثقل آخرون، حيث ظنوا أن رسول الله ﷺ لم يلق حرباً، وظنوا كذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم يهتم بها، غير أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ»^(١) حاضراً فليركب معنا، ولم ينتظر عليه الصلاة والسلام من كان غائباً عنه.

* ونُصِي إلى أم ورقة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ، خارج لاعتراض غير قريش، فأسرعت وأنت رسول الله ﷺ تطلب أن يأذن لها الغزو، ولتترك الحديث لأم ورقة نفسها لتحدثنا عن حبها ورغبتها في الجهاد فتقول:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا غَزَا بَدْرًا قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الْغَزْوِ مَعَكَ أَمْرُضٌ مَرَضًا كَمَ لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ، قَالَ: «قَرِي فِي بَيْتِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ الشَّهَادَةَ»^(٢).

(١) «ظهره»: أي ما يركبه.

(٢) انظر سنن أبي داود (٩٧/١)، وانظر: السيرة الحلبية (٣٧٥/٢)؛ وانظر كذلك كتاب «حجة الله على العالمين» ليوسف النبهاني (٨٢/٢).

امر النبي الكريم ﷺ، فطاعه رسول الله واجبه.

عادت وقرت في بيتها ولزمت دارها بانتظار بشارة رسول الله لها بالشهادة، وهذه الطاعة جعلتها أهلاً لزيارة الرسول الكريم، فقد كان النبي ﷺ إذا أراد زيارتها اصطحب ثلثة من أصحابه الكرام، وقال لهم: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»^(١).

* وعدت أم ورقة - رضوان الله عليها - تُعرف بهذا الاسم الطيب المعطار، فكانت تُسمى بالشهيدة، ورحم الله أبا نعيم حيث ذكرها في مطلع ترجمته لها بقوله: الشهيدة القارئة، أم ورقة الأنصارية، كانت تزوم المؤمنات المهاجرات، ويزورها النبي ﷺ في الأحيين والأوقات^(٢).

* إن امرأة يزورها النبي الكريم لذات حظ عظيم.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون» فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا

(١) عن أسد الغابة ترجمة رقم (٧٦١٨).

(٢) انظر الحلية (٦٣/٢).

خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة آل عمران:
١٦٩ و ١٧٠].

• ظلت الصحابة الجليلة أم ورقة - رضي الله عنها -
تحافظ على شعائر الله طوال حياة رسول الله ﷺ، وكانت
تتظر ما بشرها به رسول الله - الشهادة - لتفوز بالجنة التي
أزلفت للمتقين.

وانتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى وهو راضٍ عن
أم ورقة، وتابعت حياة العبادة والتقوى في عهد سيدنا أبي
بكر الصديق - رضي الله عنه - على الصورة التي كانت عليها
من قبل.

• وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان
يتفقدتها ويزورها، اقتداء بالنبي الحبيب ﷺ، وكانت أم ورقة
- رضي الله عنها - تملك غلاماً وجارية، وكانت وعدتهما
بالعق بعد موتها، فسوّلت لهما نفسيهما أن يقتلا أم ورقة،
وذاث ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها وهربا، فلما أصبح سيدنا
عمر - رضي الله عنه - قال:

والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة.

فدخل الدار فلم ير شيئاً، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في
قطيعة في جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد
المنبر فذكر الخبر وقال: عليّ بهما، فأتني بهما، فسألتهما

بالمدينة، شرفها الله تعظيماً وتكريماً.

* عندها قال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول : «انطلقوا بنا نزور الشهيدة» (٢).

وهذا من الأدلة القاطعة على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ في إخباره بأن أم ورقة ستدرك الشهادة، فاستشهدت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، ونالت بذلك أجر الشهداء الذين آتاهم الله من فضله، وحظيت بالجنة التي وعد المتقون.

* رحم الله الصحابية الأنصارية الشهيدة العابدة المحدثة أم ورقة، ونصر الله قبرها.

وقبل أن نودع سيرة حافظة القرآن التي كانت من صفة الصفة من النساء، نقرأ قوله تعالى : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ» [سورة القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) انظر سنن أبي داود (٩٧/١)، والاستيعاب (٤٨٢/٤)، وطبقات ابن سعد (٤٥٧/٨).

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٣٨١/٦)، والاستيعاب ص (٣٥٩)، والحلية (٦٣/٢).

إِسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي حَسْبَةَ

إِسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي حَسْبَةَ

1411 هـ

أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ
ابْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

• قال رسول الله ﷺ لأسماء عندما بايعته:

• «انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسنَ تبعل
إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاة وإتباعها لموافقته يبدل كل ما ذكرت
للرجال».

• «ولا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

• تجد عددا من القصص والمسیر
فی موقع المفكرة الدعویة

• حديث شريف

www.dawahmemo.com

أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الْبَدَايَةُ الْمُشْرِقَةُ:

* هذه السيرة العظيمة، لواحدة من النسوة الطاهرات، اللواتي صرّهن أروع الأمثلة في الإيمان والعلم والصبر، فكتب لها الخلود في تاريخ مشرق الأنوار والبركات.

* أسلمت في السابقين من الأنصار على يد مصعب الخير، الذي انطلق من خير دور الأنصار - دار بني عبد الأشهل - قوم سيدنا سعد بن معاذ - رضي الله عنه - ، هذا الصحابي الكريم الذي كان إسلامه بركة على قومه، فقد روي أنه يوم أسلم ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

* وفضائل صحابية اليوم كثيرة، فهي من ذوات العقل الراجح والدين، والشجاعة والإقدام، والصبر والإيمان، زد على ذلك أنها إحدى راويات الحديث النبوي الشريف،

وكانت ممن أوصل النور النبوي إلينا خلال مروياتها عن رسول الله ﷺ.

* يعرفنا الإمام ابن حجر بهذه الصُّحَابِيَّةِ الكريمة فيقول:
هي أسماء بنت يزيد بن السَّكَن بن رافع بن امرئ القيس
الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية^(١)، كانت تكنى أم سلمة
ويقال أم عامر^(٢)، من المبايعات المجاهدات، ومن النساء
اللاتي عشن فجر الإسلام في المدينة المنورة، وفُزِنَ بِشرف
الصُّحْبَةِ النَّبَوِيَّةِ المباركة، كما فُزِنَ بمرضاة الله سبحانه
ومرضاة رسوله الكريم ﷺ.

* ومن الجدير بالذكر أن نَسَبَ أسماء بنت يزيد - رضي
الله عنها -، يلتقي مع نسب سيدنا سعد بن معاذ - رضي الله
عنه - في جدهما امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل،
فأكرم بهذا النسب!

* * *

«إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِحِرَاءً»:

* حازت الصُّحَابِيَّةُ الجليلةُ أسماء بنت يزيد - رضي الله

(١) انظر تهذيب التهذيب (٣٩٩/١٢)، والإصابة (٢٢٩/٤).

(٢) ذكر معظم الذين ترجموا لأسماء أنها تكنى بالكنتيين، ومعظم
الروايات تقول: إن أم عامر وأم سلمة هما أسماء بنت يزيد، وهذا =

عنها - ، شهادة الفصاحة من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - ، فقد عُرفت بحُسن المنطق، وقوة البيان، وسحر الكلام، وقد زادت سماتها تلك بأن نهلت من القرآن الكريم والحديث الشريف ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى لقبوها - خطيبة النساء^(١) - ، مما جعل لها بهذا اللقب مكانة متميزة بين نساء الأنصار، وقدت علي رسول الله ﷺ، فبايعته وسمعت حديثه، وألقت خطبة تدل على ذكائها وحسن أدبها وبلاغتها، وتمكنها من ناصية الكلام .

* روى أصحاب التراجم والسير خطبة أسماء البليغة، الأسرة، المؤثرة، وذكروا أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن قولي، وعلى مثل رأبي .

إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فأمنا بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعة والجماعات، وشهود الجناز والجهاد

= ما لاحظناه في أخبارها .

(١) من الجدير بالذكر أن خطيب الأنصار هو سيدتنا ثابت بن قيس - رضي الله عنه - أحد نجباء أصحاب محمد ﷺ . اقرأ سيرة هذا الصحابي في كتابنا رجال مبشرون بالجنة جزء (١) .

فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَهْلُ سَمِعْتُمْ مَقَالَ امْرَأَةٍ أَحْسَنَ سُؤَالًا عَنِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟».

فَقَالُوا: بَلَى وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ظَنْنَا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا.

فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا فَقَالَ: «انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسنَ تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال».

فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ (١).

* * *

دُرْسٌ فِي طَاعَةِ الزَّوْجِ:

* للزوج حقٌّ عظيم على زوجته كما ذكر المصطفى ﷺ حيث قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (٢)، ولذلك أحب النبي الكريم ﷺ أن

(١) انظر في هذا الاستيعاب (٢٣٣/٤)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٦٧١١)، والاستبصار ص (٢١٨ و ٢١٩)، والدر المشور (٥١٨/٢) بروايات متقاربة.

(٢) انظر: كتاب الشفا (٤٢١/١).

يُوجِبُهُ أَسْمَاءُ وَالنِّسَاءُ تَوْجِيهًا لَطِيفًا إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَقَدْ رَوَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا فِي جَوَارِ أَتْرَابِ لِي، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَكُفْرَ الْمُتَمَعِّمِينَ».

وَكَنتُ مِنْ أَجْرَثَيْنِ عَلَيَّ مَسْأَلَتَهُ، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا كُفْرَانُ الْمُتَمَعِّمِينَ؟

قَالَ: «لَعَلَّ إِحْدَاكُن تَطْوُلُ أَيْمَتَهَا بَيْنَ أَبِيهَا، ثُمَّ يَرْزُقُهَا اللَّهُ زَوْجًا، وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا، فَتَغْضَبُ فَتُكْفِرُ فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١).

* وهكذا كانت مشاهد التربية النبوية للنساء، وخصوصاً اللواتي كنَّ يتشدَّن الخَيْرَ والعِلْمَ من جميع جوانبه، وهو لَوْنٌ من ألوان التربية العظيمة التي انغرست في نفوس هؤلاء النسوة المباركات الطاهرات.

* * *

المُبَايَعَةُ الصَّادِقَةُ:

* لِأَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَوْلِيَّةٌ مَبَارَكَةٌ وَسَابِقَةٌ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٤٧)، والإمام أحمد في

المسند (٣٥٧/٤).

الله عليه - قال: اور من بايع النبي ﷺ، ام سعد بن سعد
كَبْشَةَ بنتُ رافع، وأمُ عامر بنتُ يزيد بن السُّكْنِ، وحواء بنت
يزيد بن السُّكْنِ (١).

* وكانت أسماء - رضوان الله عليها - تفخر بهذه الأولياء
وهذا السُّبْقُ إِلَى المِبايَعَةِ؛ فتقول: إِنَّا أَوْلُ مَنْ بايع رسول
الله ﷺ (٢).

* بايعت أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - بيعة الإسلام
على ما كان رسول الله ﷺ يبائع النساء، وكانت بيعتها تفيض
بالإخلاص، وتتسم بالصدق العملي الذي تمثلته منذ
اللحظات الأولى لبيعتهما، ورحم الله أبو نعيم الأصبهاني إذ
وصفها بقوله: أسماء بنتُ يزيد بن السُّكْنِ، النابذة لما يُورثُ
الغرور والفتن (٣).

* وذكر أبو نعيم أيضاً في الحلية قصة تشير إلى تحلي
أسماء عن حليتها عند البيعة، فقد أخرج بسنده عن أسماء
أنها قالت:

أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لِأَبَايَعِهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَعَلِيٌّ سِوَارَانُ مِنْ

(١) انظر الدر المشهور (١٤٣/٨)، وكتابات الأوائل للعسكري
ص (٢٧١)، وطبقات ابن سعد (١٢/٨).

(٢) طبقات ابن سعد (١٢/٨).

(٣) حلية الأولياء (٧٦/٢).

ذهب، فبصر بصيصهما فقال: «ألقى السوارين يا أسماء، أما تخافين أن يسورك الله بأساور من نار؟»

قالت: «فألقيتهما فما أدري من أخذهما»^(١).

* نعم، فالسعادة ليست في الحلي والذهب وجمع المال، ولكنها بالتقى والإيمان الحقيقي؛ الذي تجلّى في أروع صورته عندما طرحت أسماء - رضي الله عنها - سواربها بعيداً، لتجنب النار، وتحظى برضوان الله سبحانه وتعالى في طاعة رسوله ﷺ.

* * *

التلميذة النجيبّة:

* يجب على المرأة المسلمة أن تتعلم شؤون دينها كما يتعلم الرجل، وأن تسلك كل السبل المشروعة الممكنة إلى التسلح بسلاح العلم والوعي، وأن تنبّه إلى مكامن الكيد والغدر، حتى تستطيع أن تؤدي الطاعات، وتقوم بالواجبات في صورة سليمة صحيحة.

* وأسماء بنت يزيد - رضي الله عنها -، نموذج رائع من النساء اللاتي كنّ يسألن رسول الله ﷺ عن دقائق الأسور

(١) حلية الأولياء (٢/٧٦).

وهذا يشير إلى شخصيتها المتميزة، وعقلها الوافر.

وصفها ابن عبد البر رحمه الله بقوله: كانت من ذوات العقل والدين^(١).

وهاتان الصفتان - العقل والدين - جعلتا أسماء من النساء الفاضلات النجيبات في مدرسة النبوة، وجعلتا أسماء أيضاً من فقيهات نساء الأنصار، وما يتوافق مع هذا، أن أسماء - رضي الله عنها - أتت النبي ﷺ، وسألته عن طريق تطهير المرأة من الحيض، فقد ذكر الخطيب البغدادي - رحمه الله - أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت:

إن أسماء بنت يزيد سألت النبي ﷺ عن الغسل من الحيض فقال: «تأخذ سدرتها^(٢) وماءها فتغسل رأسها، وتلكه ذلكاً شديداً حتى يبلغ الماء شؤون رأسها، ثم تأخذ فرصة ممسكة^(٣) فتطهر بها».

قالت: كيف أتطهر بها؟

فقال النبي ﷺ: «سبحان الله العظيم! تطهرين!».

(١) الاستيعاب (٤/ ٢٣٣).

(٢) «السدرة»: شيء من شجر النبي يساعد على نقيّة الأعضاء عند الغسل.

(٣) «فرصة ممسكة»: خرقة أو قطنة مطبّية.

قالت عائشة تشير إليها: تتبعين آثار الدم^(١).

* نلاحظ من هذا الحديث الشريف أن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - تمثل المرأة الواعية التي تتحري الدقة والعلم واليقين في أمور الدين، فلا يمنعها الحياء من ذلك؛ حتى لا تكون على غضاضة من أي أمر يُشكل عليها، ولذا فقد امتدحت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - نساء الأنصار فقالت: نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنِ الدِّينِ وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ.

* وفي حديث أمنا عائشة - رضي الله عنها - ثناء عطر على نساء الأنصار، وثناء حسن مبارك، وشهادة صدق لهن جعلتهن في الدررة العليا من المكارم والفضة.

* * *

مع عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنهما - :

* لأسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - مكانة خاصة في نفس أمنا عائشة - رضي الله عنها - ، فهي التي زينتها يوم زفافها على رسول الله ﷺ، وأدخلتها عليه، وبعد ذلك أصبحت تدعى - أسماء عائشة - أو - أسماء مقيّنة عائشة -^(٢).

(١) انظر: كتاب «الأسماء المبهمة في الأنبياء المحكممة» للخطيب البغدادي ص (٢٨).

(٢) انظر أسند الغاية ترجمة رقم (٦٧٠٤)، والإصابة (٤/٢٤٠).

إني قنيت - زينت - عائشة - رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ، ثم جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلى جانبها، فأتي بعس لين - قحح - فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ فحفضت رأسها واستحيت.

قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ.

قالت: فأخذت فشربت شيئاً، ثم قال لها النبي ﷺ: «أعطي ترابك».

قالت أسماء: فقلت يا رسول الله، بل أخذت فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك، فأحذه فشرب منه ثم ناولنيه.

قالت: فجلست ثم وضعت علي ركبتي ثم طففت أذنيه وأتبعه بشفتي لأصيب منه مشرباً^(١) النبي ﷺ، ثم قال لتسوة عندي: «ناوليهن».

فقلن: لا نستهيبه.

فقال النبي ﷺ: «لا تجمعن جوعاً وكذباً»^(٢).

= «المقينة»: التي تزين المرأة ليوم زفافها.

(١) وذلك حتى تبرك بموضع شربه ﷺ.

(٢) انظر التبع الرباني (١٦/٢١).

في رحاب الكرم والكرامة:

* الكرمُ صفةٌ طيبةٌ من صفات الأنصار الذين شهد الله لهم بذلك، كما شهد رسول الله بذلك أيضاً، وشهد لهم بالخير أيضاً وخاصة قوم أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - ، فقد نقلت أسماء هذه الشهادة فقالت: كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على بيوتنا يقول: «ماذا في هذه الدور من الخير! هذه خيرُ دور الأنصار»^(١).

* وكان الأنصار رجالاً ونساءً يتسابقون إلى الفضائل ابتغاء مرضاة الله سبحانه، وكانت أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - ممن حاز السبق في هذا المضمار، فكانت كريمة الطبع سخيّة.

وقد أكرمها الله سبحانه فطرح البركة في طعامها الذي قدّمته للنبي ﷺ، روت حبر هذه المكرمة بنفسها فقالت:

رأيت رسول الله ﷺ، صلى في مسجدنا المغرب، فجئت بعرقٍ - اللحم بعظمه - وأرغفة فقلت: بأبي وأمي تعش، فقال لأصحابه: «كلوا باسم الله»، فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه ومن كان حاضراً من أهل الدار، فولدني نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرقه وعامة الخبز وإن القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماء عندي في شجب - قربة - ثم

(١) طبقات ابن سعد (٣١٩/٨).

لله المريض وسرب منه في الحين رجاء البركة .

* وأودَّ أَنْ أُشِيرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَى حِرْصِ أَسْمَاءَ بِنْتِ
يَزِيدٍ وَحِرْصِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا - عَلَى
الِاحْتِفَازِ بِأَثَرٍ مِنْ أَثَارِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالِاسْتِشْفَاءِ
بِهِ ، كَمَا رَوَتْ الصَّحَابِيَّةُ الْكَرِيمَةُ أَسْمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ،
وَمَا يَشْفِي النَّفْسَ هُنَا مَا أوردَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
فِي كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ الطَّيِّبِ «الشُّفَا بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى»
حَيْثُ ذَكَرَ فِي التَّبَرُّكِ بِأَثَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ فَقَالَ :

وَمِنْ إِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ إِعْظَامُ جَمِيعِ أَسْبَابِهِ^(١) ، وَإِكْرَامِ
مَشَاهِدِهِ^(٢) وَأَمَكَّتِهِ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَمَعَاهِدِهِ وَمَا لَمَسَهُ ﷺ
أَوْ عُرِفَ بِهِ^(٣) .

* وَأَثَرٌ عَنِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ الْأَخْيَارِ ،
إِحْتِفَازُهُمْ بِأَشْيَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلتَّبَرُّكِ بِهَا ، وَمِنْ الْبِرْكَاتِ
هُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ عَقَدَ فِي

(١) انظر طبقات ابن سعد (٨/٣١٩ و ٣٢٠) ، والإصابة (٤/٢٥٠) ،
وانظر كذلك كتاب: «حجة الله على العالمين» للشيخ
(٢) (٢١١/٢) .

(٣) «الأسباب» : كل ما ينسب إلى النبي ﷺ من فراشه ولباسه ممن لا
روح فيه .

(٣) «مشاهدته» : مواضعه التي حضرها أو نزل بها ﷺ .

(٤) انظر الشفا (٢/٦١٩) وما بعدها .

كتابه الشافي «الشفاء» فصلاً في «كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره» (١) ﷺ.

* * *

كرامةٌ أُخرى لأسماء:

* مرة ثانية يكرم الله سبحانه وتعالى أسماء بنت يزيد ببركة طعامها وزيادته، كان هذا في غزوة الخندق حيث أرسلت بقعة فيها حيس - تمر وسمن - إلى رسول الله ﷺ وهو عند أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، فأكلت أم سلمة حاجتها، ثم خرج بالقعة فنادى منادي رسول الله ﷺ إلى عشائه؛ فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي (٢).

* وتكثيرُ الطعام إحدى المعجزات التي أيد الله بها النبي الكريم، وقع هذا في مواضع كثيرة، وحدث مع عددٍ من الصحابة والصحابيات، كما حصل لفاطمة الزهراء (٣) بنت رسول الله ﷺ، وأم سليم (٤) وزوجها أبي طلحة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعاً.

(١) الشفاء (١/٤٦٢ - ٤٧٠).

(٢) المغازي (٢/٤٧٧).

(٣) اقرأ قصة بركة الطعام في سيرة فاطمة بنت رسول الله ﷺ من هذا الكتاب.

(٤) اقرأ سيرة الصحابية أم سليم بنت ملحان وقصة بركة طعامها وثبركها =



أَسْمَاءُ وَحُكْمٌ مِنَ الْقُرْآنِ:

* حرصُ القرآنِ على الاهتمامِ بشأنِ المرأةِ في جميعِ أطوارها، وموافقها من مشاكلها ودقائقها، فقد تحدّثَ عنها وعن حقوقها، وجعل لها اعتباراً ومكانةً باعتبارها أمّاً وأختاً وبناتاً وزوجةً، وعالج فطرتها فبلغ بها اسمى منازل الكمال، كما عالج واجبها فأظهر ما لها وما عليها.

* وللصّحابةِ الكريمةِ أسماءَ بنتِ يزيدٍ - رضي الله عنها - نصيبٌ في القرآنِ الكريمِ، وأوليةٌ لها بها فصلُ السّبِقِ، فقد أخرج أبو داود وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن أسماءَ بنتِ يزيدِ بنِ السّكنِ الأنصاريةِ قالت:

طَلَّقْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَطْلُوقَةِ عِدَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ حِينَ طَلَّقْتُ الْعِدَّةَ لِلطَّلَاقِ ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ

= بِأَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ.

(١) الصحيحان في مواضع متفرقة، وانظر مثلاً البداية والنهاية (٩٧/٤)، والسيرة الحلبية (٣/٣٦٤)، ودلائل النبوة للأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي في مواطن كثيرة، وغيرها من كتب السير والتراجم.

بأنفسهن ثلاثة قُرُوء» [البقرة: ٢٢٨]، فكانت أول من أُتِرت
فيها العدة للمطلقات^(١).

* وهذا إكرام من الله سبحانه وتعالى للمرأة عامة ولأسماء
خاصة - رضي الله عنها - ، وذلك لصون المجتمع وحفظه من
الشوائب، والمحافظة على بقائه سليماً نقياً.

* * *

أَسْمَاءُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ:

* من المناقب الكريمة التي تُضاف إلى الصُّحابة الكريمة
أسماء بنت يزيد؛ وَعَينها حديث رسول الله ﷺ وروايتها له،
روت عن النبي الكريم ﷺ جملة أحاديث بلغت واحداً
وثمانين حديثاً، وروى لها أبو داود والترمذي وابن ماجه،
وحدّث عنها مولاها مهاجر بن أبي مسلم، وشهر بن
حوشب، وابن أختها محمود بن عمرو الأنصاري وغيرهم^(٢).

* وأسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - من أكثر المسلمات
رواية لحديث رسول الله ﷺ، بعد أمنا عائشة وأمنا أم سلمة

(١) انظر سنن أبي داود (١/٣٥٨)، باب في عدة المطلقة، وانظر
تفسير الإمام ابن كثير للآية [٢٢٨] من سورة البقرة، وتفسير
القرطبي (١٨/١٥٠)، والدر المشور للسيوطي (١/٦٥٦)، وانظر
كذلك «أسباب النزول» للشيخ عبد الفتاح القاضي ص (٣٨).

(٢) عن تهذيب التهذيب (١٢/٣٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٩٧)،
وأعلام النساء (١/٦٧).

السَّعْيَاءِ إِلَى بَيْتِ أَبِي سَبِيحٍ، سَلَّمَ رَدَّ أَبُو سَلِيمٍ إِلَى السَّعْيَاءِ
أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدٍ كَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهَذَا أَيْضاً
يَزِيدُهَا عِلْماً وَفَقْهاً وَبِرْكَهً وَفَضْلاً.

* * *

مِنْ مَرَوِيَّاتِهَا:

* مِنْ مَرَوِيَّاتِ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلَا
يُبَالِي»^(١).

* وَمِنْ مَرَوِيَّاتِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَمِّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ:
«أَلَا يَرِقُّ دَمْعُكَ وَيَذْهَبُ حَزْنُكَ بِأَنَّ ابْنَتَكَ أَوْلَى مَنْ ضَحَكَ اللَّهُ
لَهُ وَاهْتَزَّتْ لَهُ الْعَرْشُ»^(٢).

* وَرَوَتْ أَسْمَاءُ أَيْضاً أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ
فِيمَا بَيْنَ الْآيَاتِينَ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةُ آلِ عِمْرَانَ ﴿وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ﴾»^(٣).

* * *

(١) الحديث أخرجه الترمذي وانظر كتاب: حَسَنُ الْأَسْوَةِ ص (٢٨٢).
(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢٧/٢)، وطبقات ابن سعد
(٤٣٤/٣).
(٣) انظر العقد الفريد (٢٢٣/٣).

رَحَلَتْهَا مَعَ الْجِهَادِ:

* الجهادُ في سبيل الله تعالى، هو ما كانت تتطلع إليه أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها وأرضاها - .

* ولأسماء باع طويلاً ورحلة شائقة في عالم الجهاد، فمنذ أن بايعت رسول الله ﷺ بيعتها المشهورة، كانت تطوي في نفسها التطلع إلى المشاركة في الجهاد.

* وقد نشأت أسماء - رضي الله عنها - في أسرة عُرِف أفرادها بالتضحية والجهاد منذ أن أعلنت كلمة التوحيد، ومنذ أن صادف نور الإيمان قلوبهم الصافية حاليةً فتمكن منهم.

* وإذا ما تسعنا رحلة جهاد أفراد أسرتها، ألفيناهم من أبطال الإسلام وأعلامه، ومن فرسان مدرسة النبوة الميامين، حازوا فضيلة الجهاد مع رسول الله ﷺ، ونالوا شرف الاستشهاد إذ اتخذهم الله شهداء، ومن يتخذ الله شهيداً فقد فاز فوزاً عظيماً.

* ولآل السكّن هؤلاء مواقف وضاءة في غزوة أحد، كما أن لأسماء - رضي الله عنها - موقفٌ وضيءٌ يتضح بالبطولة، ويفوح برائحة الإيمان ويشير إلى حبّ الفداء للنبي الكريم ﷺ.

* وتعال - عزيزي القارئ - نشهد مع هذه الأسرة المباركة وقفتها الخالدة يوم أحد؛ ونرى دور أسماء وأقاربها.

يوم أحد مع رسول الله ﷺ. زياد بن السَّكْنِ الأنصاري الأشهلي، أحد
الفرسان الأبطال الذين باعوا أنفسهم لله واستشهدوا يوم أحد
عندما قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ رَجُلٌ يَبِيعُ لَنَا نَفْسَهُ؟»

فوثبَ فتيّةٌ مِنَ الأنصار خمسة منهم زياد بن السَّكْنِ رضي
الله عنه، فقاتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السَّكْنِ، فقاتل
حتى أثبت - جرح جراحة لا يتحرك منها - ثم ثابَّ إليه ناسٌ
من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا - أزالوا - عنه العدو،
فقال رسول الله ﷺ لزياد بن السَّكْنِ: «أَدْنُ مِنِّي»، وقد أثبتته
الجراحة، فوسده رسول الله ﷺ على قدمه حتى مات
عليها^(٢).

* وابن عمها: عمارة بن زياد بن السَّكْنِ، قُتِلَ يوم أحد
شهيداً، ووُجِدَ به أربعة عشر جرحاً^(٣).

* وهكذا فقد اتخذ الله المؤمنين شهداء، ومنهم آل
السَّكْنِ الأخيار، الذين خلفوا وراءهم نساء يحملن قلوباً

(١) انظر الاستيعاب (٣/٦١٢)، والإصابة (٣/٦٢٠)، وأسد الغابة
ترجمة رقم (٥٥٥١)، والاستبصار ص (٢١٨).

(٢) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (١٨٩٩)، والاستبصار ص (٢١٧).

(٣) انظر الاستيعاب (٣/١٩ و ٢٠)، والاستبصار ص (٢١٧).

مملوءة بمحبة الله سبحانه، ومحبة رسوله الكريم ﷺ، ومنهن أم سعد بن معاذ وبطله حلفتنا أسماء بنت يزيد - رضي الله عنهما -، فإنه لما بلغها استشهاد أبيها وأخيها وعمها وابن عمها خرجت تنظر إلى سلامة رسول الله ﷺ، وهو قادم من أحد، وعندما رآته سالماً قالت: كل مصيبة بعدك جلل^(١) - هينة -.

وخرجت كذلك أم سعد بن معاذ - رضي الله عنهما -، فلما رأت النبي ﷺ قالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوت هانت - المصيبة - وكان ابنها عمرو بن معاذ قد استشهد مع اثني عشر رجلاً من بني عبد الأشهل، فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو ثم قال:

«يا أم سعد، أبشري وبشري أهلكم أن قتلاهم قد تراقبوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهلكم».

قالت: رضيينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا؟

ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلفوا.

فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن

الخلف على من خلفوا»^(٢).

(١) (٢ و ١) المغازي للواقدي (١/٣١٥ و ٣١٦).

* وشهدت أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - كثيراً من الأحداث الهامة في الإسلام، وكانت تشارك فيها، فقد تابعت رحلة الجهاد مع رسول الله ﷺ، فشاركت في غزوة الخندق بإكرام النبي ﷺ بالطعام، وخرجت معه إلى الحديبية^(١)، وبايعت بيعة الرضوان^(٢)، ثم شاركت في غزوة خيبر^(٣)، وظلت تقدم جهداً مشكوراً في حياة النبي ﷺ إلى أن توفي وهو راضٍ عنها.

* * *

أسماء ورحلة جهادٍ أخرى:

* لم تتوقف الصحابة الجليلة أسماء بنت يزيد عن الجهاد، فما إن أقبلت السنة الثالثة عشرة من الهجرة، حتى خرجت إلى بلاد الشام لتأخذ مكانها في جيش المسلمين في اليرموك لتسقي العطشى وتضمد جراح الجرحى.

* ومعركة اليرموك من أشهر معارك المسلمين التي خلدها

(١) انظر المغازي (٢/٥٧٤).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٧).

(٣) المغازي (٢/٦٨٥)، والإصابة (٤/٤٥٠).

التاريخ، وسجل انتصارات المسلمين فيها انتصاراً يفيض بالبركة، كما سجل كذلك دور المرأة المسلمة التي شاركت فيها مشاركة فعلية مع المجاهدين. فقد ذكر أن أبطال المسلمين قاتلوا قتالاً شديداً يومذاك، حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال، وكُنَّ يشجعنهم، ولما احتدمت المعركة واستعرت نارها جعل بعض رجال المسلمين يتراجع، ولكن النساء المجاهدات كنَّ لهم بالمرصاد، وكانت النساء تستقبل من انهزم ويضربنهم بالخشب والحجارة، وذكر ابن كثير - رحمه الله - دور النساء في هذه المعركة الحاسمة فقال:

وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وكُنَّ يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلاج، فإذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال^(١).

* وعندما سمع جنود المسلمين هذا رجعوا إلى مواقعهم، وتبايعوا على الموت، وقاتلوا حتى كتب الله لهم النصر وشردوا جموع الروم.

* أما بطلت النساء أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - ، فلم تكن أقل شجاعةً وبسالةً من جنود المسلمين الذين جندلوا آلاف المشركين، فانغمرت في الصفوف وأردت عدداً

(١) انظر البداية والنهاية (١٣/٧). ولمزيد من تفاصيل معركة اليرموك اقرأ تاريخ الطبري (٣٣٥/٢) وما بعدها طبعه دار الكتب العلمية.

أم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد بن السكن،
شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعةً من الروم بعمود
فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا^(١).

* وأورد الإمام الذهبي - رحمه الله - أن أسماء بنت يزيد
- رضي الله عنها - سكنت دمشق، وقبر أم سلمة الذي بمقبرة
باب الصغير هو قبرها إن شاء الله^(٢).

* وهذا الكلام معقول جداً، لأن اليرموك في الشام،
وعقب انتهاء معركة اليرموك، انتقلت أسماء إلى دمشق مع
من انتقل من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم جميعاً -

* وذكر الذهبي أيضاً ما يتوافق مع هذا فقال: عاشت إلى
دولة يزيد بن معاوية^(٣) - وقول الذهبي - رحمه الله - ينسجم
مع قول ابن حجر بأن أسماء عاشت دهرًا بعد معركة
اليرموك.

* * *

(١) الإصابة (٢٢٩/٤)، وانظر كذلك مجمع الزوائد للهيتمي
(٢٦٠/٩) حيث أورد هذا الخبر وقال عنه: رواه الطبراني وزجاله
ثقات، وانظر سير أعلام النبلاء (٢٩٧/٢).
(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٩٧/٢).

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* أسماء بنت يزيد الأنصارية - رضي الله عنها - من فصيلة أهل الإيمان الذين أثبت الله رضاه عنهم، وإثبات رضاه الله عنهم دليل على أنهم أهل لهذا الرضا الذي يهدي إلى الجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

* وأسماء - رضي الله عنها - جمعت من الفضائل والمكارم ما جعلها من النساء اللاتي خصهن رسول الله ﷺ بالفضل، وشهد لهن بالجنة في أكثر من مقام، وذلك لسابقتهن في الإسلام، وصبرهن وجهادهن وإعلائهن كلمة الله.

وقد حظيت أسماء - رضي الله عنها - بشارة رسول الله ﷺ بالجنة أكثر من مرة، ففي غزوة أحد ذكر رسول الله ﷺ أن شهداء بني عبد الأشهل ومنهم والد أسماء قد ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفّعوا في أهلهم^(١).

* وفي الحديثية كانت أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها -

(١) عن المغازي (١/٣١٦).

الرسول - وباللحم يولد، لئلا يلع الجملون المبالين
 والمبايعات مرضاة الله، وحظيت ببشارة الرسول الكريم ﷺ
 بالجنة عندما قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت
 الشجرة»^(١).

* وفي حديث آخر يشير إلى أن الذين حضروا غزوة بدر
 وشهدوا الحديبية، لا يدخلون النار إن شاء الله تعالى، ويدلُّ
 على هذا ما رواه الإمام مسلم والترمذي عن سيدنا جابر بن
 عبد الله - رضي الله عنه - : أن عبداً لحاطب^(٢) جاء إلى
 رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال:

يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار.

فقال: «كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية»^(٣).
 * رضي الله عن أسماء بنت يزيد العاقلة المحدثة،

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت
 الشجرة.

(٢) اقرأ سيرة الصحابي الجليل سيدنا حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله
 عنه - في كتابنا - رجال مبشرون بالجنة - جزء (٢) طبعة دار ابن
 كثير.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل
 بدر، وأخرجه الترمذي في المناقب.

والمجاهدة المؤمنة، والخيرة الكريمة، ونصّر الله قبرها
وجزاها خيراً عما قدمت وعما فعلت.

* ومع وداع سيرة أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - ،
نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ
صِدْقٍ عِنْدَ مُلْكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيِّدَاتُ مَشْرِكَ بِالْحَيْتَةِ

1411 هـ

أُمُّ هِشَامِ بِنْتُ حَارِثَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

• وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ •

حديث شريف

• قَالَتْ أُمُّ هِشَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - :

... .. تَحَلَّيْنَا بِمَشْرِكَ عِزِّ النَّبِيِّ وَالْمُحَمَّدِ، إِلَّا مِنْ لِسَانِ رَسُولِ
... .. فِي مَوْقِعِ الْمَفْكَرَةِ الدَّعْوِيَّةِ

www.dawahmemo.com

أُمُّ هِشَامِ بِنْتُ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

الأُسْرَةُ الحَارِثِيَّةُ:

* فِي بَيْتِ يَعْقُوبَ بِطَيِّبِ الإِيمَانِ، وَيَفِيضُ بِالْكَرَمِ
وَالْبِرْكَاتِ، وَيَتَّسِمُ بِالصَّدْقِ وَالْعِطَاءِ وَالْوَفَاءِ، نَشَأَتْ أُمُّ هِشَامِ
بِنْتُ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيَّةَ النَّجَارِيَّةَ، إِحْدَى نِسَاءِ
الإِسْلَامِ الفَاضِلَاتِ.

* فَأَبُوهَا سَيِّدُنَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ،
وَإِحْدٌ مِنْ فَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ الأَنْصَارِ الأَطْهَارِ وَسَادَتِهِمْ، وَمِنْ
السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ قَدَّمَ مَسَاكِنَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ
حَتَّى قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ الكَرِيمُ: «لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ حَارِثَةَ بِنِ
النُّعْمَانِ مِمَّا يَتَحَوَّلُ لَنَا عَنْ مَنَازِلِهِ»^(١).

فَقَدْ كَانَتْ لِحَارِثَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مَنَازِلُ قُرْبِ النَّبِيِّ
الكَرِيمِ ﷺ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَكَانَ كُلَّمَا أَحْدَثَ رَسُولُ

(١) انظر في هذا طبقات ابن سعد (٤٨٨/٣).

وذكر ياقوت الحموي كرم سيدنا حارثة، ووهبه منازلته للنبي
الكريم فقال: وكان أول مَنْ وَهَبَ لَهُ حِطَّةً وَمَنَازِلَهُ حَارِثَةُ بْنُ
النُّعْمَانِ^(١).

* وسيدنا حارثة هذا واحدٌ ممنَ حظوا بالبشارة بالجنة فعل
عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت:
قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت:
«مَنْ هَذَا؟».

قيل: حارثة.
فقال النبي ﷺ: «كذلكم البر» وكان برّاً بأمه - رضي الله
عنه -^(٢).

* وسيدنا حارثة أيضاً من المئة الصابرة يوم حنين الذين
تكفل الله بأرزاقهم في الجنة^(٣).

* ولحارثة - رضوان الله عليه - منقبة عظيمة، فقد رأى
جبريل عليه السلام مرتين في حياته، وروى حارثة نفسه هذه
المنقبة فقال:

رأيت جبريل من الدهر مرتين، يوم الصورين - موضع

(١) انظر معجم البلدان (٨٦/٥) مادة المدينة.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، وانظر سير أعلام النبلاء
(٣٨٠/٢)، والاستبصار ص (٦٠).

(٣) انظر مجمع الزوائد (٣١٤/٩).

المدينة بالبيع - حين خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة، مرَّ بنا في صورة دحية فأمرونا بلبس السلاح، ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين، مررتُ وهو يكلم النبي ﷺ، فلم أسلم فقال جبريل: مَنْ هذا يا محمد؟

قال: حارثة بن النعمان.

فقال: أما إنه من المئة الصابرة يوم حنين الذين تكفل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلم لرددنا عليه^(١).

* وهذا الصحابي الكريم يقول عنه الإمام الذهبي - رحمه الله - : شهد بدرًا والمشاهد، . . . وكان دينًا خيرًا برًّا بآمته^(٢).

* أمَّا والدة أم هشام فهي أم خالد بنت خالد بن يعيش الأنصارية من بني مالك، أسلمت وياعبت النبي ﷺ، وكانت من فواضل النساء، تزوجها حارثة بن النعمان التجاري فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن، وسودة وعمرة وأم هشام^(٣) بطله ترجمتنا اليوم، كما كانت لحارثة ابنتان أخريان هما أم كلثوم وأمّ الله^(٤).

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٣٧٨ و ٣٧٩).

(٢) اقرأ سيرة هذا الصحابي الجليل في كتابنا رجال مشرون بالجنة جزء (٢) طبعة دار ابن كثير.

(٣) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٢٤)، وطبقات ابن سعد (٤٥٤/٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٤٨٧).

هشام وأحوالها من المبايعات، ذكر ابن سعد أن سودة وعمرة
 وأمّ هشام وأمّ كلثوم وأمة الله قد أسلمن وبايعن رسول
 الله ﷺ، وكان لهذه الأسرة الحارثية الطيبة شأن عظيم في
 صدر الإسلام.

* * *

الجوار المبارك:

* في رحاب تلك الأسرة الكريمة، نشأت أمّ هشام بنت
 حارثة، وفي ظلال الجوار المبارك عاشت أمّ هشام، فكانت
 ترى النبي الكريم دائماً، وترى أزواجه أمهات المؤمنين، فقد
 كانوا حيراناً لأكرم جوار على الإطلاق، ألا وهو جوار رسول
 الله ﷺ.

وكان لهذا الجوار أثره الطيب في نفس الصحابة أمّ هشام
 التي رأت نور النبوة عن كثب، إذ تأثرت بأخلاق المصطفى
 ﷺ، وبأخلاق زوجاته الطاهرات، وكان يرى البشر والشجر
 في وجه أمّ هشام، وخصوصاً عندما جعل بنو النجار يتناوبون
 في حمل الطعام إلى رسول الله ﷺ حين مقامه في منزل
 سيدنا أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قرابة تسعة

(١) طبقات ابن سعد (٣/٤٨٧).

أشهر^(١)، بل كانت تزداد سروراً حينما كانت ترى عواطف الإيثار والمؤانسة تملأ المدينة المنورة، وتُرحَّبُ بالمهاجرين حيث حرص الأنصار على الحفاوة بالمهاجرين، وبدلوا كل ما يوسعهم في إكرامهم واحترامهم.

* في رحاب هذا الجوار المبارك كانت الأسرة الحارثية سعيدة بمشاركة رسول الله ﷺ في استخدام بعض المتاع، وتروي لنا هذه المشاركة صيفتنا الصحابية الجليلة أم هانئ فتقول: كان رسول الله ﷺ معنا، وإن تنورنا^(٢) وتنوره واحد سنة أو بعض سنة^(٣).

* * *

الحافظة المحدثة:

* كان النبي الكريم ﷺ يقرأ في الأعياد سورتي «ق» والقمر» كما كان يقرأ سورة «ق» يوم الجمعة على المنبر، وقد ذكر أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة المباركة في المساجد الكبار كالعيد والجمع، وذلك لاشتمال هذه السورة على ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والقيامة،

(١) انظر السيرة الحلية (٢/٢٧٧).

(٢) «التنور»: الكانون يخبز فيه (عن القاموس المحيط).

(٣) انظر طبقات ابن سعد (٨/٤٤٢)، والإصابة (٤/٤٨٠).

* ولهذا فقد كانت الصَّحَابِيَّةُ المباركة أم هشام بنت حارثة تحفظ هذه السُّورَةَ لكثرة ما كان النَّبِيُّ الكَرِيمُ ﷺ يقرؤها في كلِّ جمعة، وحدثت أم هشام - رضي الله عنها - بهذا عن نفسها فقالت:

لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً ستين - أو سنة وبعض سنة - ، وما أخذتُ ﴿ق﴾ والقرآن المجيد إلا من لسان رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يقرأ بها كل جمعة إذا خطب الناس^(٢).

* وبالإضافة إلى اهتمام أم هشام بالقرآن وحفظها سُوراً منه، كانت تهتمُّ بالحديث، فقد وعث وحفظت أحاديث رسول الله ﷺ، وروت عنه.

* روت عنها أختها عمرة، ومحمد بن عبد الرحمن بن

(١) انظر تفسير القاسمي لمقدمة سورة ق.

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، وانظر تفسير ابن كثير (٤/٢٣٦)، وانظر أسد الغابة ترجمة رقم (٧٦١٠)، والإصابة (٤/٤٨٠)، وقد أخرج هذا الحديث أيضاً أبو داود والنسائي والإمام أحمد.

أسعد بن زرارة، ويحيى بن عبد الله، وحبيب بن عبد الرحمن بن يساف^(١).

* وهكذا فقد جمعت أم هشام حفظ القرآن ورواية الحديث، وجمعت مع هذا فضيلة الجهاد، وما أدراك ما فضيلة الجهاد! وخاصة إذا كان بصحبة رسول الله ﷺ، وسعه أصحابه الذين رضي الله عنهم، وكانوا خير أهل الأرض آنذاك.

* * *

جهادها وقورها بالرؤوان:

* في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة النبوية، أعلن النبي الكريم ﷺ في المسلمين أنه متوجه إلى مكة معتمراً، فتبعه جمع كبير من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم ألفاً وأربعمئة حسب ما روى سيدنا جابر بن عبد الله.

وخرجت الصحابة المجاهدة أم هشام بنت حارثة مع جمع من النساء لأداء العمرة بصحبة النبي الكريم، ولكن قريشاً حينما علمت بمسير رسول الله ﷺ معتمراً، ركبت رأسها وأجمعت رأيها أن تمنع المسلمين من أداء العمرة.

وكان عليه الصلاة والسلام قد أرسل سيدنا عثمان بن عفان

(١) انظر: تهذيب التهذيب (١٢/٤٨٢)، والإصابة (٤/٤٨٠).

فاحبسناه فريش عندها مده، وبيع النبي الحريم صلى الله عليه وسلم إذ قال
أن عثمان قد قُتِلَ، فقال: «لا تبرح حتى تنجز القوم»^(١) فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت
الشجرة.

وسارع الصحابة - رضوان الله عليهم - يبايعون رسول الله
على الموت أو على ألا يفروا، وكانت الصحابة أم هشام قد
بايعت مع من بايع، فبرح البيع، ونال المسلمون المبايعون
مرضاة الله، وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في قوله: ﴿لقد
رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في
قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾^(٢).

* ولم يطل احتباس سيدنا عثمان عند المشركين، وعاد
سالماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو^(٣)
ليعقد صلحاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان صلح الحديبية.

(١) انظر عبون الأثر (٢/١٥٥).

(٢) سورة الفتح آية (١٨)، وانظر تفسير ابن كثير لسورة الفتح.

(٣) هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري أحد
سادات قريش وأشرفهم وخطيهم، أسره المسلمون يوم بدر، وعليه
انترم الصلح يوم الحديبية، ثم أسلم يوم الفتح، كان كثير الصلاة
والصوم والصدقة والعبادة وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن،
له أقوال نفيسة تدل على سعة عقله وحسن إيمانه، ولما توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة لما رأت من ارتداد العرب فقام سهيل بن عمرو =

* ونالت الصحابة المجاهدة أم هشام الفوز العظيم في هذه البيعة، وكُتبت مع المجموعة السعيدة، وكُتبت لها شرفُ الجهاد مع المسلمين المبايعين بيعة الرضوان؛ التي كانت مفتاح خير للمسلمين وفتحاً مبيناً لرسول الله ﷺ.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* أم هشام بنت حارثة - رضي الله عنها - واحدة من النساء ذوات الفضل اللاتي حظين بشرف الصحبة لرسول الله ﷺ، وقد تركت هذه الصحابة الكريمة لمسات مباركة في تاريخ الإسلام، وفي واحدة من هذه اللمسات نالت البشارة بالجنة مع من بايع بيعة الرضوان، ناهيك بأنها إحدى السابقات من

= خطيباً وقال من خطبة طويلة: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليمتدن هذا الدين امتداد الشمس والقمر. وخرج بأهله مجاهداً إلى الشام فاستشهد باليرموك سنة (١٨ هـ)، وهو والد الصحابي أبي جندل - رضي الله عنهما - . (عن تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٣٩ و ٢٤٠ بتصرف).

بجواره في المدينة المنورة.

* وقد حظي «الشجريون» ببشارة نبي الله ﷺ بالجنة ومنهم أم هشام بنت حارثة، ولترك سيدنا جابر بن عبد الله يروي لنا نبأ البشارة العطرة حيث روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»^(١).

* وفي حديث آخر يرويه سيدنا جابر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة، إلا صاحب الجمل الأحمر»^(٢)، وأخرج الترمذي هذا الحديث بلفظ «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»^(٣).

* وحدث سيدنا جابر - رضي الله عنه - بعد ما كف بصره فقال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألقاً وأربعمئة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»^(٣).

(١) انظر الحديث في تفسير ابن كثير لسورة الفتح (٤/٢٠٢).

(٢) انظر جامع الأصول (١٠/١١٣)، والحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي؛ وصاحب الجمل الأحمر هو الجد بن قيس كان منافقاً يطلب جملة.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥/١٥٧).

* وظلت الصحابة الكريمة أم هشام تنعم بهذه البشارة العظيمة إلى أن لقيت ربها عز وجل .

* رضي الله عن أم هشام وعن والدها سيدنا حارثة وعن الصحابة والصحابات جميعاً، ونحن في وداع سيرة هذه الصحابة الشجرية^(١) الحافظة الراوية الكريمة نعطر الأسماع ونمتع الأفواه ونرطبها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مُلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) يقال لمن حضر تحت الشجرة ببيعة الرضوان - شجري - ، فأكرم بهذه التسمية!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسأملشرك بالجنة

1411 هـ

أم المؤمنين
حفصة بنت عمر
رضي الله عنها

• «تزوج حفصة من هو خير من عثمان، وتزوج عثمان من هي خير من حفصة»

حديث شريف

• نزل جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله ﷺ وقال له عن حفصة:

تجد عددًا من القصص والمسير
إنها صوامع تقو أممًا وفيها الزواجر والوعظ

www.dawahmemo.com

أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها

السيدة الكريمة:

* السُّرُّ الرَّفِيعُ حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
ابن الخطاب ضيفة هذه الصفحات .

* كانت قريش تجدد بناء الكعبة قبل مبعث النبي الكريم
ﷺ بخمس سنين، وكانت هذه فاتحة خير لقريش إذ توحدت
كلمتها بفضل رأي سيدنا رسول الله ﷺ؛ حينما حسم
الخلاف بين المتنازعين على وضع الحجر الأسود مكانه .

* في تلك الأيام السعيدة، ولدت أم المؤمنين حفصة
بمكة، وقد جمع لها الفضل من جميع نواحيه، وصاحبتهما
البركة منذ البداية .

* فأبوها غني عن التعريف، يكفيه من الفضل الكبير أنه
الوزير الثاني للنبي ﷺ، وأنه سراج أهل الجنة، ويكفيه من
الطيب الفياض ما قالت عائشة ابنة الصديق فيه: إذا شتم أن

* وأُمُّهَا زَيْنُ بِنْتُ مِظْعُونِ بْنِ حَبِيبٍ، أخت الصُّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ سَيِّدِنَا عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ، أحد سادة المهاجرين، ومن
أولياءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ فَازُوا بِوَفَاتِهِمْ فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِمْ فَصَلَّى
عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

* وَأُخُوها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّقَى
وَالصَّلَاحِ فَقَالَ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِن
الْليلِ». فَكَانَ يَتَعَدَّى لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ
رَفَعَتْهُ إِلَى مَصَافِّ الْأَنْبِيَاءِ.

* وَعَمُّهَا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، السَّيِّدُ الشَّهِيدُ الْمُجَاهِدُ التَّقِيُّ
قَالَ عَنْهُ سَيِّدُنَا عَمْرٌو: «أَسْلَمَ قَبْلِي وَاسْتَشْهَدَ قَبْلِي». وَقَالَ أَيْضًا:
مَا هَبَّتِ الصَّبَا إِلَّا وَأَنَا أَجْدُ رِيحِ زَيْدٍ.

* وَعَمَّتْهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ إِحْدَى السَّابِقَاتِ إِلَى سَاحَةِ
الْإِيمَانِ، مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ أَحَدِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ
بِالْجَنَّةِ.

* * *

النَّشْأَةُ الطَّيِّبَةُ:

* فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْفَرِيدَةِ نَشَأَتْ حَفْصَةُ -رَضِيَ اللَّهُ

عنها وأرضها - ولما أشرقت مكة بنور الإسلام، انضم والدها إلى ركب السابقين الأولين، وفاز بنور الإيمان وتباشيرت الملائكة بإسلامه الذي كان بركة على الإسلام والمسلمين منذ اللحظات الأولى التي نطق فيها بالشهادتين.

* نشأت حفصة - رضي الله عنها - على حب المعرفة، ونهلت من عيون الأدب والعلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى غدت إحدى قصصحات النساء في قريش، وتعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية.

ولما بلغت أشدها واكتملت أنوثتها تزوجها حنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي - أخو سيدنا عبد الله بن حذافة -، وكان حنيس - بالتصغير - رضي الله عنه أحد السابقين الأولين إلى ساحة الإيمان، إذ أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم^(١)، وذلك على يدي سيدنا أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - .

* * *

المُهَاجِرَةُ الصَّابِرَةُ:

* لما اشتد أذى قريش للمؤمنين، كان حنيس ممن توجه تلقاء الحبشة فهاجر إليها مع من هاجر، ثم عاد إلى مكة

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٩٢).

عبد المندر، وأحى رسول الله ﷺ يسه وبين أبي عبيس بن
جبر، فخُيس رضي الله عنه من أصحاب الهجرتين.

* وحينما كانت غزوة بدر^(١) العظمى شَهِدَهَا خُنَيْس، ولم
يشهد من بني سَهْمِ بَدْرًا غَيْرَهُ، فَكَانَ مِنْ أَبْطَالِهَا الْمُجَاهِدِينَ
الَّذِينَ قَاتَلُوا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا
السُّفْلَى وَأُصِيبَ بِالْجِرَاحِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ جِسْمِهِ، لَكِنَّهُ ظَلَّ
يَجَالِدُ إِلَى أَنْ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا عَادَ
الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مَاتَ خُنَيْسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
مَتَأْتِرًا بِجِرَاحِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَفَنَهُ بِالْبَقِيعِ إِلَى
جَانِبِ قَبْرِ عَثْمَانَ بْنِ مِطْعُونٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ -.

* وَتَرَمَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَمْرِو وَهِيَ مَا تَزَالُ فِي رِيْعَانِ
شَبَابِهَا، وَحَزِنَتْ لَوَفَاةِ زَوْجِهَا حَزْنًا شَدِيدًا ظَهَرَتْ آثَارُهُ عَلَى
قَسَمَاتِ وَجْهِهَا، لَكِنَّهَا تَذَرَعَتْ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ، وَكَانَ أَبُوهَا
يَزُورُهَا وَيُخَفِّفُ مِنْ آلِاسِهَا وَأَحْزَانِهَا، وَيُرْعَاهَا بِحَنَانِهِ وَيَحُوطُهَا
بِعَظْفِهِ، وَكَأَنَّهُ بِأَحْسَاسِهِ وَفِرَاسَتِهِ وَعَبْقَرِيَّتِهِ يَرَى أَنَّ لَابِنَتَهُ هَذِهِ
شَأْنًا، وَكَانَ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ دُرٌّ مَنْ قَالَ فِيهِ:

(١) من الأخبار السارة المباركة التي تضاف إلى مكارم أم المؤمنين
حفصة - رضي الله عنها - ، أن سبعة من أهلها شهدوا بدرًا، وأبوا
بلاء حسناً وهم: أبوها عمرو، وعمها زيد، وزوجها خنيس،
وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة، والسائب بن عثمان ابن خالها.

مَتَّقَ الْعَزَمَاتِ مُدَّ نَهَضَتْ بِهِ
 عَزَمَاتُهُ نَحْوَ الْعُلَى لَمْ يَتَّقِدِ
 وَيَكَادُ مِنْ نَوْرِ الْبَصِيرَةِ أَنْ يَرَى
 فِي يَوْمِهِ فَعَلَّ الْعَوَاقِبَ فِي غَدِ

* * *

مَعَ أَهْلِ الْخَيْرِ:

* كانت حفصة - رضي الله عنها - مِنْ فاضلاتِ النساءِ
 العابداتِ الورعاتِ، الصَّابراتِ القانتاتِ اللاتي صرَّبنَ أَعْلَى
 الأمثلةِ في مجالِ العبادةِ، وكان أبوها يُسَرُّ لهذهِ الصِّفاتِ
 الخيرةِ التي تتحلَّى بها، غيرَ أنَّه كان يؤلمه حال ابنته القانتةِ
 التي ترملت وهي في ميعه الصِّبا.

* ونظر من حوله نظرةً فاحصةً، فإذا به يرى الظروفَ
 مواتيةً لسعادةِ حفصة، فها هو أخذ أهلَ الخيرِ، وأحدَ الأعلامِ
 السابقين إلى الإسلام - عثمان - أضحى وحيداً بعد وفاةِ زوجتهِ
 رقية بنت النبي ﷺ، فانطلقَ عمر - رضي الله عنه - إلى
 عثمانِ مواسياً ومخففاً مِنْ مُصابه، وعرض عليه ابنته حفصة
 قائلاً: إن شئتَ أنكحُكَ حفصةً، فقال عثمانُ - رضي الله
 عنه - : سأنظرُ في أمري.

* مكثَ عمر بضعةِ أيامٍ ثم لقي عثمانَ، فأخبره أنَّه لن

الله عليه - فقال له: إن كنت روحك حفصة، ولحن الصديق
 لزم الصمت ولم ينطق بكلمة واحدة، وترك عمر ومضى في
 طريقه، فتأثر الفاروق من هذين الموقنين، وشعر بانكسار
 نفسه، فذهب إلى رسول الله ﷺ يشكو حاله، وأدرك رسول
 الله ﷺ ما يعانيه عمر، فأجابه بجواب شافٍ كان برداً وسلاماً
 عليه فقال له: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان،
 ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة».

* ترى من خير من عثمان ومن خير من حفصة؟

سؤالان يعتملان في ذهن عمر، بيد أن تسأوله لم يطل،
 فخطب رسول الله ﷺ حفصة، وأصبحت إحدى أمهات
 المؤمنين، وزوج رسول الله ابنته أم كلثوم من عثمان - رضي
 الله عنه -^(١). وسعد عمر - رضي الله عنه - بهذا النسب
 الذي رفعه مكاناً علياً. قال سعيد بن المسيب - رحمه الله -
 عن هذا الزواج: فخار الله لهما جميعاً، كان رسول الله ﷺ
 لحفصة خيراً من عثمان، وكانت بنت رسول الله ﷺ لعثمان
 خيراً من حفصة^(٢).

(١) عن طبقات ابن سعد (٨/٨٢)، والاستيعاب (٤/٢٦٠)، وسير
 أعلام النبلاء (٢/٢٢٨) بتصرف.
 (٢) انظر طبقات ابن سعد (٨/٨٣).

* وعندما زوّج سيّدنا عمر حفصة - رضوان الله عليهما - ،
لقيه سيّدنا أبو بكر الصّديق - رضي الله عنه - فاعتذر اعتذاراً
لطيفاً وقال له :

« . . . لعلك وجدت عليّ - غضبت - حين عرضت
عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟
قال عمر: نعم .

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت
عليّ، إلا أنني كنت أعلمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم
أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ
قبلتها»^(١).

* وتزوج رسول الله ﷺ حفصة سنة ثلاث من الهجرة قبل
غزوة أحد، وأصدقها أربعمئة درهم، وكان ذلك أعظم إكرام
ومنّة وإحسان لحفصة وأبيها - رضي الله عنها - .

* وأود أن أشير إلى أن تصرف سيّدنا عمر في عرض ابنته
على الأكفأ من أهل الخير، كان مفتاح خير في هذا
المضمار، وباب بركة وسنة طيبة أيضاً، فمن بركات هذا
الزواج أن الإمام البخاري - رحمه الله - قد عقد في صحيحه
فضلاً عنوانه: باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل

(١) الحديث في صحيح البخاري (١٨/٧).

* * *

حَفْصَةُ وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنهن - :

* كانت حفصةُ أمَّ المؤمنين - رضي الله عنها - تحظى بمكانةٍ رائعةٍ بين زوجات النبي الطاهرات، قالت عنها أم المؤمنين عائشة: هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ^(١).

* كما حظيت أمنا حفصة بمكانةٍ لائقةٍ عند رسول الله ﷺ، فهي إحدى زوجاته الخمس من قريش وهن: عائشة، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، وسودة بنت زمعة^(٢) - رضي الله عنهن جميعاً -.

* ثم إنَّ أمَّ المؤمنين حفصة من خيار النساء الصالحات اللاتي يؤدبن العبادات على أحسن وجه، وقد عرفت رضوان الله عليها بكثرة الصيام والقيام، وهاتان الصفتان من أنصع وأعلى منازل العبادة، وقد حصَّ النبي الكريم ﷺ من أراد أن

(١) انظر صحيح البخاري (١٧/٧) كتاب النكاح.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٢٧/٢).

(٣) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١/٥٩٣).

يتزوج أن يبحث عن تلك الصفات فقال: «فاظفر بذات
الدين تربت يدك».

* ولهذا فقد كانت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -
ممن شهد القاصي والداني بفضلها في العبادة والصّلاح.

أمّا في مجال الحياة الزوجية فكانت تحرّص على مرضاة
رسول الله ﷺ، وتسبق عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -
في هذا المجال، فقد روت أمنا عائشة - رضي الله عنها -
قالت:

كان رسول الله ﷺ مع أصحابه، فصنعت له طعاماً
وصنعت له حفصة - رضي الله عنها - طعاماً، فسبقتني حفصة
فقلت للجارية: انطلقي فاكفني^(١) قصعتها فاهوت أن تضعها
بين يدي النبي ﷺ، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام
فجمعها النبي ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثم
بعث بقصعتي فدفعها النبي ﷺ إلى حفصة؛ فقال: «خذوا
ظرفاً مكان ظرفكم وكلوا ما فيها»^(٢).

* * *

لا تُخبري بذلك أحداً:

* عاش النبي الكريم ﷺ في بيته مع أزواجه بشراً رسولاً،

(١) «اكفني»: اقلي قصعتها ليصب ما فيها.

(٢) انظر حياة الصحابة (٢/٥٣٦).

إِذَا حَلَا بِنِسَائِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْكَرَمِ النَّاسِ صَحَابًا بِسَامَا

غير أن حياة أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن لم تغلُ
من بعض المشاعر البشرية التي تعتربها الغيرة أو التنافس أو
ما شابه ذلك، ولذا فقد كان النبي الحبيب ﷺ يعالج أموره
بالتربية الإلهية في بيته مع زوجاته ومع أصحابه وأمه، ويأخذ
بني الجميع إلى جادة الصواب.

* ويبدو أن أمنا حفصة - رضي الله عنها - قد أخذت الغيرة
بقلبها، وذلك لما رأت النبي الكريم ﷺ يوترُ زينب بنت
جحش أم المؤمنين بالجلوس عندها وقتاً طويلاً، أو يخلو
بمبارية أم ولده إبراهيم، مما جعلها تتعاون مع أم المؤمنين
عائشة لإقصاء هاتين المرأتين عن قلب رسول الله ﷺ، ولكن
الله سبحانه وتعالى أنزل آيات مباركات فيها التعليم لهما
ولأزواج النبي ﷺ، وفيها تأييد لرسوله الكريم، وكان درساً
بليغاً حكيماً أبعد الغيرة عن قلوب أمهات المؤمنين.

* فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن أمنا
عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت:

كان رسول الله ﷺ يشرب غسلًا عند زينب بنت جحش،
ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

فلتقل له: أكلت مغافير^(١)، إني أجدُ منك ربح مغافير. قال:
«لا ولكنني كنتُ أشربُ عملاً عند زينب بنت جحش فلن
أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً»^(٢).

* ولم تستطع حفصة - رضي الله عنها - كتمان الخبر ولم
تعمل بما أوصاها به رسول الله ﷺ، وأخبرت - صفتها -
عائشة بالأمر ظناً منها أن لا حرج في ذلك.

* وأخرج ابنُ جرير وابن المنذر - رحمهما الله - عن سيدنا
عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال:

قلتُ لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : من المرأتان
اللتان تظاهرتا؟

قال: عائشةُ وحفصة، وكان بدءُ الحديث في شأن مارية أم
إبراهيم القبطية، أصابها النبي ﷺ في بيتِ حفصة في يومها،
فوجدتُ حفصةً فقالت: يا نبي الله لقد جئتُ إليَّ شيئاً ما
جئته إليَّ أحدٍ من أزواجك في يومي وفي داري وعلى
فراشي، فقال: «ألا ترضين أن أُحرّمها فلا أقربها»؟

قالت: بلى، فحرّمها وقال: «لا تذكرني ذلك لأحد»

(١) «المغافير»: صمغ حلو الطعم كربه الرائحة.

(٢) انظر صحيح البخاري (١٩٤/٦) تفسير سورة التحريم، وانظر

تفسير القرطبي (١٧٧/١٨)، والدر المثور (٢١٣/٨).

ولما علم رسول الله ﷺ بما أفشته من سر غضب، واعتزل نساءه شهراً.

* * *

أتراجعين رسول الله:

* لم يكن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - يتصور أن تراجع امرأة زوجها في أمر من الأمور مهما كان، فكيف بحفصة ابنته تراجع رسول الله ﷺ وتهجره إلى الليل؟!.

هذا ما حصل فعلاً، وزاد من استغرابه أن حفصة أقرت بذلك في بساطة.

روى هذا سيدنا عبد الله بن عباس عن عمر - رضي الله عنهما - قال:

كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم، فغضبت على امرأتي يوماً، فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر من ذلك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل!

(١) الدر المشور (٨/٢١٤).

قال: فانطلقتُ فدخلتُ على حفصةَ فقلتُ: أتراجعين رسول الله ﷺ؟

قالت: نعم.

قلت: وتهجره إحدائكن اليوم إلى الليل؟

قالت: نعم.

قلت: قد خابَ مَنْ فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمنن إحدائكن أن يغضبَ الله عليها لغضبِ رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعين رسول الله ﷺ، وتسألينه شيئاً وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك إن كانت جارتيك أوسم - أجمل - وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، يريدُ عائشة - رضي الله عنها -.

وهكذا كان سيدنا عمر نِعَمَ الأب الناصح لابنته.

* * *

لولا أنا لطلقك:

* كان لعمر - رضي الله عنه - جارٌ من الأنصار، فجاء وأخبره أن رسول الله ﷺ اعتزل نساءه، فقال عمر: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنتُ أظنُّ هذا كائناً، ثم قال: رغم أنف حفصة وعائشة، وذهب إلى عائشة رضي الله عنها - وذلك قبل أن يُضرب الحجاب - فذكرها وحذرها، ثم انطلق إلى ابنته حفصة فوبَّخها وعنفها وقال لها: والله لقد علمت أن رسول

سليدا، ثم فصد إلى رسول الله ﷺ وهو معتزل في مشربه -
 غرفة - يُصعدُ إليها بدرج، وعلى الباب غلامٌ يُدعى رباح
 فقال: يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ، وألحَّ عمرُ
 بالإذن مراراً، ولم يأتِ رباح بجواب، فرفع عمرُ صوته وقال:
 استأذن لي على رسول الله، فأني أظنُّ أن رسول الله ﷺ ظنُّ
 أنني جئتُ من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله
 بضرب عنقها لأضربن عنقها. فأشار إليه رباح وقال: ادخل
 فقد أذن لك.

ودخل عمرُ على رسول الله ﷺ، وما زال يلاطفه حتى
 تبسّم، ثم سأله: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فقال ﷺ:
 «لا».

فقال عمر: الله أكبر. ثم ذكر له الحديث الذي دار بينه
 وبين حفصة فتبسّم ثانية ﷺ، ولما رأى عمر - رضي الله عنه -
 سرور النبي الكريم ﷺ طلب الإذن بالجلوس وقال: أستأنسُ
 يا رسول الله؟

قال: «نعم».

وجلس عمر، وجال ببصره في المشربة، فألقى رسول
 الله ﷺ على حصير، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها
 ليف، وعنده جلدٌ معلقة عند رأسه، وقد أثر الحصيرُ في جنبه
 فبكى.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟».

فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقبصر فيما هما فيه وأنت رسول الله!

فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»^(١)؟.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»^(٢).

* وكان النبي ﷺ قد أقسم ألا يدخل على نسائه شهراً فعاتبه الله في ذلك، وأنزل مخوفاً ومحذراً نساءه قوله تبارك وتعالى: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفورٌ رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً» [التحريم: ١ - ٥].

(١) رواه البخاري (١٩٦/٦)، وانظر تفسير القرطبي (١٩١/١٨).

(٢) انظر الدر المنثور (٢٢١/٨)، وحياة الصحابة (٦٨٣/٢).

* وعادت حياة الصفاء والاستقرار إلى حفصة وزوجات النبي - رضي الله عنهن - ، وظلت حفصة في بيت رسول الله ﷺ لم تفعل ما يعضب الله ورسوله، إلى أن انتقل الحبيب المصطفى إلى الرفيق الأعلى راضياً عنها وعن زوجاته الطاهرات - عليهن رضوان الله - .

* * *

رَحْمَةُ لِعُمَرَ:

* رأينا كيف كان موقف سيدنا عمر من ابنته حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، ففي موقفه الطيب ذاك ارتقى منزلة عالية في الطاعة ومحبة رسول الله ﷺ، فقال رحمة الله تعالى، فقد أوردت المصادر قصة تشير إلى ذلك فقالت:

طلق رسول الله ﷺ حفصة، فبلغ ذلك عمر، فحثا على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته، فنزل جبريل من

(١) انظر تفسير الآيات من سورة التحريم في تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي والدر المنثور، وتفسير القاسمي، وانظر كذلك صحيح البخاري ومسلم في كتاب التفسير.

الغد وقال للنبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرَأَى حَفْصَةَ رَحْمَةً
لعمر^(١) - رضي الله عنها - .

* * *

حَفْصَةُ وَعُمَرُ - رضي الله عنهما - :

* بعد وفاة رسول الله ﷺ، لَزِمَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ
- رضي الله عنها - بيتها، وأضحت إحدى مراجع العلم
والفقه، وكانت مكان إكبار وإجلال في عهد الخليفة الصديق
- رضي الله عنه - .

* ولما تولَّى سَيِّدُنَا عَمْرُ الْخِلَافَةَ ظَلَّتْ أَمْنَا حَفْصَةَ مَتَمَسِكَةً
بِمَا عَاهَدَتْ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَلَمْ تَفَكَّرْ يَوْمًا بِأَنَّهَا ابْنَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
وكان لسيدنا عمر وحفصة - عليهما سحائب الرضوان
- مواقف عظيمة تدلُّ على زهدهما، وعلى إعراضهما عن
الدنيا إعراضاً كاملاً، كما تشير إلى صفاء نفس كل واحد
منهما، وتعلقها بمرضاة الله سبحانه وتعالى واتباع هدي النبي
الحبيب ﷺ، مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ - رضي
الله عنها - فقدمت إليه مرقاً بارداً وخبزاً، وصبَّت في المرق
زيتاً فقال: أَدْمَانٌ فِي إِيَّائِهِ وَاحِدٌ، لَا أَذُوقُهُ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ^(٢) .

(١) انظر مثلاً: سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٩)، والاستيعاب (٤/٢٦١)،

والإصابة (٤/٢٦٥) وأسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٤٥).

(٢) انظر حياة الصحابة (٢/٢٨٢).

- رضي الله عنها - لا يعرف حبيبته الرهد، بل فعلت ذلك
لتكرم والدها - رضي الله عنهما وأرضاهما - .

* وكانت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ترى
والدها وما هو عليه من شدة العيش، فقالت له يوماً: يا أمير
المؤمنين لو لبست ثوباً ألبين من ثوبك هذا، وأكلت طعاماً
ألبين من طعامك، فإن الله سبحانه قد وسع عليك من الرزق
وأكثر من الخير.

فقال عمر - رضي الله عنه - : سأخاطبك إلى نفسك، أما
تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش؟ وما زال
يذكرها حتى أبكاه، ثم قال: إني والله لئن استطعت
لأشاركنهما في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهما
الرخي^(١)، يعني رسول الله وأبا بكر.

* * *

عِلْمُهَا وَفَتْهُهَا:

* عُرِفَتْ أُمُّنا حفصة - رضي الله عنها - بالعلم والفقه
والتقوى، وهذه الصفات أحلتها محلاً كريماً لدى رسول
الكريم ﷺ، وظلت تحتفظ بالمكانة نفسها في عهد الخلافة

(١) عن طبقات ابن سعد (٢٧٧/٣) بتصرف يسير جداً.

الرأشدة وخصوصاً في خلافة والدها، فكثيراً ما كان يركنُ إلى آرائها وأحكامها الفقهية، مِنْ ذلك سؤاله إياها: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت - رضي الله عنها - : ستة أو أربعة أشهر^(١).

* وكانت أمُّ المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - مرجعاً لكثير من الصحابة في مجال الحديث النبوي الشريف والعبادة، وقد كان أخواها عبد الله بن عمر المؤتسي برسول الله ﷺ يتلقى عنها ما رآته في بيت رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك أن سيدنا أبا بكر الصديق قد اختار أم المؤمنين حفصة من بين زوجات النبي ﷺ لتكون حافظة القرآن الذي جمعه، ولعل اختيار سيدنا أبي بكر لها لتلك الصفات التي اجتمعت فيها من التقى والعلم والصوم؛ ناهيك أنها كانت تتقن القراءة في عهدها، فقد كان قليل من الرجال من يعرف القراءة والكتابة فكيف بالنساء؟ لذا فقد كانت أم المؤمنين حفصة التلميذة النبوية النجية التي نقلت كثيراً من الأحكام النبوية إلى الناس.

* * *

حارسة القرآن:

* لأمنا حفصة - رضي الله عنها - أمانة في عنق كل مسلم

(١) انظر حياة الصحابة (١/٤٧٦)، والدر العثور (١/٦٥٢).

بخلطه لي بيها، لما لنا لا نسي فصل ايها عمر الذي اسار
 علي أبي بكر الصديق بجمعه عندما كثر استشهاده القراء
 وحفظه القرآن في حروب الردة، ووافق الصديق - رضي الله
 عنه - ، وأوعز إلى زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتّاب النبي
 ﷺ وقال له: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت
 تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه^(١).

* وشرح الله سبحانه صدر زيد فقام بهذا العمل الجبار
 قال زيد - رضي الله عنه - : لما أمرني أبو بكر فجمعت
 القرآن كتبه في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعصب، فلما
 هلك أبو بكر رضي الله عنه كان عمر، كتبت ذلك في
 صحيفة واحدة فكانت عنده^(٢).

ثم إن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عهد بهذه
 الأمانة العظيمة إلى أم المؤمنين حفصة لتصونها وتحفظها،
 وظلت عندها إلى أن شرع سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله
 عنه - في كتابة المصحف؛ وذلك لاختلاف وجوه القراءات
 بين أهل العراق والشام، وقدم سيدنا حذيفة بن اليمان لما
 رأى الاختلاف بذلك، وأفضى إلى سيدنا عثمان بخبر

(١) انظر دلائل النبوة لليهقي (١٤٩/٧).

(٢) المحلية (٥١/٢)، والإتقان للسيوطي (١٨٦/١)، طبعة دار ابن

كثير.

الخلافة، فسارع إلى كتابة المصحف، وبعث إلى أمنا حفصة أن أرسلني بالمصحف التي جُمع فيها القرآن ننسخها في المصاحف ثم تردها عليك، فأرسلت بها إلى عثمان، ودعا زيد بن ثابت، وعزّزه بثلاثة من فصحاء قريش وهم: عبد الله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمرهم أن ينسخوها في المصاحف.

ولما كُتبت المصاحف بعث إلى كل أفق بمصحف، ثم ردّ الصحيفة إلى حارسه القرآن أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ، فكان لها السبق والثناء في هذا العمل المبارك، وبقي المصحف محفوظاً ما بقي الدهر، حتى يأتي أمر الله لا تجري عليه زيادة ولا نقصان؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

* أما عن مصحف أمنا حفصة - رضي الله عنها - ، فكانت أوصت به إلى أخيها عبد الله بن عمر العالم النقي، الصفي النقي، فلما ماتت حفصة أرسل عبد الله بالصحيفة بعزّة^(١) فأعطاهم إياها فغسلت غسلًا^(٢).

* * *

(١) «العزّة»: بالضم: أسرة الرجل وقبيلته. انظر: مادة عزم في القاموس المحيط والمعجم الوسيط.
(٢) الحلية (٢/٥١).

* أضافت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - إلى تعلمها لكتاب الله تعالى وحفظه روايتها لحديث رسول الله ﷺ ووعيتها له، وكان الناس من الصحابة والتابعين يحرصون على سماع ما عندها من حديث النبي الكريم ﷺ، روت عن رسول الله ﷺ ستين حديثاً، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث^(١).

* وممن روى عنها فأطاب وأجاد أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت أبي عبيد، وأم مبشر الأنصارية، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وآخرون^(٢).

* ومن مروياتها ما رواه عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أن رسول الله ﷺ كان إذا سكَّت المؤذُن من الأذان لصلاة الصُّبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تُقام الصلاة^(٣).

* * *

الصَّوْمَةُ الْقَوَامَةُ:

* ذكر ابن حجر - رحمه الله - صوم أمنا حفصة - رضي الله

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٠)، والمعجمي لابن الجوزي ص (٩٣).

(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٠).

(٣) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٤٥).

عنها - فقال: مائت حفصة حتى ما تفطر^(١).

* وافتتح أبو نعيم الأصبهاني ترجمتها بقوله: الصَّوامةُ القَوامةُ، المزريَّةُ بنفسها اللوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب، وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب - رضي الله تعالى عنها -^(٢).

* «الصَّوامةُ القَوامةُ» هذا اللقب المبارك فازت به أمُّ المؤمنين حفصة من السَّماء، والصَّيام والقيام والقنوت من أعلى مراتب العبادة التي يحافظ عليها الإنسان في هذه الحياة، فالعبادة تبني النَّفس وتصلح القلب وتجعل المرء على صلةٍ دائمةٍ بالله عزَّ وجلَّ، فهنيئاً لمن تحلَّى بهذه الصِّفات، وهذا ما انصرفت إليه أمُّ المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - لتتال الدرَّجةُ العاليةُ عند الله وتفوز الفوز العظيم.

* كانت أمنا حفصة - رضي الله عنها - قد تعلَّمت من رسول الله ﷺ الخيرَ كلَّه خلال حياته، ونشأت في مدرسته حتى أصبحت عابدةً عالمةً، تقيةً ورعةً، زاهدةً مؤتسمةً به ﷺ، ولذلك نزلت شهادةُ صلاحها وتقائها مختومةً برحيق الإيمان من جبريل عليه السَّلام عندما قال: إنها صوامةٌ قوامةٌ^(٣).

(١) الإصابة (٤/٢٦٥).

(٢) الحلية (٢/٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٨).

عليها - في دلائلها وفي فضائلها بطيوس عملي لما كان
عليه حياة النبي الكريم ﷺ، وزاد من فضل حفصة معرفتها
القراءة والكتابة مما جعلها حافظة القرآن وحارسته.

وقد عرف الصحابة الكرام والتابعون الأخيار فضائلها في
هذا المصمار، وشهدوا بها للبشرية والتاريخ وكل من يود
معرفة الحق أينما كان. ويكفيها من الفضل ما قالته أمنا
عائشة فيها: إنها ابنة أبيها. وفي هذا القول تنبيه على فضلها
ومكانتها رضي الله عنها وعن أبيها.

* * *

الأدبية الفصيحة:

* أثر عن حفصة - رضي الله عنها - تعاهدها القرآن، فقد
جعلته شغلها الشاغل آناه الليل وأطراف النهار، ثم رقدته
بأدب النبوة، ومن هذين المنبعين المباركين استقت أدبها
وفصاحتها وعلمها، فقد كانت ذات بلاغة تشير إلى تمكّنها
من ناصية الكلام، اسمع من جميل كلامها ما قالته عندما
طعن سيدنا عمر بخجر الغدر والكيد والخيانة:

يا ابتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعه لأحد
عندك، ومعك لك بشارة لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيغ
لك العدل، لم تخف على الله عز وجل خشة عيشك

وعفافُ نَهْمَتِكَ، وأخذُكَ بأَكْظَامِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُفْسِدِينَ^(١).

* * *

الْوَدَاعُ الْأَخِيرُ:

* فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، شَعَرْتُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِقُرْبِ اللَّقَاءِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعَ الْأَحِبَّةِ، وَلَمْ تَمُضْ بَضْعَةُ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ حَتَّى لَحِقْتُ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى^(٢).

وطار الخبر في أرجاء المدينة أن توفيت حارسة القرآن زوج النبي ﷺ، وأقبل الصحابة الكرام لتشييع جنازتها وفي مقدمتهم سيدنا أبو هريرة وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهما - ، وصلى عليها والي المدينة آنذاك مروان بن الحكم، ودُفنت في البقيع ونزل في قبرها أخوها عبد الله وعاصم، وسالم وعبد الله وحزمة بنو أخيها عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم جميعاً - .

وكان عمرها عندما توفيت ثلاثاً وستين سنة - رضي الله عنها - ، وكانت قد أوصت إلى أخيها عبد الله بمالٍ وصدقةٍ.

(١) انظر بقية هذه القطعة الأدبية في أعلام النساء (١/٢٧٥) وما

بعدها.

(٢) صفة الصفوة (٢/٤٠)، والطبقات (٨/٨٦).

الله عنها - لد أوصى بعد موته إلى حفصه بصدقها وهذا،
وأوصت حفصه لأخيها بما أوصى به إليها عمر - رضي الله
عنهم جميعاً - (١)

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ جنات عدن يدخلونها تجري
من تحتها الأنهار لهم ما يشاؤون كذلك يجزي الله
المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿ [سورة النحل: ٣٠ - ٣٢].

* أم المؤمنين حفصه - رضي الله عنها - ممن سبقت لها
الحسنى، وهي واحدة من النساء اللاتي عرفن معاني العبادة
الحقيقية، فكانت موصولة القلب بالله دائماً، كثيرة الذكر له
سبحانه وتعالى، فاستقرت أسباب الرضا في نفسها، وعزفت
عن حطام الدنيا لعلها بأن السعادة في الدارين إنما هي
لأهل الإيمان، وخاصة أهل الطاعة والاستقامة؛ فالله معهم
في هذه الحياة يحييهم حياة طيبة مباركة تفرح منها نسائم

(١) الاستيعاب (٤/٢٦١).

الخشوع والرغبة والرهبه، وفي الآخرة يقابلهم بالحفاوة
والغفران والإنعام في دار النعيم، وثمرة ذلك قوله سبحانه
وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ
قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:
. [٢٦].

* وقد اجتمعت في أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -
صفات جعلتها من أهل الجنة، فنالت البشارة بها، فقد ورد
أن النبي الكريم ﷺ طلق حفصة تطلقاً ثم راجعها بأمر
جبريل عليه السلام بذلك، وقال: «راجع حفصة فإنها صائمة
قوامه، وإنها زوجتك في الجنة»^(١).

* وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «أزواجي في الدنيا هن
أزواجي في الآخرة»^(٢). وهذا الحديث الشريف يشير إلى أن
زوجات النبي الطاهرات معه في الجنة إن شاء الله.

* رضي الله عن أم المؤمنين حفصة التي أرادت الله
ورسوله والدار الآخرة، فأعد لها الأجر العظيم، وأنزلها المقام
الأمين، وكتبها في أصحاب اليمين.

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد
(٢٤٥/٩)، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٨)،
والاستيعاب (٤/٢٦١)، والإصابة (٤/٢٦٥)، والحلية (٢/٥٠)،
وطبقات ابن سعد (٨/٨٤)، وغيرها من المصادر.

(٢) انظر تفسير الماوردي (٣/٣٠٥).

المتقين في جناتٍ ونهرٍ * في مقعدٍ صدقٍ عندَ مليكٍ مُتدبرٍ ﴿٥٤﴾
[القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *